

سلسلة لنكن لهم زينا

الحلقة الأولى

الاستخفاف بالدين

قراءة في بعض المفردات الدينية والاجتماعية التي استخف الناس بتطبيقها



الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي

تقديم

معهد تراث الأنبياء عليهم السلام للدراسات الحوزوية الالكترونية



سلسلة لنكن لهم زينا

الحلقة الأولى

الاستخفاف بالدين

قراءة في بعض المفردات الدينية والاجتماعية التي استخف الناس بتطبيقها

الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي

تقديم
معهد تراث الأنبياء عليهم السلام للدراسات الحوزوية الالكترونية





سلسلة: لنكن لهم زيناً

الحلقة الأُولىٰ

الاستخفاف بالدِّين

تأليف

الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي

تقديم

معهد تراث الأنبياء للدراسات الحوزوية الإلكترونية

الطبعة الأُولىٰ: ١٤٤٠هـ

العدد: ٥٠٠ نسخة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمة المعهد:

لا يخفىٰ ما للأخلاق من أهمّية كبرىٰ في حياة الإنسان، فبها يستطيع أن يتواصل مع الآخرين إيجاباً وسلباً، ولا شكَّ أنَّ المعرفة تتدخَّل في هذا الجانب من الحياة لتضفي عليه أُطُراً واضحة للتعامل المنهجي مع الآخر.

فبالمعرفة وتطبيقها يستطيع المرء أن يشقَّ طريقه في هذه الحياة، ليكون عنصراً مؤثِّراً في المجموعة، بحيث يفتقده الناس إذا غاب، ويستأنسون به إذا حضر.

من هنا، نجد النصوص الدينية تُؤكِّد علىٰ ضرورة أن يعمل المرء علىٰ أن يزيد من معارفه العلمية، بشرط أن تكون ضمن الحدود الإنسانية والدِّينية، وأن يجعل من سلوكه لوحة مرسومة تُترجِم تلك المعارف الإنسانية والدِّينية.

من هنا، كان معهد تراث الأنبياء للدراسات الحوزوية الإلكترونية أحد المؤسَّسات العلمية التي تهدف إلىٰ نشر المعارف الإلهيَّة، وإيصالها إلىٰ أكبر عدد ممكن من المتلهِّفين لارتشاف تلك المعارف.

وللتعريف العامِّ بالمعهد ونشاطاته نذكر النقاط التالية:

أوَّلاً: أنَّ المعهد مؤسَّسة علمية حوزوية تُدرِّس المناهج الدِّينية المعَدَّة لطُلّاب الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

ثانياً: أنَّ المـوادَّ الدراسـية تُعَـدُّ عـلىٰ أيـدي أسـاتذة متخصِّصـين، وتُدرَّسُ من قِبَل أساتذة أكْفاء في حوزة النجف الأشرف.

ثالثاً: الدراسـة في المعهـد عـن طريـق الانترنيـت وليسـت مبـاشرة، وهي لمدَّة ثلاث سنوات، والسنة الرابعة تطبيقية عملية.

رابعـاً: أنَّ المعهـد يسـاهم في نشـر وتـرويج المعـارف الإسـلاميَّة وعلـوم آل البيـت عليهم السلام ووصـولها إلىٰ أوسـع شريحـة ممكنـة مـن المجتمـع، وذلـك مـن خـلال تـوفير المواقـع والتطبيقـات الإلكترونيـة التـي يقـوم بإنتاجهـا كـادر متخصِّـص مـن المبرمجـين والمصـمِّمين في مجـال برمجـة وتصـميم المواقـع الإلكترونيـة والتطبيقـات عـلىٰ أجهـزة الحاسـوب والهواتف الذكيَّة.

خامساً: بـالنظر للحاجـة الفعليـة في مجـال التبليـغ الإسـلامي النسـوي فقد أخذ المعهد علىٰ عاتقـه تأسيس جامعـة متخصِّصـة في هـذا المجـال، فـتمَّ إنشـاء جامعـة أُمِّ البنـين عليها السلام الإلكترونيـة لتلبيـة حاجـة المجتمـع ومـلء الفـراغ في السـاحة الإسـلاميَّة لإعـداد مبلِّغـات رسـاليّات قـادرات عـلىٰ إيصـال الخطـاب الإسـلامي بطريقـة علميـة بعيـدة عـن الارتجـال في العمـل التبليغي.

سادساً: أنَّ المعهـد لم يُهمِـل الجانـب الإعلامـي، فبـادر إلىٰ إنشـاء مركـز القمـر للإعـلام الرقمـي، الـذي يعمـل عـلىٰ تقويـة المحتـوىٰ الإيجـابي عـلىٰ شبكة الانترنيت ووسـائل الإعـلام الاجتماعـي، حيـث يكـون هـذا المحتـوى موجَّهاً لإيصـال فكـر أهـل البيـت عليهم السلام وتوجيهـات المرجعيـة الدِّينيـة العليـا إلىٰ نطـاق واسـع مـن الشـرائح المجتمعيـة المختلفـة وبأحـدث تقنيـات الإنتاج الرقمي وبأساليب خطابية تناسب المتلقّي العصري.

سابعاً: أنَّ المعهد يقوم بطباعة ونشر الإنتاج الفكري والعلمي لطلبة العلم، ضمن سلسلة من الإصدارات - صدر منها إلىٰ الآن ستَّة كُتُب في مختلف العناوين العقائدية والفقهية والأخلاقية - التي تهدف إلىٰ ترسيخ العقيدة والفكر والأخلاق، بأُسلوب بعيد عن التعقيد، يستقي معلوماته من مدرسة أهل البيت عليهم السلام الموروثة.

وبين يديك عزيزي القارئ، سلسلة من الكُتُب الأخلاقية، التي كتبها مؤلِّفها سماحة الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي، بأُسلوب واضح، تُمثِّل خُطُوات عملية لتنشئة جيل يتمحور سلوكه حول مرجعية القرآن الكريم وسُنَّة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام.

نسأل الله عزَّ وجلَّ أن يجعل عملنا في عينه، وأن يتقبَّله بقبوله الحسن، إنَّه سميع مجيب.

إدارة المعهد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة المؤلِّف:

عندما نطالع مفردات الحياة، نجد أنَّ هناك سُنَناً تدير دفَّتها بكلِّ انضباط ودقَّة، فالشمس تخطو بخُطُوات ثابتة في مدارها منذ آلاف السنين، تتناوب مع القمر في الإطلال علىٰ وجه الأرض، وانضباطهما في مداريهما جعل علماء الفلك يتنبَّؤون بمستقبل أيّام سيرهما، فحدَّدوا مواعيد غروب الشمس وشروقها ومواعيد الكسوف والخسوف بكلِّ دقَّة، وما استطاعوا أن يجزموا بتلك المواعيد لو كانت الشمس أو القمر غير منضبطين في سيرهما وخُطُواتهما.

قال تعالىٰ: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ حَتَّىٰ عادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ (يس: ٣٨ - ٤٠).

ألق ببصرك إلىٰ سرب من الطيور التي تُحلِّق في السماء، أو إلىٰ مجموعة من النمل التي تعمل بكلِّ جدٍّ وجهد، أو إلىٰ خلية نحل تلعق الرحيق من الأزهار، أو إلىٰ مجموعة من الأسماك التي تغوص البحار، ستجد أنَّها تنضبط وفق أوامر (غريزية فطرية) تمام الانضباط، وأيُّ استخفاف بالخطَّة المرسومة يعني شذوذاً عن المجموعة، وخروجاً عن ربقتها.

لاحظ أنَّ بذرة معيَّنة إذا وُفِّرت لها الظروف الملائمة فإنَّها ستشقُّ الأرض لتمدَّ عنقها رويداً رويداً، لتُعطي ثمرة من نفس الصنف الذي أُخِذتْ منه، وما رأينا في سالف الأيّام بذرة ليمون أثمرت تمرةً، ولا بذرة تفّاحة أنتجت شوكة!

بل حتَّىٰ (الزلازل) و(البراكين) تتحرَّك ضمن قانون منضبط، وإن كان يصعب التنبُّؤ به.

والنتيجة: أنَّ (الانضباط) و(الدقَّة في التنفيذ) عناصر تتحكَّم في مفردات الكون.

الملاحظة المهمَّة هنا: هو أنَّ الانضباط و(عدم الاستخفاف) لا يُمثِّل قانوناً في التكوين فقط، وإنَّما هو من أهمّ عناصر (النجاح) في هذه الحياة، فمن دون انضباط لن تحصل علىٰ ساعة تعدُّ لك الثواني بكلِّ دقَّة، ومن دونه لن تحصل علىٰ مركبة فضائية تشقُّ طريقها إلىٰ (القمر) مثلاً من دون أن تخطئ ولو بسنتمتر واحد، فإنَّ الخطأ الضئيل هذا سيُؤدّي إلىٰ كارثة وفشل محتَّم.

ومن دون دقَّة وانضباط (البوصلة) البحرية لن يصل بك المركب إلىٰ برِّ الأمان، ولو حصل استخفاف وتهاون بربط الأجهزة الكهربائية بدقَّة لانتهت الشركات المصنِّعة إلىٰ أجهزة فاشلة وسمعة رديئة.

وأيُّ مؤسَّسة - علمية أو ثقافية أو اقتصادية أو سياسية - لن تحصد النجاح من دون انضباط ودقَّة، فالدائرة التي تعيش الاستخفاف بالقانون والتهاون بتطبيقه لن يلتزم أفرادها بأدنىٰ درجات الالتزام بالنظام، ولن تجني سوىٰ الفشل.

فعالم التكوين وعالم النجاح الدنيوي رهينان بالانضباط وعدم الاستخفاف.

وإذا نظرنا إلىٰ الشرائع التي أنزلها الله تعالىٰ للبشر، والتي نعلم بأنَّه تعالىٰ إنَّما أنزلها لمصلحة البشر أنفسهم، وإلَّا فهو تعالىٰ غنيٌّ مطلق، قال تعالىٰ: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ (فاطر: ١٥).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال: «إِنَّ اللهَ سُبْحَانَه وَتَعَالَىٰ خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيًّا عَنْ طَاعَتِهِمْ، آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ، لأَنَّـه لَا تَضُرُّه مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاه، وَلَا تَنْفَعُه طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَه»[1].

إذا نظرنا إلىٰ تلك الشرائع، نجد أنَّ من أهمّ شروط (الفلاح) المترتِّب عليها في الآخرة، هو شرط (الانضباط) و(الدقَّة في تنفيذ المعارف)، وعدم الاستخفاف بها.

فالشريعة حالها حال (التكوين) و(النجاح) لا بدَّ فيها من الانضباط التامِّ، علىٰ مستوىٰ النظرية وعلىٰ مستوىٰ التطبيق، أو قل: علىٰ مستوىٰ الاعتراف القلبي والاعتقاد، وعلىٰ مستوى السلوك العملي المترجِم لذلك الاعتقاد.

إنَّ أيَّ (استخفاف) في الشريعة يعني انفلات عقد النظام القانوني لها، وبالتالي عدم الوصول إلىٰ النتيجة المرجوَّة منها، ولذا ذمَّ القرآن الكريم الاستخفاف وعدم الانضباط في التزام الدِّين عندما أدان بشدَّة التعامل الانتقائي معه، فقال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيارِهِمْ تَظاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسارىٰ تُفادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْراجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَما جَزاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذلِكَ

---

(١) نهج البلاغة (ج ٢/ ص ١٦٠).

مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ (البقرة: ٨٥).

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ (آل عمران: ٧٢ و٧٣).

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ (آل عمران: ٧٧).

وغيرها من الآيات الكريمات في هذا المجال.

فما هو الاستخفاف بالدِّين؟

وكيف نُكيِّفه مع النصوص الدِّينية التي نصَّت علىٰ أنَّ الدِّين هو دين يسر وسهولة؟

وما هي أسباب الاستخفاف؟

وكيف العلاج منه؟

هذا ما تحاول أن تجيب عنه هذه الأوراقُ، عبر استعراض أربع عشرة مفردة من مفردات الاستخفاف التي تدخل في مختلف المجالات الحياتية التي لها تأثير في النجاح الدنيوي والفلاح الأُخروي.

سلسلة: لنكن لهم زيناً.

تهدف هذه السلسلة من الكُتُب إلىٰ التذكير بضرورة أن يكون

الفرد منّا - نحن شيعة أهل البيت عليهم السلام - جعفرياً في كيانه[1] بحيث يوحي للناظر إليه بأنّه جعفري بمعنى الكلمة ولو لم يتكلّم بلسانه، فهذا المعنىٰ هو ما أراد أهل البيت عليهم السلام أن نكون عليه.

فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال لأبي أُسامة زيد الشحّام: «اقرأ علىٰ من ترىٰ أنّه يطيعني منهم ويأخذ بقولي السلام، وأُوصيكم بتقوىٰ الله عزّ وجلّ والورع في دينكم والاجتهاد لله...، إنَّ الرجل منكم إذا ورع في دينه وصَدَق الحديث وأدّىٰ الأمانة وحسَّن خُلُقَه مع الناس قيل: هذا جعفري، فيسرّني ذلك ويدخلُ عليَّ منه السرور، وقيل: هذا أدب جعفر، وإذا كان علىٰ غير ذلك دخل عليَّ بلاؤه وعارُه وقيل: هذا أدب جعفر...»[2].

فهي خُطُوات عملية ليكون كلُّ واحدٍ منّا (جعفرياً) بمعنىٰ الكلمة.

سلسلةٌ تتضمَّن عدَّة كُتُب، الأوَّل منها هو ما بين يديك، وستتلوه بقيَّتها إن شاء الله تعالىٰ.

في هذا الكتاب ستجد - عزيزي القارئ - أربع عشرة مفردة تدخل في مختلف مجالات الحياة، وعرضاً إجمالياً مختصراً، وآخر تفصيلياً عن خطر وأثر الاستخفاف بكلِّ واحدة منها، وتوضيحاً للطُرُق التي يمكن سلوكها للتخلُّص من آثار الاستخفاف بها.

---

(١) ولا يعني هذا أنَّ الاستفادة منها خاصٌّ بشيعة أهل البيت عليهم السلام، فإنَّها كلمات مستوحاة من كلماتهم عليهم السلام، وكلماتهم نافعة للإنسانية جمعاء، الأمر الذي عبَّر عنه الإمام الرضا عليه السلام بقوله: «إنَّ الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتَّبعونا». (معاني الأخبار للشيخ الصدوق: ص ١٨٠)، ولكن شيعتهم هم أوَّل المسؤولين عن تنفيذ هذه التعليمات كما هو واضح.

(٢) الكافي للشيخ الكليني (ج ٢/ ص ٦٣٦/ باب ما يجب من المعاشرة/ ح ٥).

أسأل الله تعالىٰ أن يجعلها في خير وإلىٰ خير، وأن يجعلنا ممَّن يعملون علىٰ أن يكونوا كما أراد أهل البيت عليهم السلام، إنَّه سميع مجيب.

حسين عبد الرضا الأسدي

النجف الأشرف

الأحد، الأوَّل من ذي القعدة ١٤٣٩هـ

الخامس عشر من تموز ٢٠١٨م

عن الرضا، عن آبائه، عن عليٍّ عليه السلام، قال:

«سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّي أخاف عليكم استخفافاً بالدِّين».

عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق (ج ١/ ص ٤٦/ ح ١٤٠)

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«وإيّاكم والتهاون بأمر الله عزَّ وجلَّ، فإنَّه من تهاون بأمر الله أهانه الله يوم القيامة».

ثواب الأعمال للصدوق (ص ٢٠٣)

* * *

مدخل:

الإيمان
بين النظرية والتطبيق

من الأُمور التي باتت اليوم من الواضحات، هو أنَّ أيَّ عملية بناء - عمراني أو فكري أو اجتماعي أو أُسري أو غيرها - فإنَّها تكون مسبوقة بعملية نظرية، تُمثِّل الأساس الذي سيقوم عليه التنفيذ.

أنت عندما تريد أن تبني بيتاً فلا بدَّ قبل ذلك أن ترسم خريطة كاملة له علىٰ الورق، وتأخذ بالحسبان كلَّ سنتمتر واحد من مساحته لتستفيد منها في بيتك.

وأنت عندما تريد أن تفتتح مشروعاً تجارياً فلا بدَّ أن تجلس أوَّلاً وتُخطِّط له تخطيطاً نظرياً شاملاً، يشمل المكان والزمان ونوع التجارة ومقدار رأس المال المطلوب والأرباح المتوقَّعة إلىٰ جانب الخسائر الممكنة والمشاكل التي تعيق العمل والعلاقات النافعة فيه، وهكذا.

وهكذا لو أردتَ الزواج لا بدَّ أن تُخطِّط له تخطيطاً دقيقاً، فتنظر من تختار، ومن أيِّ أُسرة، ومواصفاتها المطلوبة، وملائمة وضعها الاجتماعي لوضعك الاجتماعي، وهي تفعل نفس الشيء بالنسبة إليك.

إذن، كلُّ مشروع في الحياة لا بدَّ أن يسبقه تخطيط نظري شامل.

وقد أجرىٰ الله تعالىٰ هذه السُّنَّة في رسالاته، ولذلك تجد أنَّ القرآن الكريم أوَّل ما نزل منه من سُوَر وآيات في مكَّة المكرَّمة كان أكثرها - كما يقول علماء علوم القرآن[1] - ناظراً إلىٰ البناء العامِّ للإسلام، أي إلىٰ تشريع العبادات والواجبات والمحرَّمات، ممَّا يمكن أن نُسمّيه

(١) قالوا هذا في أحد الآراء في التفرقة بين الآيات والسُّوَر المكّية والمدنية.

بالإجراءات النظرية لبناء المسلم، وبعد أن تمَّ هذا البناء الروحي أخذت الآيات - في المدينة المنوَّرة - منحىٰ آخر من الخطاب، كان موجَّهاً لبناء دولة الإسلام بصورة عملية، فحثَّت علىٰ الإجراءات العملية لذلك، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد بالأموال والأنفس وكلِّ المتعلّقات، وضرورة مقاومة الشرك والكفر، وضرورة بناء الدولة الإسلاميَّة...

إنَّه الجانب العملي بعد أن تمَّ الجانب النظري.

الملاحظة المهمَّة هنا:

هي أنَّ تنفيذ أيِّ مشروع تنفيذاً عملياً لا بدَّ أن يكون متطابقاً تماماً مع النظرية المقترحة، وأيُّ خطأٍ في التطبيق فإنَّه سيُؤدّي إلىٰ خلل في المشروع رأساً، فربَّما ينهدم البيت، وربَّما يخسر المشروع التجاري، وربَّما يفشل الزواج وينتهي بالطلاق أو يستمرُّ بالمشاكل...، وهذه أيضاً من سُنَن الحياة.

ومن المشاريع المهمَّة في حياة الإنسان العاقل هو مشروعه مع ربِّه وخالقه ومدبِّر أُموره، إنَّه مشروع (**الدِّين**) الذي يُعتَبر من أهمّ المشاريع الحياتية، فإنَّ (**حُبَّ الدِّين**) يُعتَبر ممَّا فُطِرَ عليه الإنسان، حيث (إنَّ علماء النفس يعتقدون بأنَّ للنفس الإنسانية أبعاداً أربعة يكون كلُّ بُعد منها مبدأ لآثار خاصَّة، هي: حُبُّ وروح الاستطلاع واستكشاف الحقائق..، وحُبُّ الخير، والنزوع إلىٰ البرِّ والمعروف..، وعشق الإنسان وعلاقته بالجمال..، والشعور الدِّيني الذي يتأجَّج لدىٰ الشباب في سنِّ البلوغ، فيدعو الإنسان إلىٰ الاعتقاد بأنَّ وراء هذا العالم عالماً آخر يستمدُّ هذا العالم وجوده منه، وأنَّ الإنسان بكلِّ خصوصياته متعلّق بذلك العالم ويستمدُّ منه.

وهذا البُعد الرابع الذي اكتشفه علماء النفس في العصر الأخير وأيّدوه بالاختبارات المتنوّعة ممَّا ركَّز عليه الذِّكر الحكيم قبل قرون وأشار إليه في آياته المباركات...)[1].

إنَّ علماء الآثار والتنقيب قد لاحظوا بأنَّ أيَّ مدينة أو قرية يكتشفون آثارها فإنَّه من الممكن أن لا يجدوا فيها حمّاماً عامًّا، أو مدرسة أو ساحة قتال أو لعب أو ما شابه، ولكن أن لا يجدوا معبداً فهذا ما لم يقع. وهذا يشير إلىٰ أنَّ الإنسان لا يستطيع أن يعيش بدون هذا الاعتقاد - اعتقاد وجود الدِّين -.

وإذا رجعت إلىٰ القرآن الكريم فإنَّك تجده يشير، بل ويُصرِّح بهذه الحقيقة، ذلك عندما اعتبر أنَّ التديُّن هي (فطرة الله التي فطر الناس عليها) حيث يقول تعالىٰ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (الروم: ٣٠).

وهذا المشروع لا بدَّ أن تسبقه نظرية، خلاصتها معرفة ما يريده الباري منّا وما لا يريده، حتَّىٰ يتمسَّك المسلم بالأوَّل وينتهي عن الثاني في مقام التطبيق.

وقد وفَّر الباري جلَّ وعلا هذه النظرية، وأوصلها إلينا بصورة واضحة جليَّة لا تقبل التشكيك، فأرسل الرُّسُل، ونصَّب الأوصياء، وأنزل الكُتُب، فتوفَّرت بذلك النظرية الكاملة القابلة للتطبيق.

يقول جلَّ وعلا: ﴿وَهَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ (البلد: ١٠).

﴿إِنَّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ إِمَّا شاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ﴿٣﴾﴾ (الإنسان: ٣).

---

(١) الإلهيّات للشيخ جعفر السبحاني (ج ١/ ص ١١ - ١٣).

وورد عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «خطب رسول الله عليه السلام في حجَّة الوداع فقال: يا أيُّها الناس، والله ما من شيء يُقرِّبكم من الجنَّة ويباعدكم من النار إلَّا وقد أمرتكم به، وما من شيء يُقرِّبكم من النار ويباعدكم من الجنَّة إلَّا وقد نهيتكم عنه...»(١).

وعن حمّاد بن أبي أُسامة، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام وعنده رجل من المغيرية، فسُئِلَ عن شيء من السُّنَن، فقال: «ما من شيء يحتاج إليه وِلْدُ آدم إلَّا وقد خرجت فيه السُّنَّة من الله ومن رسوله، ولولا ذلك ما احتجَّ».

فقال المغيري: وبِمَ احتجَّ؟

فقال أبو عبد الله عليه السلام: «قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾ [المائدة: ٣]، فلو لم يُكمِل سُنَّته وفرائضه وما يحتاج إليه الناس ما احتجَّ به»(٢).

وعن محمّد بن حكيم، عن أبي الحسن عليه السلام، قال: «أتاهم رسول الله صلى الله عليه وآله بما يستغنون به في عهده، وما يكتفون به من بعده: كتاب الله وسُنَّة نبيِّه»(٣).

ولذلك تجد أنَّه لا اختلاف ولا تناقض في أحكام الإسلام، لأنَّها نابعة من عين صافية، أكملت النظرية علىٰ أتمّ وجه.

ورد عن الحسن بن ظريف، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «ما رأيت عليًّا عليه السلام قضىٰ قضاءً إلَّا وجدت له أصلاً في السُّنَّة»، قال:

---

(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ٢/ ص ٧٤).

(٢) بصائر الدرجات لمحمّد بن الحسن الصفّار (ص ٥٣٧ و٥٣٨/ باب ١٨/ ح ٥٠).

(٣) المحاسن لأحمد بن محمّد بن خالد البرقي (ج ١/ ص ٢٧٠/ باب ٣٨/ ح ٣٦١).

«وكان عليٌّ عليه السلام يقول: لو اختصم إليَّ رجلان فقضيت بينهما ثمّ مكثا أحوالاً كثيرة ثمّ أتياني في ذلك الأمر لقضيت بينهما قضاءً واحداً، لأنَّ القضاء لا يحول ولا يزول أبداً»[1].

إذن، النظرية تامَّة، وهي من الأُمور التي أتمَّها الباري جلَّ وعلا ورُسُله وأوصياؤه من جهتهم، وبقي بعد هذا علينا - نحن المسلمين - أن نُطبِّق تلك النظرية بحذافيرها، ولا نتهاون بشيء منها، ولا نستخفَّ بالقليل منها أو الكثير، وهو ما يريده منّا الدِّين ﴿خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّةٍ﴾ (مريم: ١٢)، وإلَّا كنّا من الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض.

ولكنْ مع ذلك، نجد أزماننا مملوءة بأُناس ابتعدوا عن الدِّين وانحرفوا عنه، ومالوا إلىٰ طُرُق بعيدة. وهنا، يحقُّ لأيِّ مسلم أن يتساءل: إذا كان الله تعالىٰ قد بيَّن الدِّين بأوضح ما يكون البيان، وإذا كان هذا البيان قد وصل إلىٰ الناس عموماً، ولا أقلَّ إلىٰ المسلمين عموماً، فما بالنا نرىٰ هذا الانحراف والابتعاد عن الدِّين؟

في الحقيقة، هناك أسباب كثيرة كانت وراء ذلك، وقد سطرها الباحثون في هذا الجانب، وقد أوغلوا في البحث عنها، حتَّىٰ وجدوا جذور هذه الحالة تمتدُّ لتصل إلىٰ دور الكنيسة في تشويه صورة الدِّين وسلوك أربابها المنحرف الذي أدّىٰ إلىٰ اعتقاد الناس بأنَّ الدِّين وسيلة يُخدَع بها السُّذَّج من الناس، وغاصوا في بحور الروايات ليجدوا بذرات الانحراف كامنة في الكِبْر والحسد وحُبِّ الأنا والهوىٰ، ويمدُّها الشيطان بالوقود...

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي (ص ٦٤/ ح ٩٤/ ٣).

وهذا كلُّه صحيح، ولكنْ عندما ننظر بعين واقعية للمجتمع اليوم، فلربَّما نجد أنَّ كمَّا لا يُستهان به قد ابتعد عن الدِّين لتلك الأسباب، ولكن نجد هناك سبباً عامًّا شمل الجميع، سبَّب ابتعادهم عن تطبيق الدِّين، ذلك السبب هو **(التهاون والاستخفاف)** بأوامر الدِّين عموماً.

وسيكون البحث - إن شاء الله تعالىٰ - منصبًّا علىٰ ذكر بعضٍ مهمٍّ من مصاديق ذلك الاستخفاف والتهاون، من الأُمور التي نعيشها يومياً ويبتلي بها الجميع، وسنرىٰ مدىٰ ضراوة الاستخفاف بها في هدم دين المرء أو ابتعاده عن دينه.

الدِّين بين التيسير وعدم التهاون:

من المعروف أنَّ دين الإسلام هو دين يُسر لا دينَ عُسر، إنَّه الدِّين الذي أعلن صادحاً: ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة: ١٨٥).

وأعلن: ﴿ما يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ (المائدة: ٦).

﴿وَما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحجّ: ٧٨).

عن ابن القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «جاءت امرأة عثمان بن مظعون إلىٰ النبيِّ صلى الله عليه وآله، فقالت: يا رسول الله، إنَّ عثمان يصوم النهار ويقوم الليل. فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله مغضباً يحمل نعليه، حتَّىٰ جاء إلىٰ عثمان، فوجده يُصلّي، فانصرف عثمان حين رأىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال له: يا عثمان، لم يُرسِلني الله بالرهبانية **ولكن بعثني بالحنيفية السمحة**، أصوم وأُصلّي وألمس أهلي، فمن أحبَّ فطرتي فليستنَّ بسُنَّتي، ومن سُنَّتي النكاح»[١].

---

(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ٥/ ص ٤٩٤/ باب كراهية الرهبانية وترك الباه/ ح ١).

والذي يُراد أن يُقال هنا هو:

إنَّه لا بدَّ من ملاحظة الفرق بين هذا المعنىٰ **(التيسير في الدِّين)** وبين **(الاستخفاف والتهاون بأمر الدِّين)**، فإنَّ التيسير في الدِّين جاء في مفردات معيَّنة، وكلُّها جاءت بأمر سماوي، كما سنرىٰ بعد قليل إن شاء الله تعالىٰ. أي إنَّ نفس التيسير هو بأمر من الدِّين، أمَّا المقصود من التهاون والاستخفاف بالدِّين فهو الاستخفاف بأمر إلهي، أي عدم الأخذ به بحدوده المرسومة رغم العلم المسبق بها، أو غضُّ النظر عن واجبات أَمَر الدِّين بها، وأين هذا من ذاك؟!

من مفردات اليُسر في الدِّين:

هناك مفردات كثيرة تُمثِّل اليُسر في الدِّين، منها مفردات فقهية، ومنها مفردات أخلاقية.

فمن المفردات الفقهية هي:

المفردة الأُولىٰ: أنَّ الله تعالىٰ كلَّف البشر ما يُطيقون، ولم يُكلِّفْهم ما لا يطيقون، بل الواقع هو أنَّ الله تعالىٰ كلَّف البشر بأقلّ ممَّا يُطيقون.

قال تعالىٰ: ﴿لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَها﴾ (البقرة: ٢٣٣)، وقال تعالىٰ: ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها﴾ (البقرة: ٢٨٦)، وقال تعالىٰ: ﴿لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها﴾ (الأنعام: ١٥٢).

المفردة الثانية: أنَّه تعالىٰ أمر بأوامر، وجعل لها بدائل عند توجُّه حرج أو ضرر من الأُولىٰ. وهذا ما يُسمّىٰ بالأحكام الأوَّلية والثانوية، فمثلاً أوجب الوضوء بالماء، ولكنَّه جوَّز التيمُّم عند الحرج أو الضرر في استعمال الماء. وأوجب الصيام، ولكنَّه سمح للمسافر والمريض والشيخ الكبير والحامل المُقرب التي تخاف علىٰ نفسها أو حملها بالإفطار.

وأوجب الصلاة من وقوف، ولكنَّه أباح الصلاة للعاجز جالساً أو حتَّىٰ مضطجعاً، وغيرها من المفردات الكثيرة في هذا المجال.

المفردة الثالثة: أنَّه تعالىٰ حرَّم المحرَّمات، ولكنَّه جعل لبعضها أمداً تنتهي عنده، فحرَّم الخمر والميتة ولحم الخنزير، وحرم الكذب، وحرم الغيبة، وهكذا، ولكن في أحوال خاصَّة جوَّز ارتكاب هذه المحرَّمات، فالمضطرُّ - غير العادي ولا الباغي - يجوز له أكل الميتة وشرب الخمر بقدر الضرورة، والكذب يجوز لإنقاذ النفس أو المؤمن، والغيبة تجوز عند التظلُّم والشكاية، وعند السؤال عن عفاف امرأة أو رجل للتزويج، وهكذا. (وهو أيضاً يدخل تحت عنوان الحكم الأوَّلي والثانوي).

نعم، تُستثنىٰ بعض المحرَّمات التي لا إذن في مخالفتها، وهي الدماء والفروج، فلا تقيَّة فيها.

ومن المفردات الأخلاقية:

المفردة الأُولىٰ: أنَّ الله تعالىٰ لم يحاسب الإنسان علىٰ:

أوَّلاً: الآلات التي وهبها الله تعالىٰ للإنسان، وبها أطاعه وأرضاه، يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء الشكر: «وَلَمْ تَحْمِلْه عَلَىٰ الْمُنَاقَشَاتِ فِي الآلَاتِ الَّتِي تَسَبَّبَ بِاسْتِعْمَالِهَا إِلَىٰ مَغْفِرَتِكَ، وَلَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ بِهِ لَذَهَبَ بِجَمِيعِ مَا كَدَحَ لَه وَجُمْلَةِ مَا سَعَىٰ فِيه جَزَاءً لِلصُّغْرَىٰ مِنْ أَيَادِيكَ وَمِنَنِكَ، وَلَبَقِيَ رَهِيناً بَيْنَ يَدَيْكَ بِسَائِرِ نِعَمِكَ، فَمَتَىٰ كَانَ يَسْتَحِقُّ شَيْئاً مِنْ ثَوَابِكَ؟...»[1].

ثانياً: ولم يحاسبه علىٰ الرزق الحلال الذي به يقوىٰ المرء علىٰ الطاعة، كما يقول مولانا الإمام السجّاد عليه السلام في نفس الدعاء: «... ثُمَّ لَمْ تَسُمْه الْقِصَاصَ فِيمَا أَكَلَ مِنْ رِزْقِكَ الَّذِي يَقْوَىٰ بِه عَلَىٰ طَاعَتِكَ».

---

(١) الصحيفة السجّادية (ص ١٦٤/ الدعاء ٣٧).

ثالثاً: ولم يحاسبه علىٰ الأُمور التي ألجأه تعالىٰ إليها من ضروريات الحياة، إذا اكتسبها المرء من حلال، وهي الزوجة والبيت والطعام والملبس.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «ثلاثة أشياء لا يُحاسَب العبد المؤمن عليهنَّ: طعام يأكله، وثوب يلبسه، وزوجة صالحة تعاونه ويحصن بها فرجه»(١).

ويقول الإمام الباقر عليه السلام: «ثلاث لا يُسئَل عنها العبد: خرقة يواري بها عورته، وكسرة يسدُّ بها جوعته، وبيت يكنُّه من الحرِّ والبرد»(٢).

رابعاً: ولم يحاسبه علىٰ نيَّة السوء إذا لم يصدر منه العمل السيِّئ، فعن ابن بُكير، عن أحدهما عليهما السلام، قال: «إنَّ آدم عليه السلام قال: يا ربِّ سلَّطْتَ عليَّ الشيطان وأجريته منّي مجرىٰ الدم، فاجعل لي شيئاً، فقال:

يا آدم، جعلتُ لك أنَّ من همَّ من ذرّيتك بسيِّئة لم تُكتَب عليه، فأن عملها كُتِبَت عليه سيِّئة. ومن همَّ منهم بحسنة، فإن لم يعملها كُتِبَت له حسنة، فإن هو عملها كُتِبَت له عشراً.

قال: يا ربِّ زدني، قال: جعلتُ لك أنَّ من عمل منهم سيِّئة ثمّ استغفر له، غفرت له.

قال: يا ربِّ زدني، قال: جعلت لهم التوبة - أو قال: بسطت لهم التوبة - حتَّىٰ تبلغ النفس هذه، قال: يا ربِّ حسبي»(٣).

---

(١) المحاسن لأحمد بن محمّد بن خالد البرقي (ج ٢/ ص ٣٩٩).

(٢) تفسير نور الثقلين للشيخ الحويزي (ج ٥/ ص ٦٦٥).

(٣) الكافي للشيخ الكليني (ج ٢/ ص ٤٤٠).

وعن سليمان بن مهران، عن جعفر بن محمّد عليه السلام أنَّه قال: «إذا همَّ العبد بحسنة كُتِبَت له حسنة، فإذا عملها كُتِبَت له عشر حسنات. وإذا همَّ بسيِّئة لم تُكتَب عليه، فإذا عملها أُجِّل تسع ساعات، فإن ندم عليها واستغفر وتاب لم تُكتَب عليه، وإن لم يندم ولم يتب منها كُتِبَت عليه سيِّئة واحدة»[١].

مع ملاحظة كراهة نفس نيَّة السوء، فعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «اجتمع الحواريون إلىٰ عيسىٰ عليه السلام، فقالوا له: يا معلِّم الخير أرشدنا، فقال لهم: إنَّ موسىٰ كليم الله عليه السلام أمركم أن لا تحلفوا بالله تبارك وتعالىٰ كاذبين، وأنا آمركم أن لا تحلفوا بالله كاذبين ولا صادقين، قالوا: يا روح الله زدنا، فقال: إنَّ موسىٰ نبيَّ الله عليه السلام أمركم أن لا تزنوا، وأنا آمركم أن لا تُحدِّثوا أنفسكم بالزنا فضلاً عن أن تزنوا، فإنَّ من حدَّث نفسه بالزنا كان كمن أوقد في بيت مزوّق فأفسد التزاويقَ الدخانُ وإن لم يحترق البيت»[٢].

المفردة الثانية: أنَّ الله تعالىٰ كتب علىٰ نفسه الرحمة بإعطاء ومضاعفة الثواب في عدَّة أحوال، منها:

أوَّلاً: عند نيَّة الخير وأن لم يصدر الفعل، (كما في الحديث المتقدِّم قبل قليل)، وكما ورد عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «نيَّة المؤمن خير من عمله»[٣].

بمعنىٰ أنَّ نيَّة العبد هي من عمله الخيِّر، (فتكون كلمة (خير)

---

(١) الخصال للشيخ الصدوق (ص ٤١٨/ باب يُؤجَّل المذنب تسع ساعات/ ح ١١).

(٢) الكافي للشيخ الكليني (ج ٥/ ص ٥٤٢/ باب الزاني/ ح ٧).

(٣) الكافي للشيخ الكليني (ج ٢/ ص ٨٤/ باب النيَّة/ ح ٢).

مصدراً لا أفعل تفضيل). أو بمعنىٰ أنَّ نيَّة الخير أفضل من نفس العمل، (فتكون كلمة (خير) أفعل تفضيل)، وذلك لأنَّ العمل قد يُبتلىٰ ببعض الأُمور التي تُبطِله، كالرياء والعُجب، وقد لا يُوفَّق العبد للعمل، بينما النيَّة سالمة من هذه الأُمور.

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنَّ العبد المؤمن الفقير ليقول: يا ربِّ ارزقني حتَّىٰ أفعل كذا وكذا من البرِّ ووجوه الخير، فإذا علم الله عزَّ وجلَّ ذلك منه بصدق نيَّة كتب الله له من الأجر مثل ما يكتب له لو عمله، إنَّ الله واسع كريم»[1].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «من أتىٰ فراشه وهو ينوي أن يقوم يُصلّي من الليل فغلبته عيناه حتَّىٰ أصبح كُتِبَ له ما نوىٰ، وكان نومه صدقة عليه من ربِّه»[2].

ثانياً: أنَّ الله تعالىٰ جعل ثواب بعض الأعمال مستمرًّا إلىٰ يوم القيامة، فعن أبي عبد الله عليه السلام أنَّه قال: «ليس يتبع الرجل بعد موته من الأجر إلَّا ثلاث خصال: صدقةٌ أجراها في حياته فهي تجري بعد موته، وسُنَّةُ هدىً سنَّها فهي يُعْمَل بها بعد موته، أو ولدٌ صالح يدعو له»[3].

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنَّه قال: «ستَّةٌ تلحق المؤمن بعد وفاته: ولدٌ يستغفر له، ومصحفٌ يُخلِفه، وغرسٌ يغرسه، وقليبٌ يحفره، وصدقةٌ يُجريها، وسُنَّةٌ يُؤخَذ بها من بعده»[4].

---

(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ٢/ ص ٨٥/ باب النيَّة/ ح٣).

(٢) كنز العُمّال للمتَّقي الهندي (ج ٧/ ص ٧٨٣).

(٣) الكافي للشيخ الكليني (ج ٧/ ص ٥٦/ باب ما يلحق الميِّت بعد موته/ ح ١).

(٤) الكافي للشيخ الكليني (ج ٧/ ص ٥٦/ باب ما يلحق الميِّت بعد موته/ ح ٥).

وروي عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «إذا مات المؤمن انقطع عمله إلَّا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتَفع به، أو ولد صالح يدعو له»(١).

ثالثاً: أنَّ الله تعالىٰ أعطىٰ الثواب علىٰ من عمل عملاً رجاء أن يكون مطلوباً وإن لم يكن كذلك، فعن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «من سمع شيئاً من الثواب علىٰ شيء فصنعه كان له وإن لم يكن علىٰ ما بلغه»(٢).

رابعاً: وضاعف كثيراً ثواب بعض الأعمال، كالعبادة ليلة القدر، وكتذكُّر عطش الحسين عليه السلام عند شرب الماء، وكحفظ حديثين يُعمَل بهما، وكقضاء حاجة المؤمن، وغيرها كثير.

عن العزرمي، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «من اشتكىٰ ليلةً فقَبِلها بقبولها وأدّىٰ إلىٰ الله شكرَها كانت كعبادة ستّين سنة»، قال العزرمي: قال أبي: فقلت له: ما قبولها؟ قال: «يصبر عليها، ولا يُخبِر بما كان فيها، فإذا أصبح حمد الله علىٰ ما كان»(٣).

وعن داود الرِّقّي، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذا استسقىٰ الماء، فلمَّا شربه رأيته قد استعبر واغرورقت عيناه بدموعه، ثمّ قال لي: «يا داود، لعن الله قاتل الحسين عليه السلام، وما من عبد شرب الماء فذكر الحسينَ عليه السلام و أهلَ بيته ولعن قاتله إلَّا كتب الله عزَّ وجلَّ له مائة ألف حسنة، وحطَّ عنه مائة ألف سيِّئة، ورفع له مائة ألف درجة، وكأنَّما أعتق مائة ألف نسمة، وحشره الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة ثلج الفؤاد»(٤).

---

(١) عوالي اللئالي لابن أبي جمهور الأحسائي (ج ٢/ ص ٥٣/ ح ١٣٩)؛ وبحار الأنوار للعلَّامة المجلسي (ج ٢/ ص ٢٢).

(٢) الكافي للشيخ الكليني (ج ٢/ ص ٨٧).

(٣) الكافي للشيخ الكليني (ج ٣/ ص ١١٦).

(٤) الكافي للشيخ الكليني (ج ٦/ ص ٣٩١).

وروي عن الرسول الأعظم ﷺ: «من تعلَّم حديثين اثنين ينفع بهما نفسه أو يُعلِّمهما غيره فينتفع بهما كان خيراً من عبادة ستّين سنة»[١].

خامساً: وجعل التوبة ماحيةً للذنوب مهما كثرت، إذا كانت التوبة خالصة صادقة، فعن معاوية بن وهب قال: خرجنا إلىٰ مكَّة ومعنا شيخٌ متألِّهٌ متعبِّدٌ، لا يعرف هذا الأمر، يُتِمُّ الصلاة في الطريق، ومعه ابن أخ له مسلم، فمرض الشيخ، فقلت لابن أخيه: لو عرضت هذا الأمر علىٰ عمِّك، لعلَّ الله أن يُخلِّصه، فقال كلُّهم: دعوا الشيخ حتَّىٰ يموت علىٰ حاله فإنَّه حسن الهيأة، فلم يصبر ابن أخيه حتَّىٰ قال له: يا عمّ، إنَّ الناس ارتدُّوا بعد رسول الله ﷺ إلَّا نفراً يسيراً، وكان لعليِّ بن أبي طالب عليه السلام من الطاعة ما كان لرسول الله ﷺ، وكان بعد رسول الله الحقُّ والطاعة له، قال: فتنفَّس الشيخ وشهق وقال: أنا علىٰ هذا، وخرجت نفسه، فدخلنا علىٰ أبي عبد الله عليه السلام، فعرض عليُّ بن السري هذا الكلام علىٰ أبي عبد الله عليه السلام، فقال: «هو رجل من أهل الجنَّة»، قال له عليُّ بن السري: إنَّه لم يعرف شيئاً من هذا غير ساعته تلك، قال: «فتريدون منه ماذا؟ قد دخل والله الجنَّة»[٢].

سادساً: أنَّه تعالىٰ أمر بأن تُؤجَّل كتابة السيِّئة لعلَّ العبد المؤمن يتوب، فعن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «صاحبُ اليمين أميرٌ علىٰ صاحب الشمال، فإذا عمل العبد سيِّئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: لا

---

(١) كنز العُمّال للمتَّقي الهندي (ج ١٠/ ص ١٦٣ و١٦٤/ ح ٢٨٨٤٩)؛ وبحار الأنوار للعلَّامة المجلسي (ج ٢/ ص ١٥٢).

(٢) الكافي للشيخ الكليني (ج ٢/ ص ٤٤٠ و٤٤١).

تعجل وأنظِرْه سبعَ ساعات، فإن مضت سبعُ ساعات ولم يستغفر قال: اكتب، فما أقلّ حياء هذا العبد»[١].

وطبعاً هذا الأمر خاصٌّ بالمؤمن فقط ولا يشمل غيره، كما ورد هذا المعنىٰ في رواية عن ابن صدقة، عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، قال: «أتىٰ أبي عليه السلام الحسنُ البصري، وقال: يا أبا جعفر، بلغني عنك أنَّك قلت: ما من عبدٍ يذنب ذنباً إلَّا أجَّله الله سبع ساعات، فإن هو تاب منه واستغفر لم يكتب عليه، فقال له أبي: ليس هكذا قلت، ولكنّي قلت: ما من عبد مؤمن يُذنِب ذنباً، وكذلك كان قولي»[٢].

والخلاصة:

أنَّ هناك فرقاً بين الاستخفاف بالدِّين وبين ما ورد من التسهيلات الشرعية من الله عزّ وجلّ للمؤمن. وهذه الأوراق يُراد لها أن تُسلِّط الأضواء علىٰ بعض المفردات الحياتية التي تهاون بها الكثير من الناس، سواء علىٰ المستوىٰ الشرعي أو التربوي أو الاجتماعي، وبيان آثارها السلبية، وما يمكن أن يُستفاد منه من الخطوات العملية لدفع هذا الاستخفاف والرجوع إلىٰ الطريق القويم.

ونذكر هنا بعض تلك المفردات، فنقول: ...



---

(١) أمالي الشيخ الطوسي (ص ٢٠٧/ ح ٣٥٥ / ٥)؛ ووسائل الشيعة للحرِّ العاملي (ج١٦/ ص ٧٠).

(٢) قرب الإسناد للحميري القمّي (ص ٢/ ح ٤)؛ وبحار الأنوار للعلَّامة المجلسي (ج٦٨/ ص ٢٤٧).

المفردة الأولى:

الاستخفاف والتهاون بأصول الدِّين

- الخطر: ﴿بُنْيانَهُ عَلىٰ شَفا جُرُفٍ هارٍ﴾.
- الأثر: يميلون مع كلِّ ريح.
- التوصية: أوَّل الدِّين معرفته.

مـن الواضـح أنَّ الـدِّين الإسـلامي يحتـوي عـلىٰ خطـوط رئيسـية ثلاثة: أُصول الدِّين، وفروعه، والأخلاق والآداب العامَّة.

ومن الواضـح أنَّ الأهـمَّ مـن هـذه الخطـوط هـو خـطُّ أُصـول الـدِّين، ذلك أنَّها تُمثِّل الأساس الذي يبتني عليه الخطّان الأخيران.

وبالتالي، فحتَّىٰ يـتمَّ التعامـل مـع الـدِّين بصـورة منهجيـة عـلىٰ المـؤمن أن يبـدأ بـالخطِّ الأوَّل فيُشـيِّده أقـوىٰ مـا يمكنـه، ثـمّ ينتقـل بعـده إلىٰ البنـاء فوق ذلك الأساس الـذي تُمثِّلـه فـروع الـدِّين، ومـن بعـدها سـيكون سـلوكه جميلاً متوافقاً مع الأُسس المنهجية الصحيحة للدِّين.

وحتَّىٰ تتَّضح الصورة نذكر النقاط التالية:

النقطة الأولى: أوَّل الدِّين معرفته:

تُؤكِّـد العديـد مـن كلـمات المعصـومين عليهم السلام عـلىٰ أنَّ أوَّل خطـوة منهجية في طريق التـديُّن الصـحيح هـي خطـوة تأسيس المعرفـة بـالله تعـالىٰ، تلك المعرفة التي تختزل كـلَّ أُصـول الـدِّين في بوتقتهـا، فإنَّـك إذا آمنـت بـالله تعـالىٰ وبصـفاته بالـدليل العلمـي اليقينـي، سـتعرف بعـدها أنَّ الله تعـالىٰ هـو مظهر للكمال والجمال المطلقـين، الأمـر الـذي يعنـي امتنـاع أن يتَّصـف جـلَّ وعـلا بـأيِّ صـفة تُخِـلُّ بـالكمال أو تُـوهِم الـنقص في الـذات المقدَّسـة، فـلا جهـل في سـاحته، ولا عجـز في فعلـه، ولا مـوت يُفنيـه. بالإضـافة إلىٰ اتِّصـاف أفعالـه بالحكمـة، فهـو تعـالىٰ لا يضـع الشـيء إلَّا في موضـعه المناسب. نعـم، قـد لا نكتشـف الحكمـة مـن فعـل مـا، ولكـنْ بالتـالي حيث

إنَّنا نعتقد جزماً بأنَّه تعالىٰ محض الكمال فلا يصدر منه ما لا يتوافق مع الحكمة. وهو أحد تفسيرات قوله تعالىٰ: ﴿لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ۝٢٣﴾ (الأنبياء: ٢٣)، فإنَّه إذا كان حكيماً في كلِّ أفعاله فلا داعي للسؤال عنها ما دمنا نجزم بالحكمة فيها. وهو ما روي أنَّ جابراً سأل أبا جعفر عليه السلام: يا ابن رسول الله، وكيف لا يُسئل عمَّا يفعل؟ قال: «لأنَّه لا يفعل إلَّا ما كان حكمةً وصواباً...»[1].

ولا جور في حُكمه، فلا يخاف المرء من جوره جلَّ وعلا، إنَّما الخوف كلُّ الخوف من عدله، فإنَّ الله تعالىٰ لو أراد أن يتعامل معنا وفق العدل لأنتج ما قاله جلَّ وعلا: ﴿وَلَوْ يُؤاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِما كَسَبُوا ما تَرَكَ عَلىٰ ظَهْرِها مِنْ دَابَّةٍ وَلكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّىٰ فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللهَ كانَ بِعِبادِهِ بَصِيراً ۝٤٥﴾ (فاطر: ٤٥).

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ يُؤاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ ما تَرَكَ عَلَيْها مِنْ دَابَّةٍ وَلكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّىٰ فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ۝٦١﴾ (النحل: ٦١).

وفي دعاء الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة: «وَأَنْتَ الحَكَمُ العَدْلُ الَّذِي لَا يَجُورُ، وَعَدْلُكَ مُهْلِكِي، وَمِنْ كُلِّ عَدْلِكَ مَهْرَبِي، فَأن تُعَذِّبْنِي فَبِذُنُوبِي يا إِلٰهِي بَعْدَ حُجَّتِكَ عَلَيَّ، وَأن تَعْفُ عَنِّي فَبِحِلْمِكَ وَجُودِكَ وَكَرَمِكَ»[2].

وستعرف أيضاً أنَّ الله تعالىٰ ومن باب اللطف والجود والكرم لم يترك البشر عبثاً، ولم يهملهم من دون أن يُوضِّح لهم طريق النجاة في

---

(١) التوحيد للشيخ الصدوق (ص ٣٩٧/ باب الأطفال وعدل الله عزَّ وجلَّ فيهم/ ح ١٣).

(٢) إقبال الأعمال لابن طاووس (ج ٢/ ص ٨٣ و٨٤).

الدنيا والآخرة، فأرسل آلاف الأنبياء، ونصَّب الأوصياء، وأنزل الكُتُب، ووعد وأوعد، ولم يترك أمراً غامضاً إلَّا وقد جعل له مصابيح تنيره وتزيل عنه الغموض، إلىٰ الحدِّ الذي وصل إلىٰ ما قاله الرسول الأكرم ﷺ: «يا أيُّها الناس، والله ما من شيء يُقرِّبكم من الجنَّة ويباعدكم من النار إلَّا وقد أمرتكم به، وما من شيء يُقرِّبكم من النار ويباعدكم من الجنَّة إلَّا وقد نهيتكم عنه»[1].

وبالتالي فقد تمَّت الحجَّة علىٰ العبد، ولا حجَّة له في تقصيره، كيف، وقد روي عن الإمام جعفر بن محمّد عليهما السلام وقد سُئِلَ عن قوله تعالىٰ: ﴿فَلِلَّـهِ الْحُجَّـةُ الْبالِغَـةُ﴾ (الأنعام: ١٤٩)، فقال: «إنَّ الله تعالىٰ يقول للعبد يوم القيامة: عبدي أكنت عالماً؟ فإن قال: نعم، قال له: أفلا عملت بما علمت؟ وإن قال: كنتُ جاهلاً، قال له: أفلا تعلَّمت حتَّىٰ تعمل؟ فيخصمه، وذلك الحجَّة البالغة»[2]؟!

وهكذا نجد أنَّ معرفة الله تعالىٰ تدخل في جميع مفردات الدِّين، ومنه نعرف السرَّ في كون معرفته جلَّ وعلا أوَّل الدِّين.

النقطة الثانية: معرفة الله بين وبين!

هناك مفارقة معروفة في مسألة معرفة الله تعالىٰ، فبينما نجد الروايات الشريفة تُصرِّح بعدم قدرة، وباستحالة تعرُّف الإنسان علىٰ ذات الله تعالىٰ، كما يقول الإمام الصادق عليه السلام: «إيّاكم والتفكُّر في الله، فإنَّ التفكُّر في الله لا يزيد إلَّا تيهاً، إنَّ الله عزَّ وجلَّ لا تُدركه الإبصار، ولا يُوصَف بمقدار»[3].

---

(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ٢/ ص ٧٤/ باب الطاعة والتقوىٰ/ ح ٢).

(٢) أمالي الشيخ المفيد (ص ٢٢٧ و٢٢٨).

(٣) أمالي الشيخ الصدوق (ص ٥٠٣/ ح ٦٩٠/ ٣).

ويقول الإمام الجواد عليه السلام: «أوهام القلوب أدقُّ من أبصار العيون، أنت قد تُدرك بوهمك السِّند والهند والبلدان التي لم تدخلها ولا تُدركها ببصرك، فأوهام القلوب لا تُدركه، فكيف أبصار العيون؟!»[1].

ولكن في الوقت نفسه تُؤكِّد الروايات الشريفة علىٰ ضرورة معرفة الله تعالىٰ، وعلىٰ أنَّ معرفته جلَّ وعلا أوَّل الدِّين كما تقدَّم، وتُفرِّع علىٰ معرفته جلَّ وعلا الكثير من الآثار والثمرات.

فكيف التوفيق؟

إنَّ التوفيق يكون بالتالي:

أنَّ الروايات الناهية هي تنهىٰ عن الخوض في نفس حقيقة الله تعالىٰ ومعرفة كُنه ذاته، فهذا هو المستحيل علىٰ الإنسان، فإنَّ الله تعالىٰ لا محدود والإنسان محدود، والفاصلة بين المحدود واللّامحدود هي لا محدودة.

أمَّا الروايات التي أخذت علىٰ الإنسان أن يعرف الله تعالىٰ، فهي تقصد التالي:

أوَّلاً: معرفة الدليل علىٰ وجوده جلَّ وعلا:

والأدلَّة علىٰ وجوده تعالىٰ أشهر من نار علىٰ علم، وأوضح من الأمس، وأبين من الشمس، وهي بعدد أنفاس الخلائق كما قيل. وهي متعدِّدة ومتنوِّعة، فمنها الفلسفية، ومنها الكلامية، ومنها الطبيعية. وهي أيسرها وأوضحها، ولا تحتاج إلىٰ كثير عناء، فهي تأتي إلىٰ الأُمور الطبيعية في الحياة لتستدلَّ بها علىٰ وجود الله تعالىٰ.

وقد روي أنَّه سُئِلَ أمير المؤمنين عليه السلام عن إثبات الصانع، فقال:

---

(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ١/ ص ٩٩/ باب في إبطال الرؤية/ ح ١١).

«البعرة تدلُّ علىٰ البعير، والروثة تدلُّ علىٰ الحمير، وآثار القدم تدلُّ علىٰ المسير، فهيكل علوي بهذه اللطافة ومركز سفلي بهذه الكثافة كيف لا يدلّان علىٰ اللطيف الخبير؟!»[1].

ويُقال: إنَّه كان هناك فيلسوف لديه ألف دليل علىٰ نفي وجود الله، وأخذ علىٰ عاتقه أن يذهب ويناقش أحد العلماء، وفي الطريق مرَّ علىٰ فلّاح، فسأله: أين بيت العالم (فلان)؟ قال الفلّاح: ما تريد منه؟ أجاب الفيلسوف: لديَّ ألف دليل علىٰ عدم وجود الله. فردَّ عليه الفلّاح قائلاً: لا داعي لأن تذهب إلىٰ العالم، فأنا أُجيبك، عندي دليل واحد علىٰ وجود الله ينسف أدلَّتك الألف! أرضي الزراعية هذه، فأنا أفتح الماء هنا وأقطعه هناك فإن أهملتها ساعة واحدة مات الزرع، فأرض بمقدار دونم واحد إذا لم يكن لها ربٌّ تموت، وهذا العالم بأسره تنتظم أُموره بلا ربٍّ؟! إنَّه المستحيل بعينه!

فهذا هو نفس دليل (النظام)، لكن الرجل صاغه بعبارته.

ومن اللطائف التي تُنقَل عن الشيخ أبي الحسن عليِّ بن ميثم البحراني أنَّه دخل علىٰ الحسن بن سهل وإلىٰ جانبه ملحد قد عظَّمه والناس حوله، فقال: لقد رأيت ببابك عجباً، قال: وما هو؟ قال: رأيت سفينة تعبر بالناس من جانب إلىٰ جانب بلا ملّاح ولا ماصر، قال: فقال له صاحبه الملحد وكان بحضرته: إنَّ هذا - أصلحك الله - لمجنون، قال: فقلت: وكيف ذاك؟ قال: خشب جماد لا حيلة له ولا قوَّة ولا حياة فيه ولا عمل كيف يعبر بالناس؟ قال: فقال أبو الحسن: فأيُّهما أعجب هذا أو هذا الماء الذي يجري علىٰ وجه الأرض يمنة ويسرة بلا روح ولا

---

(١) بحار الأنوار للعلَّامة المجلسي (ج ٣/ ص ٥٥).

حيلة ولا قوىٰ، وهذا النبات الذي يخرج من الأرض، والمطر الذي ينزل من السماء، تزعم أنت أنَّه لا مدبِّر لهذا كلِّه، وتنكر أن تكون سفينة تُحرَّك بلا مدبِّر وتعبر بالناس؟! قال: فبهت الملحد[١].

ثانياً: معرفة صفاته الكمالية والجلالية، وأفعاله الحكيمة:

أي معرفة أنَّ الله تعالىٰ متَّصف بكلِّ صفات الكمال، وهو تعالىٰ يجلُّ عن أيِّ صفة من صفات النقص، فهو الكمال المطلق، وهو الغنيُّ المطلق، وهذا الأمر أيضاً واضح للعيان.

وأُحِبُّ أن أُلفت النظر إلىٰ أنَّه ينبغي علىٰ المسلم أن يتخلَّق بأخلاق الله تعالىٰ، بمعنىٰ أن يعمل علىٰ أن يتَّصف بصفاته الكمالية، وأن يتَّخذها منهجاً عملياً في حياته، فينظر إلىٰ الصفات التي وصف الله تعالىٰ بها نفسه فيعمل علىٰ الاتِّصاف بها هو.

فمن كلام للإمام الصادق عليه السلام: «... فتأدَّبوا أيُّها النفر بآداب الله عزَّ وجلَّ للمؤمنين»[٢].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «من تأدَّب بآداب الله عزَّ وجلَّ أدّاه إلىٰ الفلاح الدائم»[٣].

وعنه عليه السلام: «ومن لم يصلح علىٰ أدب الله لم يصلح علىٰ أدب نفسه»[٤].

وروي أنَّ جبرئيل عليه السلام هبط إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: «يا رسول الله، إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقرأ عليك السلام، ويقول لك: اقرأ: ﴿لا تَمُدَّنَّ

---

(١) الفصول المختارة للشيخ المفيد (ص ٧٦).

(٢) تحف العقول لابن شعبة الحرّاني (ص ٣٥٣).

(٣) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي (ج ٨٩/ ص ٢١٤).

(٤) عيون الحِكَم والمواعظ لعليِّ بن محمّد الليثي الواسطي (ص ٤٦٣).

عَيْنَيْكَ إِلىٰ ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ﴾ [الحجر: ٨٨]، فأمر النبيُّ ﷺ منادياً ينادي: من لم يتأدَّب بأدب الله تقطَّعت نفسه علىٰ الدنيا حسرات»[1].

وبعبارة واضحة: أنَّ ملاك حسن الأخلاق وفضائل الملكات هو وجود مثلها أو ما يناسبها في صفات الله تعالىٰ، مثلاً الله كريم يُحِبُّ الكرم، فالكرم من الملكات الفاضلة. وحليم يُحِبُّ الحلم. والجود حسنٌ لأنَّ الله جواد...

وبالجملة: هو الموجود الكامل الجامع لجميع الكمالات المنزَّه من جميع النقائص، وتحصيل كلِّ كمال تشبه بالخالق تعالىٰ. وما يُسلَب عنه كالجسمية والمحسوسية والمكان والزمان والتركيب وأمثال ذلك من صفات النقص، ويجب الترفُّع عنها علىٰ الإنسان بقدر استطاعته، وهو معنىٰ التقرُّب إلىٰ الله وجعله غاية للعبادات[2].

ومعه، ينبغي علىٰ المؤمن أن يكون رحيماً بالناس ليرحمه الله تعالىٰ، وينبغي عليه أن يكون ودوداً معهم، وينبغي أن يكون صبوراً، شكوراً، عزيزاً، جليلاً...، إلىٰ آخر الصفات الكمالية له جلَّ وعلا.

ويدخل ضمن هذه المعرفة معرفة أنَّ أفعال الله تعالىٰ كلَّها حكيمة ولا لغو ولا عبث فيها، ولذلك أرسل الأنبياء ونصَّب الأوصياء، لأجل هداية الناس وتزكيتهم...

تنبيه:

العلم المختصُّ بإثبات وجوده تعالىٰ وصفاته جلَّ وعلا هو علم

---

(١) فقه الرضا لعليِّ بن بابويه (ص ٣٦٤).

(٢) شرح أُصول الكافي لمولىٰ محمّد صالح المازندراني (ج ٨/ هامش ص ٣٤٧).

الكلام، فينبغي للمؤمن أن يأخذ من هذا العلم ما أمكنه، خصوصاً في هذا الزمن حيث سهل كثيراً أخذ العلم من خلال برامج الإنترنيت المتوفِّرة.

ثالثاً: معرفته السلوكية - إذا صحَّ التعبير -:

بمعنىٰ المعرفة التي أرادها الله تعالىٰ منّا اتِّجاهه، والتي تأتي بعد التسليم بوجوده وبربوبيته جلَّ وعلا، وتكون دافعة للإنسان علىٰ اتِّخاذ سلوك معيَّن في الحياة، هذه المعرفة هي التي تجعل الإنسان ملتزماً بأوامر الله تعالىٰ ومنتهياً عن نواهيه.

إنَّ هذه المعرفة المطلوبة قد حدَّدتها الروايات الشريفة بأوضح بيان، فعن جابر، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «إنَّما يعرف الله عزَّ وجلَّ ويعبده من عرف الله وعرف إمامه منّا أهل البيت، ومن لا يعرف الله عزَّ وجلَّ ولا يعرف الإمام منّا أهل البيت فإنَّما يعرف ويعبد غير الله، هكذا والله ضُلّالاً»[1].

وعن أبي حمزة الثمالي، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «يا أبا حمزة، إنَّما يعبد الله من عرف الله، وأمَّا من لا يعرف الله كأنَّما يعبد غيره، هكذا ضالًّا»، قلت: أصلحك الله وما معرفة الله؟ قال: «يُصدِّق الله، ويُصدِّق محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في موالاة عليٍّ، والائتمام به وبأئمَّة الهدىٰ من بعده، والبراءة إلىٰ الله من عدوِّهم، وكذلك عرفان الله...»[2].

---

(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ١/ ص ١٨١/ باب معرفة الإمام والردّ إليه/ ح ٤).

(٢) تفسير العيّاشي (ج ٢/ ص ١١٦)؛ وبحار الأنوار للعلَّامة المجلسي (ج ٢٧/ ص ٥٧ و٥٨). وذكر الشيخ بياناً لهذا الحديث قال فيه: (قوله: هكذا، كأنَّه عليه السلام أشار إلىٰ الخلف أو إلىٰ اليمين والشمال، أي حاد عن الطريق الموصِل إلىٰ النجاة، فلا يزيده كثرة العمل إلَّا بُعداً عن المقصود كمن ضلَّ عن الطريق...).

إذن، معرفة الله تعالىٰ تتضمَّن الاعتراف بمن أرسل، وبمن نصَّب خليفة لمن أرسل، وموالاتهم، ومعاداة أعدائهم، وهذه من الأُصول الثابتة لدينا، والتي ثبت الدليل عليها في محلِّه.

النقطة الثالثة: ثغرات معرفية:

عندما نتابع أنفسنا نجد أنَّ الكثير منّا يؤمن بالأُصول العامَّة للدِّين، وهو ملتزم بها نوعاً ما، ولكن هناك بعض الثغرات المريرة التي لا بدَّ أن يلتفت إليها المؤمن، وأن لا يستخفَّ بها، وأن يعمل علىٰ تقوية نفسه فيها، وعلىٰ سدِّ ما انفتح من تلك الثغرات، ومنها التالي:

الثغرة الأُولىٰ:

الإيمان عن تقليد أعمىٰ، بمعنىٰ أنَّنا نشأنا في بيئة شيعية فانتهجنا التشيُّع في حياتنا، والله وحده العالم أنَّنا لو نشأنا في بيئة يهودية أو مسيحية ماذا سنكون؟!

ما يُراد التنبيه عليه هنا هو: أنَّنا حيث منَّ الله تعالىٰ علينا بأن وُلِدْنا في بيئة مؤمنة فعلينا أن لا نكتفي بإيماننا الموروث - وإن كان حقًّا -، بل علينا أن نبحث عن الأساسات القويَّة التي ابتنىٰ عليها إيمان آبائنا.

علينا أن نبحث عن كلِّ عقيدة من عقائدنا ونعرف الدليل القطعي علىٰ حقّانيتها.

والأمر قد يكون صعباً، ولكنَّه ممكن علىٰ كلِّ حالٍ، وإنَّما يحتاج إلىٰ بذل جهد متوسِّط، بأن يجعل المؤمن من همِّه أن يتعرَّف علىٰ عقائده يومياً ولو بمعدّل ربع ساعة فقط، ولن يطول به الزمن حتَّىٰ يرىٰ نفسه أنَّه صار عارفاً بدينه وأُصوله، وبمرتبة تسمح له بالافتخار بابتناء عقيدته علىٰ تلك الأُسس العلمية واليقينية المتينة.

إنَّ الدِّين الحقَّ يريد منّا قوَّةً في اليقين، بحيث يكون المؤمن أصلب من

جبل، فقد روي أنَّه قال أمير المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد: «الناس ثلاثة: فعالم ربّاني، ومتعلِّم علىٰ سبيل نجاة، وهمج رعاع، أتباع كلِّ ناعق يميلون مع كلِّ ريح، لم يستضيؤوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلىٰ ركن وثيق»[١].

ملاحظة مهمَّة جدًّا:

نحن نعلم أنَّه يُشترَط في أُصول الدِّين الوصول إلىٰ الجزم واليقين فيها من خلال الدليل القطعي الذي لا يقبل الشكَّ، ولكن تواجهنا هنا عدَّة إشكاليات:

أوَّلاً: أنَّ تحصيل اليقين بكلِّ مسألة مسألة من أُصول الدِّين يحتاج إلىٰ تخصُّص، وبالتالي فهو يحتاج إلىٰ تفرُّغ يفتقر إليه الكثير من الناس.

ثانياً: أنَّ هناك العديد من المسائل العقائدية هي صعبة جدًّا علىٰ إدراك العامَّة من الناس، وبالتالي يصعب عليهم كثيراً الخوض في تفاصيلها.

ثالثاً: أنَّ أكثر الناس اليوم يُقلِّدون علماءهم في أُصول الدِّين، وهذا واقع لا يقبل الشكَّ.

والجواب عن هذه الإشكاليات بالتالي:

أوَّلاً: علينا أن نُسلِّم أنَّ علم أُصول الدِّين هو من العلوم الدقيقة والتي تحتاج إلىٰ تخصُّص، فهذا ما لا يمكن إنكاره، وبالتالي فمن الخطأ المنهجي والمعرفي أن يأتي غير المتخصِّص ليدسَّ أنفه في دهاليز هذا العلم الدقيق.

ثانياً: هناك بعض المسائل العقائدية التي تحتاج إلىٰ تخصُّص من نوع عالٍ، كمسائل القضاء والقدر مثلاً، وهذه ينبغي للمؤمن أن لا يدخل في تفاصيلها إلَّا بعد أن يخوض شوطاً طويلاً في التعرُّف علىٰ المسائل العقائدية ومعرفة أدلَّتها التفصيلية. ويكفي منه أن يتعبَّد بها، أي أن يؤمن بها كما أمره أهل البيت عليهم السلام ولو من دون معرفة الدليل عليها.

---

(١) نهج البلاغة (ج ٤/ ص ٣٥ و٣٦).

ثالثاً: يمكننا الخروج عن التقليد المذموم في أُصول الدِّين من خلال معرفة الأساسات التي كانت وراء العقيدة، بمعنىٰ أنَّه يمكن للمؤمن أن يسأل العالم أو المتخصِّص في أُصول الدِّين عن مسائله العقائدية، وعن الدليل الذي كان وراءها، ويمكنه أن يستمع الدليل ويفهمه من موقعه هو ومستواه العلمي، وبالتالي لا يكون تقليده للعالم في تلك المسألة العقدية تقليداً أعمىٰ، أي من دون معرفة الدليل، بل سيكون تقليداً منكشف الوجه والدليل، وهو مقبول إلىٰ حدٍّ ما في أُصول الدِّين.

الثغرة الثانية:

عدم الاهتمام بالبحث عن أُصول الدِّين، خصوصاً الخلافية منها، كمسائل الإمامة، والاكتفاء بالثقافة الانتقائية أو السطحية جدًّا، وجعل التدقيق فيها أمراً هامشياً.

إنَّ عدم الاهتمام بهذا الأمر الدِّيني يستلزم عادةً فراغ الذهن عن أدلَّة العقيدة، وبالتالي قد تهتزُّ تلك العقيدة عند أوَّل ريح تهب، وعند أوَّل اختبار فعلي لها. هذا فضلاً عن إفرازها وهناً في محاولة إثبات العقيدة إلىٰ الآخر من أجل هدايته إلىٰ الحقِّ، وقد تُفرز تقهقراً تلقائياً من أيِّ نقاش يدور حول العقيدة مع الطرف الآخر.

وحتَّىٰ نخرج من هذا الواقع المؤلم علينا أن نضع في الحسبان أنَّ معركتنا الحقيقية مع الأطراف الأُخرىٰ هي معركة أُصول وأساسات، وبالتالي فهي معركة وجود. وأنَّ كلَّ واحدٍ منّا مطالَب بأن يكون جندياً في صفِّ المدافعين عن المبدأ، كلٌّ من موقعه. وإن لم يستطع أحدنا أن يعمل شيئاً حيال هذا الوضع فعليه أن يستعين بالمتخصِّص في هذا المجال، ولا يبقىٰ علىٰ التلِّ متفرِّجاً فقط.

ومنه نعرف القيمة الحقيقية للعلماء الأكارم الذين وقفوا أنفسهم

علىٰ الخطِّ الأوَّل للصدِّ ضدَّ العدوِّ، فلولاهم لاقتحمنا العدوُّ منذ أمد بعيد، ولكنّا اليوم في هاوية الابتعاد عن الدِّين الحقِّ، فلنعرف قيمة علمائنا، ولا نَبخسْهم حقَّهم، ولنتذكَّر قول إمامنا الهادي عليه السلام فيهم:

«لولا من يبقىٰ بعد غيبة قائمكم عليه السلام من العلماء الداعين إليه، والدالّين عليه، والذابّين عن دينه بحُجج الله، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته، ومن فخاخ النواصب، لما بقي أحد إلَّا ارتدَّ عن دين الله، ولكنَّهم الذين يُمسِكون أزمَّة قلوب ضعفاء الشيعة، كما يمسك صاحب السفينة سُكّانها، أُولئك هم الأفضلون عند الله عزَّ وجلَّ»[١].

الثغرة الثالثة:

عدم الاهتمام بفكر الأبناء، وتركهم عرضةً للشبهات التي تنخر في عقل الشابِّ الفارغ. ولا شكَّ أنَّ تقصير الآباء في تعليم أبنائهم العقيدةَ وفق أُسس علمية رصينة له دخل في انحرافاتهم العقائدية في المستقبل، لذا روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّه قال: «بادروا أولادكم [أحداثكم] بالحديث قبل أن يسبقكم إليهم المرجئة[٢]»[٣].

وعن أبي عبد الله جعفر بن محمّد عليه السلام أنَّه قال: «لا يزال العبد المؤمن يُورِّث أهل بيته العلم والأدب الصالح حتَّىٰ يُدخِلهم الجنَّة جميعاً،

---

(١) الاحتجاج للشيخ الطبرسي (ج ٢/ ص ٢٦٠).

(٢) أي علِّموهم في شرخ شبابهم، بل في أوائل إدراكهم وبلوغهم التمييز من الحديث ما يهتدون به إلىٰ معرفة الأئمَّة عليهم السلام والتشيُّع قبل أن يغويهم المخالفون ويُدخلوهم في ضلالتهم، فيعسر بعد ذلك صرفهم عن ذلك، والمرجئة في مقابلة الشيعة من الإرجاء بمعنىٰ التأخير لتأخيرهم عليًّا عليه السلام عن مرتبته. وقد يُطلَق في مقابلة الوعيدية إلَّا أنَّ الأوَّل هو المراد هنا. (هامش المصدر).

(٣) الكافي للشيخ الكليني (ج ٦/ ص ٤٧/ باب تأديب الولد/ ح ٥).

حتَّىٰ لا يفقد منهم صغيراً ولا كبيراً ولا خادماً ولا جاراً، ولا يزال العبد العاصي يُورِّث أهل بيته الأدب السيِّئ حتَّىٰ يُدخِلهم النار جميعاً، حتَّىٰ لا يفقد فيها من أهل بيته صغيراً ولا كبيراً ولا خادماً ولا جاراً»[1].

وينبغي أن لا نغفل العوامل الخارجية الأُخرىٰ التي تُؤثِّر علىٰ أبنائنا، من رفقة ومدرسة وبيئة، فعلىٰ الأبوين أن يعملا علىٰ توفير المناسب من كلِّ تلك الظروف لتنشئة أولادهم وفق المعايير الصحيحة للإيمان، وبالتالي النجاة.



(١) دعائم الإسلام للقاضي النعمان المغربي (ج ١/ ص ٨٢).

المفردة الثانية:

الاستخفاف والتهاون بالمراقبة الإلهيّة

- الخطر: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللّهِ﴾.
- الأثر: ﴿نَسُوا اللّهَ فَأنساهُمْ أنفُسَهُمْ﴾.
- التوصية: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ﴾.

تقدَّم أنَّ واحدة من المفردات التي يلزم علىٰ المؤمن التزامها في ما يتعلَّق بمعرفة الله تعالىٰ هي مفردة المعرفة السلوكية، وهنا نريد القول:

إنَّ ترجمة هذه المعرفة إلىٰ سلوك عملي يحتاج إلىٰ صفة أُخرىٰ لا بدَّ أن يعيشها الفرد المؤمن، حتَّىٰ تتحوَّل إلىٰ منهج لحياته، وحتَّىٰ يُترجمها إلىٰ سلوك عملي يلتزمه علىٰ الدوام.

وتلك الصفة التي لا بدَّ من الإيمان العملي بها هي صفة (**المراقبة الإلهيَّة**).

وحتَّىٰ تتَّضح الصورة نذكر عدَّة نقاط:

النقطة الأولى: معنى الاهتمام بالمراقبة الإلهيَّة:

معنىٰ ذلك:

هو أن يكون المؤمن علىٰ معرفة تامَّة بأنَّ الله تعالىٰ مُطَّلع علىٰ الإنسان، ومراقب له في كلِّ أحواله وحركاته وسكناته. وأنَّه تعالىٰ لا يغيب عنه مثقال حبَّة في السماوات فضلاً عن الأرض، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْأنسانَ وَنَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ (ق: ١٦ - ١٨).

وقال تعالىٰ: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ ما لا يَرْضىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكانَ اللهُ بِما يَعْمَلُونَ مُحِيطاً ﴿١٠٨﴾﴾ (النساء: ١٠٨).

وقال تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُ خائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَما تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ (غافر: ١٩).

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرىٰ ﴿١٤﴾﴾ (العلق: ١٤).

وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ يَعْلَمُ ما يَلِجُ فِي الْأَرضِ وَما يَخْرُجُ مِنْها وَما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ وَما يَعْرُجُ فِيها وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ وَاللهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ (الحديد: ٤).

يقول الشاعر سعدي الشيرازي[1]:

قد نغلق الباب علىٰ نفسنا ... كيلا ترىٰ عيوبَنا الأعينُ

وليس يجدي غلقُه عند مَنْ ... يعلم ما نُخفي وما نُعْلِنُ

وبعد هذه المعرفة النظرية لا بدَّ علىٰ المؤمن أن يُترجمها إلىٰ سلوك عملي يعكس معرفته بالله تعالىٰ وخشيته منه، وسيكون عنده حينئذٍ إحساس بمعنىٰ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ﴾، ويُطبِّق ذلك الإحساس في سلوكه، تماماً كما كان يعيش أهل البيت عليهم السلام والصالحون من هذه الأُمَّة هذه المعاني.

ولا يكفي في هذه المعرفة أن يحشو الفرد ذهنه بآيات وأحاديث ومعلومات عن هذه الصفة، ولا يكفي أن يكتبها في دفتر مذكِّراته، ولا أن يسطرها بماء الذهب، ولا أن يُحدِّث بها في كلِّ مقعدٍ. إنَّما المهمُّ فيها هو الالتزام العملي بها، وأن يعيش الفرد حالة المراقبة الإلهيَّة في فعله وقوله ونظره وسمعه ولسانه وجميع ما يصدر منه وما يرد إليه.

هكذا يستفيد الإنسان من هذه الصفة، وهكذا يكون عارفاً بالله تعالىٰ.

---

(١) ديوان روضة الورد (ص ١١٨).

النقطة الثانية: مؤشِّرات المراقبة:

حتَّىٰ يكون المرء علىٰ بيِّنة من أمره، وحتَّىٰ لا يخدع نفسه، وحتَّىٰ لا يكون من الذين يخالف فعلُهم قولَهم، ذكرت الروايات الشريفة مؤشِّرات واضحة لمن يعيش أو يريد أن يعيش المراقبة الإلهيَّة عن جِدٍّ.

عن أبي حمزة، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «من عرف الله خاف الله، ومن خاف الله سخت نفسه عن الدنيا»[١].

وعن رسول الله صلّى الله عليه وآله: «من عرف الله وعظَّمه منع فاه من الكلام[٢]، وبطنه من الطعام، وعفىٰ[٣] نفسه بالصيام والقيام»، قالوا: بآبائنا وأُمَّهاتنا يا رسول الله، هؤلاء أولياء الله؟ قال: «إنَّ أولياء الله سكتوا فكان سكوتهم ذِكراً، ونظروا فكان نظرهم عبرةً، ونطقوا فكان نطقهم حكمةً، ومشوا فكان مشيهم بين الناس بركةً، لولا الآجال التي قد كتب الله عليهم لم تقرّ أرواحهم في أجسادهم خوفاً من العذاب، وشوقاً إلىٰ الثواب»[٤].

---

(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ٢/ ص ٦٨/ باب الخوف والرجاء/ ح ٤).

(٢) أي من فضوله. وكذا الطعام، فإنَّ الإكثار منه يورث الثقل عن العبادة. ويحتمل أن يكون كناية عن الصوم. (من المصدر).

(٣) أي جعلها صافية خالصة، أو جعلها مندرسة ذليلة خاضعة... والأظهر ما في المجالس وغيره وأكثر نسخ الكتاب (عنّا) بالعين المهملة والنون المشدَّدة، أي أتعب. والعناء بالفتح والمدِّ النصب. (من المصدر).

(٤) الكافي للشيخ الكليني (ج ٢/ ص ٢٣٧/ باب المؤمن وعلاماته وصفاته/ ح ٢٥).

وفي بحار الأنوار للعلَّامة المجلسي (ج ٦٦/ ص ٢٨٨ - ٢٩٤)، قال قدس سره نقلاً عن الشيخ البهائي قدس سره:

(قد اشتمل هذا الحديث علىٰ المهمِّ من سمات العارفين وصفات الأولياء الكاملين.

فأوَّلها: الصمت وحفظ اللسان الذي هو باب النجاة. ⇦

إنَّ خلاصة علامة تفعيل المراقبة الإلهيَّة هو الخوف من الله تعالىٰ وخشيته، هذا الخوف وتلك الخشية التي يتفرَّع عليها سخاء النفس عن الدنيا، وإذا سخت النفس عن الدنيا سيثمر ما ذكره رسول الله ﷺ مِنْ مَنْع الفم من الكلام في اللغو والباطل، وحَصْره بالحقِّ، ومَنْع البطن من الحرام والشبهات، وتعويد النفس الصيام والقيام.... إلىٰ آخر ما ذكره الرسول الأعظم ﷺ في حديثه.

⇦ وثانيها: الجوع، وهو مفتاح الخيرات.

وثالثها: إتعاب النفس في العبادة بصيام النهار وقيام الليل، وهذه الصفة ربَّما توهَّم بعض الناس استغناء العارف عنها وعدم حاجته إليها بعد الوصول، وهو وهم باطل، إذ لو استغنىٰ عنها أحد لاستغنىٰ عنها سيِّد المرسَلين وأشرف الواصلين، وقد كان عليه السلام يقوم في الصلاة إلىٰ أن ورمت قدماه، وكان أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام الذي إليه ينتهي سلسلة أهل العرفان يُصلّي كلَّ ليلة ألف ركعة، وهكذا شأن جميع الأولياء والعارفين، كما هو في التواريخ مسطور، وعلىٰ الألسنة مشهور.

ورابعها: الفكر، وفي الحديث: «تفكُّر ساعة خير من عبادة ستِّين سنة»، قال بعض الأكابر: إنَّما كان الفكر أفضل لأنَّه عمل القلب، وهو أفضل من الجوارح، فعمله أشرف من عملها. ألَا ترىٰ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿أَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]؟ فجعل الصلاة وسيلةً إلىٰ ذِكر القلب، والمقصود أشرف من الوسيلة.

وخامسها: الذِّكر، والمراد به الذِّكر اللساني، وقد اختاروا له كلمة التوحيد لاختصاصها بمزايا ليس هذا محلُّ ذكرها.

وسادسها: نظر الاعتبار، كما قال سبحانه: ﴿فَاعْتَبِرُوا يا أُولِي الْأَبْصارِ﴾ [الحشر: ٢].

وسابعها: النطق بالحكمة، والمراد بها ما تضمَّن صلاح النشأتين أو صلاح النشأة الأُخرىٰ من العلوم والمعارف، أمَّا ما تضمَّن صلاح الحال في الدنيا فقط فليس من الحكمة في شيء.

وثامنها: وصول بركتهم إلىٰ الناس.

وتاسعها وعاشرها: الخوف والرجاء...

وهذه الصفات العشر إذا اعتبرتها وجدتها أُمَّهات صفات السائرين إلىٰ الله تعالىٰ يسَّر الله لنا الاتِّصاف بها بمنِّه وكرمه).

هذا الخوف من الله تعالىٰ سيثمر فيما يثمر أنَّ الله تعالىٰ سيهب لك هيبةً في نفوس الموجودات، كما روي عن الهيثم بن واقد، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «من خاف الله أخاف الله منه كلَّ شيء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كلِّ شيء»[1].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ المؤمن يخشع له كلُّ شيء، ويهابه كلُّ شيء»، ثمّ قال: «إذا كان مخلصاً لله أخاف الله منه كلَّ شيء، حتَّىٰ هوام الأرض وسباعها وطير السماء»[2].

النقطة الثالثة: تفرُّعات المراقبة الإلهيَّة:

أن يعيش الفرد المراقبة الإلهيَّة، هذا يعني أنَّه يعيش في حياته تحت ما يشبه كاميرا المراقبة المستمرَّة، ولكنَّها من النوع الذي لا يُصوِّر الظاهر فقط، وإنَّما يُصوِّر الباطن أيضاً، بل هي تستنسخ نفس العمل وتحفظه في كتاب لا يضلُّ أبداً.

هذه المراقبة، وحتَّىٰ يعيشها الفرد، عليه أن يعرف تفرُّعاتها، وهي عديدة، نذكر منها:

التفرُّع الأوَّل: مراقبة المؤمن لنفسه:

وتعني أن يلاحظ المؤمن نفسه وأعماله بعد أن كان قد عاهد الله تعالىٰ أن لا يعبد غيره، ولا يستعين بغيره عندما يقول يومياً في صلواته: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ (الفاتحة: ٥)، فيراقب نفسه هل تتوكَّل علىٰ غير الله تعالىٰ؟ وهل تتناسىٰ وجود الله تعالىٰ؟ وهل تعمل بما يُرضي الله تعالىٰ أو بما يُسخِطه؟

---

(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ٢/ ص ٦٨/ باب الخوف والرجاء/ ح ٣).

(٢) صفات الشيعة للشيخ الصدوق (ص ٣٦).

فأنت في كلِّ حركـةٍ وكـلِّ نَفَـسٍ وكـلِّ تصـرُّفٍ لا تخلـو إمَّـا أن تكـون قـد عملـت بـما يُـرضي الله تعـالىٰ، أو بـما يُسـخِطه. وتـأتي أهمّيـة المراقبـة هنـا لتأخذ بيد المؤمن إلىٰ ما يُرضي الله تعالىٰ ويُبعِده عن سخطه.

وهـذا الأمـر أكَّـدت عليـه الروايـات الشـريفة كثـيراً. وربَّـما عـبَّرت عنـه بالمحاسـبة، والحقيقـة أنَّ المحاسـبة هـي نتيجـة طبيعيـة لمراقبـة المـرء لنفسـه. وربَّـما عـبَّرت عنـه بعـض الروايـات الأُخـرىٰ بعـرض الأعـمال علىٰ القرآن الكريم.

عـن النبـيِّ ﷺ: «حاسـبوا أنفسـكم قبـل أن تُحاسَـبوا، وزنوهـا قبـل أن توزنوا، وتجهَّزوا للعرض الأكبر»[1].

ونُقِـلَ عـن أحـد الأشـخاص يقـال لـه: (توبـة بـن صـمة) أنَّـه كـان يحاسب نفسه في أكثر أوقـات الليـل والنهـار، وفي أحـد الأيّـام حاسـب نفسـه عن ما مضـىٰ مـن أيّـام عمـره، وكـان قـد مضـىٰ مـن عمـره ستّون سـنة. فحسب أيّامها فرأىٰ أنَّهـا تصـير [حـوالي] (واحـداً وعشـرين ألفـاً وخمسـمائة يـوم). فقـال: الويـل لي إذا لاقيـت مالكـاً بواحـد وعشـرين ألفـاً وخمسـمائة ذنب! فعندما قال ذلك أُغمي عليه، ومات في إغمائه ذلك[2].

أسباب الاستخفاف في هذا التفرُّع:

إنَّ الاستخفاف هنا يكون بـأن ينسـىٰ المـرء ربَّـه، وذلـك سـيُنتِج نتيجـة حتمية خطرة جدًّا هي: نسـيان الـنفس. وتتحقَّـق هـذه النتيجـة الخطـرة لعـدَّة أسباب مردُّها إلىٰ: نسيان الأهمّ والانشغال بغير المهمِّ.

وأهمُّ تلك الأسباب هي التالي:

---

(١) وسائل الشيعة للحرِّ العاملي (ج ١٦/ ص ٩٩/ ح ٢١٠٨٢/ ٩).

(٢) منازل الآخرة والمطالب الفاخرة للشيخ عبّاس القمّي (ص ٢٢٣).

السبب الأوَّل: اتِّخاذ الدِّين لهواً ولعباً:

وعدم الانضباط وفق قوانينه، بل التعامل معه تعاملاً انتقائياً، فيأخذ منه ما يصبُّ في مصلحته الشخصية الدنيوية، ويرفض ما دونه. الأمر الذي يعني الاغترار بالدنيا والانشغال عن الآخرة، فهذا سيؤدّي إلىٰ أنَّ الله تعالىٰ يتعامل معهم يوم القيامة معاملة المنسيِّ الذي لا يتذكَّره أحد، بسبب فسقهم في الحياة من خلال ذلك التعامل الانتقائي.

قال تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيا فَالْيَوْمَ نَنْساهُمْ[1] كَما نَسُوا لِقاءَ يَوْمِهِمْ هذا وَما كانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾ (الأعراف: ٥١)[2].

ولذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «فَإِنَّه وَالله الْجِدُّ لَا اللَّعِبُ، وَالْحَقُّ لَا الْكَذِبُ، وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ أَسْمَعَ دَاعِيه، وَأَعْجَلَ حَادِيه، فَلَا يَغُرَّنَّكَ سَوَادُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ، فَقَدْ رَأَيْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِمَّنْ جَمَعَ الْمَالَ وَحَذِرَ الإِقْلَالَ وَأَمِنَ الْعَوَاقِبَ طُولَ أَمَلٍ وَاسْتِبْعَادَ أَجَلٍ، كَيْفَ نَزَلَ بِه

---

(١) في تفسير عليِّ بن إبراهيم القمّي (ج ١/ ص ٢٣٥): (فاليوم ننساهم) أي نتركهم، والنسيان منه عزَّ وجلَّ هو الترك.

(٢) في تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي (ج ٤/ ص ٢٦٥): ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً﴾ أي أعدُّوا دينهم الذي أمرهم الله تعالىٰ به للهو واللعب، دون التديُّن به. وقيل: معناه: اتَّخذوا دينهم الذي كان يلزمهم التديُّن به والتجنُّب من محظوراته لعباً ولهواً، فحرَّموا ما شاؤوا، واستحلُّوا ما شاؤوا بشهواتهم. ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا﴾ أي اغترُّوا بها وبطول البقاء فيها، فكأنَّ الدنيا غرَّتهم. ﴿فَالْيَوْمَ نَنْساهُمْ كَما نَسُوا لِقاءَ يَوْمِهِمْ هذا وَما كانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾ أي نتركهم في العذاب كما تركوا التأهُّب والعمل للقاء هذا اليوم. عن ابن عبّاس والحسن ومجاهد. وقيل: معناه: نعاملهم معاملة المنسيِّ في النار، فلا نُجيب لهم دعوة، ولا نرحم لهم عبرة، كما تركوا الاستدلال حتَّىٰ نسوا العلم، وتعرَّضوا للنسيان. عن الجُبّائي.

المَوْتُ فَأَزْعَجَه عَنْ وَطَنِه، وَأَخَذَه مِنْ مَأْمَنِه، مَحْمُولًا عَلَىٰ أَعْوَادِ المَنَايَا، يَتَعَاطَىٰ بِه الرِّجَالُ الرِّجَالَ، حَمْلًا عَلَىٰ المَنَاكِبِ، وَإِمْسَاكاً بِالأَنَامِلِ»[(١)].

السبب الثاني: عدم النهي عن المنكر والباطل:

فإنَّ الله تعالىٰ قد أخذ علىٰ العارفين بالحقِّ وبالباطل أن ينهوا عن الباطل إذا وقع، وأن لا يقفوا متفرِّجين عليه، خوفاً من أن يتحوَّل من فعل شخصي إلىٰ ظاهرة تسود المجتمع. وبالتالي سيؤدّي ذلك إلىٰ نسيان المراقبة الإلهيَّة، والتعامل مع الكون عموماً معاملة المنقطع عن ربِّه، الذي لا علاقة لربِّه به. الأمر الذي يعني فوضىٰ معرفية تعقبها فوضىٰ سلوكية.

قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذابٍ بَئِيسٍ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ (الأعراف: ١٦٥).

وقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام في تفسير هذه الآية أنَّه قال: «كانوا ثلاثة أصناف: صنف ائتمروا وأَمَروا فنجوا، وصنف ائتمروا ولم يأمروا فمُسخوا ذرًّا، وصنف لم يأتمروا ولم يأمروا فهلكوا»[(٢)].

---

(١) نهج البلاغة (ج ٢/ ص ١٤ و١٥).

(٢) الكافي للشيخ الكليني (ج ٨/ ص ١٥٨/ ح ١٥١). وفي شرح أُصول الكافي للمولىٰ محمّد صالح المازندراني (ج ١٢/ ص ١٧٧ و١٧٨) ما نصُّه: (قوله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ﴾: لعلَّ المراد بالنسيان لازمه، وهو ترك ما يوجب الثواب وفعل ما يوجب العقاب، لشباهتهم بالناس في ذلك. «صنف ائتمروا»: أي قبلوا الأمر والنهي وامتثلوا، «وأمروا» بالمعروف «ونهوا» عن المنكر، «فنجوا» من العقوبة الدنيوية والأُخروية. «وصنف ائتمروا ولم يأمروا فمُسخوا ذرًّا»، للمداهنة والمساهلة مع أهل المعاصي في السكوت عمَّا رأوا منهم من المنكرات، فمن شاهد معصية ولم ينه عنها فهو عاص أيضاً، وربَّما ساقه ذلك إلىٰ فعل منكر والمشاركة مع أهله، وعلىٰ التقديرين يستحقُّ العقوبة. ويُفهَم منه أنَّ الأمر بالمعروف عند قيام بعض به لا يسقط عن غيره إذا لم يأتمر العاصي، بل وجب عليه أيضاً، فلعلَّه يأتمر بتظاهرهم وتعاونهم).

السبب الثالث: النفاق:

قال تعالىٰ: ﴿الْمُنافِقُونَ وَالْمُنافِقاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنافِقِينَ هُمُ الْفاسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ (التوبة: ٦٧).

فهذا هو حال المنافقين، «يعني نسوا الله في دار الدنيا، لم يعملوا بطاعته، فنسيهم في الآخرة، أي: لم يجعل لهم في ثوابه شيئاً، فصاروا منسيِّين من الخير»[١].

والنتيجة من كلِّ ذلك هي:

أنَّ المرء سينسىٰ نفسه تماماً، فينسىٰ لماذا خلقه الله تعالىٰ، وما هو الهدف الذي أوجده الله تعالىٰ من أجله في هذه الحياة، وسينسىٰ بذلك آخرته، بل سينسىٰ حتَّىٰ خالقه جلَّ وعلا، وبالتالي سيكون الخاسر الوحيد هو المرء نفسه لا غير. قال تعالىٰ: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْساهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ (الحشر: ١٩).

والنقطة الجديرة بالملاحظة:

أنَّ القرآن الكريم يعلن هنا - بصراحة - أنَّ الغفلة عن الله تُسبِّب الغفلة عن الذات. ودليل ذلك واضح أيضاً، لأنَّ نسيان الله يؤدّي من جهة إلىٰ انغماس الإنسان في اللذّات المادّية والشهوات الحيوانية، وينسىٰ خالقه، وبالتالي يغفل عن ادِّخار ما ينبغي له في يوم القيامة.

ومن جهة أُخرىٰ فإنَّ نسيان الله ونسيان صفاته المقدَّسة، وأنَّه سبحانه هو الموجود المطلق والعالم اللامتناهي، والغنيُّ اللّامحدود، وكلُّ

---

(١) التوحيد للشيخ الصدوق (ص ٢٥٩).

ما سواه مرتبط به ومحتاج لذاته المقدَّسة، كلُّ ذلك يُسبِّب أن يتصوَّر نفسه مستقلًّا ومستغنياً عن المبدأ.

وأساساً فإنَّ النسيان - في حدِّ ذاته - من أكبر مظاهر تعاسة الإنسان وشقائه، لأنَّ قيمة الإنسان في قابلياته ولياقاته الذاتية وطبيعة خلقه التي تميزه عن الكثير من المخلوقات، وإذا نسيها فهذا يعني نسيان إنسانيته، وفي مثل هذه الحالة يسقط الإنسان في وحل الحيوانية، ويصبح همُّه الأكل والشرب والنوم والشهوات. وهذه كلُّها عامل أساس للفسق والفجور، بل إنَّ نسيان الذات هو من أسوأ مصاديق الفسق والخروج عن طاعة الله، ولهذا يقول سبحانه: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْساهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ (الحشر: ١٩)[١].

التفرُّع الثاني: مراقبة المؤمن لأُسرته:

وهنا تأتي المرتبة الثانية للمراقبة، وهي أنَّ المؤمن وبعد أن يراقب نفسه ويقودها بعقله إلىٰ ما يرضي الله تعالىٰ، يتوجَّب عليه أن يراقب من هو مسؤول عنهم غداً يوم القيامة. فالأب مسؤول عن متابعة أولاده وزوجته، بمعنىٰ أن يتابع أعمالهم العبادية ليُصحِّح الخاطئ منها، ويتابع تصرُّفاتهم الخاطئة ليُصحِّحها، فيتابع أولاده ومَنْ يصادقون، ويراقب التلفاز فيمنع القنوات التي تدعو إلىٰ الانحراف أو الهمجية أو اللّاهدفية وما شابه، ويراقب حتَّىٰ اتِّصالات الأولاد الهاتفية!

طبعاً لا يعني هذا أن يتحوَّل الأب إلىٰ جاسوس علىٰ عائلته، وإنَّما مهمَّته المراقبة العلنية بحيث يفهم أفراد الأُسرة أنَّ وراءهم من يتابعهم، وهو أبوهم.

---

(١) تفسير الأمثل للشيخ ناصر مكارم الشيرازي (ج ١٨/ ص ٢١٢).

والخلاصة:

أن يقوم الأب بمهمَّة الأنبياء عليهم السلام داخل أُسرته، وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما يستلزمه ذلك من التربية الصالحة.

روي أنَّ رجلاً سأل العالم - أي الإمام الكاظم عليه السلام - عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ ناراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجارَةُ﴾ [التحريم: ٦]، قال عليه السلام: «يأمرهم بما أمرهم الله وينهاهم عمَّا نهيهم الله، فإن أطاعوا كان قد وقيهم، وإن عصوه كان قد قضىٰ ما عليه»[١].

وعن أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ ناراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجارَةُ﴾، قلت: هذه نفسي أقيها، فكيف أقي أهلي؟ قال عليه السلام: «تأمرهم بما أمرهم الله به وتنهاهم عمَّا نهاهم الله عنه، فإن أطاعوك كنت وقيتهم، وإن عصوك فكنت قد قضيت ما عليك»[٢].

إنَّ الاستخفاف يتحقَّق هنا بأن يهمل الرجل أهل بيته، فلا يُعلِّمهم دينهم، ولا يُحذِّرهم من أخطار الانحراف، ولا يهتمُّ بأُمورهم الأخلاقية، إلىٰ الحدِّ الذي قد نجد البعض من الآباء مَنْ يتعامل مع بيته معاملة الفندق الذي ينزل فيه لراحة بدنه وإشباع بطنه، ولا يهمُّه بعد ذلك كيف يكون عليه الفندق أو أهل الفندق!

التفرُّع الثالث: المراقبة الاجتماعية:

وتعني فيما تعنيه: أن يكون المؤمن حريصاً علىٰ مصلحة المسلمين العامَّة، فيعمل علىٰ مراقبة الأوضاع العامَّة وإبداء النصيحة كلَّما حضر

---

(١) فقه الرضا لعليِّ بن بابويه (ص ٣٧٥).

(٢) كتاب الزهد لحسين بن سعيد الكوفي (ص ١٧/ ح ٣٦).

وقتها وكلَّما سنحت الفرصة، وهو ما تُعبِّر عنه الروايات بالاهتمام بأُمور المسلمين.

فعن رسول الله ﷺ: «من أصبح لا يهتمُّ بأُمور المسلمين فليس بمسلم»(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «عليك بالنصح لله في خلقه، فلن تلقاه بعمل أفضل منه»(٢).

وعن رسول الله ﷺ: «الخلق عِيال الله، فأحبُّ الخلق إلىٰ الله من نفع عيال الله، وأدخل علىٰ أهل بيت سروراً»(٣).

---

(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ٢/ ص ١٦٣/ باب الاهتمام بأُمور المسلمين والنصيحة لهم ونفعهم/ ح ١)؛ ونقله العلَّامة المجلسي في بحار الأنوار (ج ٧١/ ص ٣٣٧)، وفيه: (بيان: «من أصبح» أي دخل في الصباح «لا يهتمُّ بأُمور المسلمين» أي لا يعزم علىٰ القيام بها، ولا يقوم بها مع القدرة عليه. في الصحاح: أهمَّني الأمر إذا أقلقك وحزنك، والمهمُّ الأمر الشديد، والاهتمام الاغتمام، واهتمَّ له بأمره. وفي المصباح: اهتمَّ الرجل بالأمر قام به. «فليس بمسلم» أي كامل الإسلام، ولا يستحقُّ هذا الاسم. وإن كان المراد عدم الاهتمام بشيء من أُمورهم لا يبعد سلب الاسم حقيقةً، لأنَّ من جملتها إعانة الإمام ونصرته ومتابعته، وإعلان الدِّين وعدم إعانة الكفَّار علىٰ المسلمين. وعلىٰ التقادير المراد بالأُمور أعمُّ من الأُمور الدنيوية والأُخروية. ولو لم يقدر علىٰ بعضها فالعزم التقديري عليه حسنة يُثاب عليها...).

(٢) الكافي للشيخ الكليني (ج ٢/ ص ١٦٣/ باب الاهتمام بأُمور المسلمين والنصيحة لهم ونفعهم/ ح ٣)؛ ونقله أيضاً العلَّامة المجلسي في بحار الأنوار (ج ٧١/ ص ٣٣٨)، وفيه: (توضيح: النصح لله في خلقه الخلوص في طاعة الله فيما أمر به في حقِّ خلقه من إعانتهم وهدايتهم، وكفِّ الأذىٰ عنهم، وترك الغشِّ معهم. أو المراد النصح للخلق خالصاً لله. «فلن تلقاه» أي عند الموت أو في القيامة «بعمل» أي مع عمل).

(٣) الكافي للشيخ الكليني (ج ٢/ ص ١٦٣/ باب الاهتمام بأُمور المسلمين والنصيحة لهم ونفعهم/ ح ٧)؛ ونقله أيضاً العلَّامة المجلسي في بحار الأنوار (ج ٧١/ ص ٣٣٩)، وفيه: ⇦

وعنه ﷺ: «من ردَّ علىٰ قوم من المسلمين عادية ماء أو نار أوجبت له الجنَّة»[1].

والاستخفاف هنا يكون بترك فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسيأتي الكلام تفصيلاً فيها في المفردة الثالثة عشرة إن شاء الله تعالىٰ.

* * *

⇦ (بيان: «الخلق عيال الله» العِيال - بالكسر - جمع عيل، كجياد وجيد، وهم من يمونهم الإنسان ويقوم بمصالحهم، فاستُعير لفظ العِيال للخلق بالنسبة إلىٰ الخالق فإنَّه خالقهم، والمدبِّر لأُمورهم، والمقدِّر لأحوالهم، والضامن لأرزاقهم. «فأحبُّ الخلق إلىٰ الله» أي أرفعهم منزلةً عنده وأكثرهم ثواباً «من نفع عِيال الله» بنعمة أو بدفع مضرَّة أو إرشاد وهداية أو تعليم أو قضاء حاجة وغير ذلك من منافع الدِّين والدنيا. وفيه إشعار بحسن هذا الفعل، فإنَّه تكفَّل ما ضمن الله لهم من أُمورهم. وإدخال السرور علىٰ أهل بيت إمَّا المراد به منفعة خاصَّة تعمُّ الرجل وأهل بيته وعشائره، أو تنبيه علىٰ أنَّ كلَّ منفعة توصله إلىٰ أحد من المؤمنين يصير سبباً لإدخال السرور علىٰ جماعة من أهل بيته).

(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ٥/ ص ٥٥/ باب بدون عنوان/ ح ٣)؛ وبحار الأنوار للعلَّامة المجلسي (ج ٧١/ ص ٣٤٠).

المفردة الثالثة:

الاستخفاف والتهاون

بوساوس النفس الأمّارة بالسوء

- الخطر: ضياع النفس.
- الأثر: تزيين العمل السيِّئ.
- التوصية: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾.

حتَّىٰ يتَّضح الحال في هذه المفردة نذكر عدَّة خطوات:

الخطوة الأولى: النفس بين المدح والذمِّ:

كثيراً ما نسمع الأفواه تخطب والألسن تذيع بضرورة محاربة النفس ومعاداتها وعدم الثقة بها وعدم إعطائها ما تشتهي. وكثيراً ما نحفظ الأحاديث التي تُصرِّح بهذا المعنىٰ، قال النبيُّ ﷺ: «أعدىٰ عدوّك نفسك التي بين جنبيك»[1].

وفي الوقت نفسه نقرأ في الأحاديث الشريفة أنَّ هذه النفس الإنسانية هي من الكرامة بحيث إنَّها أقرب شيء إلىٰ الله تعالىٰ.

وطبعاً ليس في هذا أيُّ مفارقة، بل هي حقيقة واقعية معاشة، فإنَّ النفس طُبعت وجُبلت علىٰ أنَّ لها إمكانية التلوُّن بألوان متعدِّدة، أي إنَّها من نوع الموجود (المشكّك) ذي المراتب المتعدِّدة المختلفة، تكون في لون ومرتبة منها خبيثة و(أمّارة بالسوء)، وفي لون آخر تكون طيِّبة و(مطمئنَّة)، وقد تكون بين بين و(لوّامة).

والأحاديث التي ذمَّت فقد ذمَّت الأُولىٰ منها، يقول الإمام عليٌّ عليه السلام: «النفس الأمّارة المسوِّلة تتملَّق تملُّق المنافق، وتتصنَّع بشيمة الصديق الموافق، حتَّىٰ إذا خدعت وتمكَّنت تسلَّطت تسلُّط العدوِّ، وتحكَّمت تحكُّم العتوِّ، فأوردت موارد السوء»[2].

---

(١) بحار الأنوار للعلَّامة المجلسي (ج ٦٧/ ص ٦٤).

(٢) عيون الحِكَم والمواعظ لعليِّ بن محمّد الليني الواسطي (ص ٦٤ و٦٥).

والتي مدحت فقد مدحت الثانية منها، يقول الإمام عليٌّ عليه السلام: «إنَّ النفس لجوهرة نفيسة، من صانها رفعها ومن ابتذلها وضعها»[١].

ويقول عليه السلام: «ليس علىٰ وجه الأرض أكرم علىٰ الله سبحانه من النفس المطيعة لأمره»[٢].

والتي حذَّرت قصدت الأخيرة منها، فإنَّها بين بين. يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إنَّ نفسك لخدوع، إن تثق بها يقتدك الشيطان إلىٰ ارتكاب المحارم»[٣].

ويقول عليه السلام: «كن أوثق ما تكون بنفسك، أحذر ما تكون من خداعها»[٤].

إذن، نعرف من هذا: أنَّ كلَّ واحدٍ منّا له نفس واحدة في كلِّ آنٍ، ولكنَّها تختلف من وقت وظرف لآخر، فقد تكون في وقت ما وتحت ظروف خاصَّة أمّارة بالسوء، وقد تكون في وقت آخر وتحت ظرف آخر مطمئنَّة، وقد تكون لوّامة.

والمطلوب من الإنسان في هذه الحياة أن يعرف نفسه، وأن يتعاهدها، ليضعها في موضعها المناسب. فإنَّ «النفوس طلقة، لكن أيدي العقول تمسك أعنَّتها عن النحوس»، كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام[٥].

والمهمُّ أن ينتبه الإنسان إلىٰ أنَّ كثيراً من تصرُّفاته قد تنبع من نفسه الأمّارة بالسوء، وكلُّ الذنوب والأخطاء هي صادرة من هذه النفس.

---

(١) عيون الحِكَم والمواعظ لعليِّ بن محمّد الليثي الواسطي (ص ١٤١).

(٢) عيون الحِكَم والمواعظ لعليِّ بن محمّد الليثي الواسطي (ص ٤١٢).

(٣) عيون الحِكَم والمواعظ لعليِّ بن محمّد الليثي الواسطي (ص ١٥١).

(٤) عيون الحِكَم والمواعظ لعليِّ بن محمّد الليثي الواسطي (ص ٣٩٢).

(٥) موسوعة العقائد الإسلاميَّة للشيخ محمّد الريشهري (ج ١/ ص ٣٢٠/ ح ٧٩٣).

والأدهىٰ في هذه الحال هو أنَّ الإنسان عادةً ما يدافع عن نفسه ويُبرِّر لها أفعالها مهما كانت. لذا كان لزاماً علىٰ الإنسان أن ينتبه لنفسه هذه، وأن يحاربها أشدّ حرب، وأن يستمرَّ في ذلك حتَّىٰ يُحوِّلها إلىٰ بداية الخير، بأن يجعلها لوّامة، «تلوم علىٰ الخير والشرِّ، تقول: لو فعلت كذا وكذا، وتندم علىٰ ما فات وتلوم عليه»[1]. ويستمرَّ حتَّىٰ يوصلها إلىٰ مرتبة الاطمئنان، فلا يكون منها حينئذٍ إلَّا الخير، وستكون حينذاك مباركة نفّاعة أينما حلَّت.

وهذه التحوُّلات كلُّها بيد الإنسان نفسه، كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «الرجل حيث اختار لنفسه، إن صانها ارتفعت، وإن ابتذلها اتَّضعت»[2]، و«المرء حيث وضع نفسه برياضته وطاعته، فإن نزَّهها تنزَّهت، وإن دنَّسها تدنَّست»[3].

الخطوة الثانية: مشاكل الإنسان هي بسبب نفسه الأمّارة:

هل تعلم أنَّ أكثر مشاكل الإنسان - إن لم تكن كلّها - هي بسبب نفسه الأمّارة بالسوء؟!

وهذه حقيقة يذكرها القرآن الكريم، والتجربة أكبر برهان.

القرآن يشير إلىٰ أنَّ هذه النفس توسوس للإنسان: ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ (ق: ١٦)، فالنفس إذن توسوس للإنسان، وهذه الوسوسة تؤدّي بالمرء إلىٰ الحضيض.

ويذكر القرآن الكريم نماذج لأفعال هذه النفس، وكيف أنَّها

---

(١) ورد هذا المعنىٰ عن ابن عبّاس كما في: الدُّرِّ المنثور لجلال الدِّين السيوطي (ج ٦/ ص ٢٨٧).

(٢) ميزان الحكمة للشيخ محمّد الريشهري (ج ٤/ ص ٣٣٢٧).

(٣) عيون الحِكَم والمواعظ لعليِّ بن محمّد الليثي الواسطي (ص ٥٧).

أودت بأُناس كثير، فمثلاً **امرأة العزيز** التي ما كانت تفتقر إلىٰ أيِّ شيء، ولكن نفسها كانت تقول لها: (يوسف شابٌّ قويٌّ جميلٌ، يملكه زوجك، هو ملكك، استغلّيه كيف أردتِ)، وكيف أنَّ النبيَّ يوسف عليه السلام مَلَكَ نفسه وجعلها مطمئنَّة. ولكن بعد مرور سنين اتَّهمت نفسها: ﴿وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا ما رَحِمَ رَبِّي﴾ (يوسف: ٥٣)، فالسبب في الجريمة هي نفسها، فرغم كلِّ ما عندها لكنَّها سقطت لأنَّها لم **تملك نفسها** وتركتها تطيش في جهلها.

قارون، كان فقيراً مدقعاً، رُزِقَ بطريقة وبأُخرىٰ مالاً كثيراً، بحيث كانت ﴿مَفاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ (القَصص: ٧٦)، وكان الكثير من بني إسرائيل يتمنّىٰ أن يكون له مثل ما أُوتي قارون، ولكنَّه اتَّبع هواه وأردته نفسه، وادَّعىٰ أنَّه إنَّما أُوتي كلَّ ذلك علىٰ علم عنده، فكان عاقبته أن خُسِفَ به وبداره الأرض، وصار عِظة لغيره، كلُّ ذلك **بسبب نفسه**.

(**إبليس** مشكلته لم تأتِ لقلَّة معلوماته، وبالعكس فهو في هذا الجانب كان متفوِّقاً، وكان عالماً كبيراً يعلم أشياء لا نعلمها نحن ولم نطَّلع عليها، ولكن من أين أُدين؟

﴿قالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ (الأعراف: ١٢)، مقتله كان التكبُّر، والتكبُّر حالة نفسية وليست عقلية، لذلك لم يستطع أن يستفيد من علمه وعقله. وكثير من الذين انحرفوا وكثير من الذين شقوا، المشكلة التي كانت عندهم ليست مشكلة قلَّة العلم والمعرفة، وإنَّما هي مرض النفس...)[١].

---

(١) معرفة النفس للشيخ حسن الصفّار (ص ١٢).

(وكم في التاريخ من أفراد ومن تجمُّعات كانوا ضحايا وقرابين لانخداعهم واغترارهم بنفوسهم الأمّارة بالسوء، وقتلىٰ الخوارج في واقعة النهروان، والذين يقارب عددهم أربعة آلاف شخص، هم نموذج واضح لهذه الحقيقة، فقد كانوا من أنصار الإمام عليٍّ عليه السلام ومن أصحابه، ولكنَّهم في لحظة غفلة وضلال استحوذ عليهم الشيطان، وأسلموا قيادهم للنفس الأمّارة بالسوء!

يقول الإمام عليٌّ عليه السلام وقد مرَّ بقتلىٰ الخوارج يوم النهروان(١): «بُؤْساً لَكُمْ، لَقَدْ ضَرَّكُمْ مَنْ غَرَّكُمْ»، فقيل له: من غرَّهم يا أمير المؤمنين؟ فقال: «الشَّيْطَانُ الْمُضِلُّ، وَالأَنْفُسُ الأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ غَرَّتْهُمْ بِالأَمَانِيِّ، وَفَسَحَتْ لَهُمْ بِالمَعَاصِي، وَوَعَدَتْهُمُ الإِظْهَارَ، فَاقْتَحَمَتْ بِهِمُ النَّارَ»)(٢).

قابيل، إنَّما قتل أخاه لأنَّه اتَّبع هوىٰ نفسه: ﴿**فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ** قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝٣٠﴾ (المائدة: ٣٠).

السامري، صاحب نبيِّ الله موسىٰ عليه السلام، والذي أضلَّ الناس المؤمنين بتوجيههم لعبادة عجل صنعه من الحُلي، يقول تعالىٰ: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ۝٩٥ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ **سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي** ۝٩٦﴾ (طه: ٩٥ و٩٦).

وإخوة نبيِّ الله يوسف عليه السلام إنَّما قاموا تجاهه بتلك الجريمة النكراء، حيث ألقوه في قاع الجُبِّ، وهو ذلك الصغير الوديع المتفرِّد في جماله وحسنه، إنَّما صنعوا ذلك لانحراف نفسي أصابهم، يقول تعالىٰ

(١) نهج البلاغة (ج ٤/ ص ٧٧).

(٢) معرفة النفس للشيخ حسن الصفّار (ص ٢٢).

علىٰ لسان أبيهم يعقوب عليه السلام: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعانُ عَلىٰ ما تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ (يوسف: ١٨).

ربَّما تجد شخصاً ذا منصب رفيع، ومرتَّب كبير، وليس يعوزه شيء من أُمور الدنيا، ولكنَّه مع ذلك يطلب (**الرشوة**)، أو يقع في مستنقع الرذيلة من محرَّمات شنيعة وبذيئة.

ربَّما تجد **امرأة** ملكت من الجمال الشيء الكثير، ولكنَّها ابتذلته بعرضه علىٰ كلِّ من هبَّ ودبَّ من دون مقابل، **اتِّباعاً لنفسها** وظنّها بأنَّها عندما تعرض جمالها وتفتن به شابًّا أهوج فإنَّها تكون ناجحة في حياتها!

أحد الرؤساء الغربيين رغم ما كان عنده من منصب وثقافة معلوماتية - حتَّىٰ إنَّه كان قد أخذ دورات ضخمة في علم البرمجة اللغوية العصبية NLP - عند كبار المدرِّبين، ولكنَّه وقع في الفضيحة التي مهَّدت الطريق لأعدائه أن يوقعوا به، **بسبب نفسه**.

نعم، هذه هي النفس، تورد مطيعها موارد الهلكة. لذلك كان لزاماً علينا التعرُّف عليها، ومعالجتها بالطُّرُق المناسبة.

الخطوة الثالثة: لماذا هذا السقوط؟

قد يتساءل البعض ويقول: أَوَليس الله تعالىٰ حكيماً لا يفعل العبث، ولا يُعطي إلَّا ما هو خير؟

أليس الله تعالىٰ هو خالق النفس وواهبها للإنسان؟

فإذا كان كذلك، فلماذا كانت النفس أمّارة؟

هل كونها أمّارة هو من أصل خلقتها ومن طبيعتها، أو أنَّه أمر عارض عليها؟

الحقيقة أنَّ القرآن الكريم يشير في بعض الآيات إلىٰ أنَّ كون النفس أمّارة بالسوء، وكونها غير صالحة، هذا أمر عارض عليها، وإلَّا فإنَّ الله تعالىٰ عندما خلق النفس جعلها علىٰ الفطرة الإلهيَّة تقيَّة نقيَّة.

يقول تعالىٰ: ﴿وَنَفْسٍ وَما سَوَّاها ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها ﴿٩﴾ وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها ﴿١٠﴾﴾ (الشمس: ٧ - ١٠).

قالوا: إنَّ الدَّسَّ بمعنىٰ إخفاء شيء في شيء، فالإنسان عندما يرتطم بالمعاصي فإنَّه سيُخفي نفسه الصالحة النقيَّة بينها، وبالتالي سيطغىٰ عليها الأمر بالسوء. وفي هذا إشارة إلىٰ نقاوة النفس في أصل خلقتها، وأنَّها إنَّما تكون أمّارة بالسوء بسبب ظروف عارضة تحيط بالمرء.

أمَّا لماذا هذا السقوط؟

ولماذا تتحوَّل النفس النقيَّة إلىٰ أمّارة بالسوء؟

فهذا له أسباب عديدة، وقبل أن نذكر بعض تلك الأسباب لا بدَّ من إلفات النظر إلىٰ أنَّ تلك الأسباب ليست عللاً تامَّة لتحوُّل النفس إلىٰ أمّارة بالسوء، وإنَّما هي مقتضيات لذلك. وهذا يعني أنَّه ما زال الإنسان قادراً علىٰ التمرُّد علىٰ تلك الأسباب وتجاوز أثرها وعدم الانخراط تحت مقتضياتها، وبالتالي فلا يجوز أن تكون تلك الأسباب مثبِّطات للمرء عن إصلاح نفسه، بل علىٰ العكس، ربَّما نجد شخصاً يجعل من تلك الأسباب مقوّيات لنفسه، فهو في خضمِّ تلك الأسباب ولكنَّه يتمرَّد عليها، فتكون نفسه أقوىٰ بكثير من نفس أُخرىٰ لم ترتطم بتلك الأسباب.

أمَّا تلك الأسباب فهي عديدة، نذكر منها:

السبب الأوَّل: التربية غير الصحيحة:

كثير من الناس ينفق الكثير من الوقت لأجل أن يُتقِن تخصُّصه

الذي يعيش من ورائه، وكثير منّا يعمل جاهداً علىٰ أن يُتقِن القيادة قبل أن يشتري سيّارة، وكثير منّا يُتقِن أُسس البيت الذي يريد أن يسكنه، وهذه أُمور جيِّدة ومطلوبة، ولكن القليل منّا من يُجهِد نفسه من أجل إتقان قواعد التربية الصحيحة!

لقد نشأ الكثير من الناس تحت ظروف تربوية عائلية إن لم نقل: إنَّها متدنّية، فهي أقلّ من المستوىٰ المطلوب، وبالتالي فإنَّه قد يعيش الكثير مؤمنين ببعض الأوهام الخزعبلات التي تُؤثِّر سلباً علىٰ النفس.

قد ينشأ فرد ما في بيت لا يرىٰ حرجاً في النظرة المحرَّمة، ولا يرىٰ بأساً بمجالسة النساء للرجال والاختلاط فيما بينهم، قد يرىٰ أباه يشرب مسكراً، وقد يرىٰ أُمَّه علىٰ خيانة، وقد يرىٰ أخاه الكبير علىٰ سرقة، وقد يرىٰ أُخته علىٰ كذبة...، هذه السلوكيات التي يتربّىٰ عليها الفرد ستترسَّب في داخل قعر نفسه، حتَّىٰ إذا ما كبر تحوَّلت تلك المعلومات إلىٰ سلوك عملي يقود المرء فيه نفسه نحو الهاوية، وحينئذٍ ستتأثَّر النفس بتلك الأحداث وتكون (أمّارة بالسوء).

إنَّ كثيراً من الأهالي يغرسون في أذهان أولادهم ثقافات سقيمة، مملوءة بالخرافات والانحرافات، وهذا لا شكَّ له أثر في تحوُّل النفس في مستقبل الأيّام إلىٰ أمّارة بالسوء.

السبب الثاني: القدوة السيِّئة:

إنَّ الإنسان عندما يبدأ رحلته في هذه الدنيا فإنَّه سيواجه الكثير من الناس في حياته، وسيتأثَّر بالكثير منهم، وسيعتبر العديد منهم قدوات يقتدي بهم، لأنَّه تأثَّر بهم لسبب وآخر، فإذا كانت تلك القدوات علىٰ خطٍّ غير صحيح، لا شكَّ أنَّ سلوكيات من يقتدي بهم ستكون كذلك.

وأوضح صور من يقتدي بهم المرء في حياته هم: الأب، المعلِّم، الصديق، الممثِّل المفضَّل، لاعب كرة القدم المميَّز...

إنَّ الفرد يتأثَّر بنوعية ألفاظ أبيه، وبتصرُّفات معلِّمه، وبسلوكيات صديقه. إنَّه سيحاول أن يتشبَّه بالممثِّل المفضَّل لديه، في ملبسه، نبرة كلامه، وربَّما حاول أن يجعل من حياته صورة مصغَّرة لفيلم شاهده أو مسلسل أُعجب به. وأمَّا لاعب كرة القدم، فتأثُّر الشباب به أشهر من نار علىٰ علم!

السبب الثالث: ضغوط العصر:

إنَّنا اليوم نعيش حالة من الكبت والانحلال في آنٍ واحدٍ، إنَّنا نعيش حالة الكبت الدِّيني، فالكثير من الناس - خصوصاً الشباب والفتيات - صاروا اليوم يعيشون حالة الكبت الدِّيني، بمعنىٰ أنَّ الكثير منهم صار يستحيي أن يظهر بمظهر المتديِّن، لأنَّه سيُنبَز بألقاب لا يُحبِّذها: الرجعي، والإسلامي، والمتخلِّف، والمعقَّد...، حتَّىٰ صار حديث «القابض علىٰ دينه كالقابض علىٰ جمرة»[1] مترجِماً لواقع هؤلاء.

في المقابل، نحن نعيش في عصرٍ صار الانحلال الخُلُقي سمته العامَّة، إنَّك لا تجد في كثير من المجتمعات من يعترض علىٰ ألفاظ بذيئة تصدر من شابٍّ في شارع، ولا تجد من يلوم امرأة تمشي متبرِّجة بشكل يجعل الشابَّ الناظر إليها يقع في مصيدتها شاء أو أبىٰ. الأمر الذي أدّىٰ إلىٰ أن يكون التمسُّك بالمعتقدات الدِّينية والأوَّليات الإنسانية أمراً صعباً

---

(١) في مكارم الأخلاق للشيخ الطبرسي (ص ٤٥٠) في حديث الرسول الأعظم ﷺ مع ابن مسعود: «يا ابن مسعود، يأتي علىٰ الناس زمان الصابر فيه علىٰ دينه مثل القابض علىٰ الجمر بكفِّه، فإن كان في ذلك الزمان ذئباً، وإلَّا أكلته الذئاب».

جدًّا. فإذا عرفنا أنَّ من سلبيات الإنسان أنَّه يعمل علىٰ أن لا يخالف الجمع، وأنَّه يتأثَّر بالعقل الجمعي، وأنَّه يستوحش أن ينفرد في طريق لوحده، حينئذٍ يتبيَّن لدينا سبب من أسباب انحراف النفس، وحينها ينادي المرء: (حشر مع الناس عيد)، ليكون إمَّعةً معهم، يقول ما يقولون، ويلبس ما يلبسون، وربَّما أكل ما يأكلون.

السبب الرابع: الشيطان:

وهذا من الواضحات، فكما هو معلوم فإنَّ آيات بداية الخلقة تُحدِّثنا عن كيفية تكبُّر الشيطان عن طاعة الله تعالىٰ، وكيف أنَّه اعتبر نفسه أفضل من أبينا آدم عليه السلام، لأنَّه مخلوق من نار وآدم عليه السلام من طين، وكيف طرده الله تعالىٰ من ساحة القدس، وكيف توعَّد هو بإضلال بني آدم وأنَّه سيقعد لهم بكلِّ مرصد ويترصَّد بهم علىٰ الصراط المستقيم. وهذا يعني أنَّ الكثير من المشاكل مع النفس وانحرافاتها جاءت بسبب تلبيس إبليس ووسوساته.

وينبغي الالتفات في هذا الصدد إلىٰ الملاحظات التالية:

أوَّلاً: أنَّ إبليس لا يقصد أي إنسان في هذه الحياة، وإنَّما يقصد الصالحين منهم، إذ إنَّه لا يحتاج إلىٰ أن يُتعِب نفسه مع إنسان منحرف من أساسه، وإنَّما يصبُّ جهده علىٰ إضلال إنسان مستقيم. ومن هنا يمكننا أن نجيب عن سؤال تتداوله الألسن، وهو أنَّه لماذا نرىٰ الصدق والسماحة والسلام والمحبَّة والتعاون عند اليهود والمسيح والمنحرفين عن خطِّ أهل البيت عليهم السلام ولا نجدها في أتباع أهل البيت عليهم السلام؟

فنقول: لو سلَّمنا هذه المسألة - وإن كان الواقع يُصرِّح بعدم صدقها في الطرفين علىٰ نحو تامٍّ -، فالجواب أضحىٰ واضحاً، إذ إنَّ

أتباع أهل البيت عليهم السلام هم الفرقة الوحيدة التي ركبت سفينة النجاة في بحر الدنيا المتلاطم، فلذلك صبَّ إبليس كلَّ جهوده علىٰ إضلالهم، فجعلهم يقعون مرّات ومرّات، ممَّا سبَّب بعض تلك الصفات السلبية في نفوسهم.

وإلىٰ هذا المعنىٰ يشير الإمام الصادق عليه السلام في وصيَّته لعبد الله بن جندب بقوله: «يا عبد الله، لقد نصب إبليس حبائله في دار الغرور، فما يقصد فيها إلَّا أولياءنا»[1].

ثانياً: ليس لإبليس طريقة معيَّنة في إغواء المؤمنين، بل له طُرُق متعدِّدة ومتجدِّدة مع الزمن، وتختلف في الشدَّة والضعف بحسب قوَّة إيمان الفرد، يقول أمير المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد: «يا كميل، إنَّ لهم [أي للشياطين] خداعاً وشقاشق وزخاريف ووساوس وخيلاء، علىٰ كلِّ أحد قدر منزلته في الطاعة والمعصية، فبحسب ذلك يستولون عليه بالغلبة»[2].

فقد يستعمل الدِّين ضدَّ المؤمن، كما لو أوقع المؤمن في الرياء بعبادته أو العُجب بها.

وقد يستعمل نقطة ضعف الإنسان عندما يكتشفها فيه، والإنسان قد تكون نقطة ضعفه المال، أو المنصب، أو النساء، أو غيرها.

وقد يُلبس عليه الحقَّ بالباطل، فيُزيِّن له الباطل ويُحسِّنه في عينيه، وهو ما حذَّر منه القرآن الكريم بقوله: ﴿وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْباطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤٢﴾ (البقرة: ٤٢).

---

(١) تحف العقول لابن شعبة الحرّاني (ص ٣٠١).

(٢) مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) للميرجهاني (ج ١/ ص ١٢٠ و١٢١).

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ، وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ الله، وَيَتَوَلَّىٰ عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا عَلَىٰ غَيْرِ دِينِ الله، فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَىٰ الْمُرْتَادِينَ، وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ، وَلَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ وِمِنْ هَذَا ضِغْثٌ فَيُمْزَجَانِ، فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَىٰ أَوْلِيَائِه ويَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الله الْحُسْنَىٰ»[١].

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «لـمَّا نزلتَ هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلىٰ ما فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥] صعد إبليس جبلاً بمكَّة يقال له: ثور، فصرخ بأعلىٰ صوته بعفاريته فاجتمعوا إليه، فقالوا: يا سيِّدنا، لِـمَ دعوتنا؟ قال: نزلت هذه الآية، فمَنْ لها؟ فقام عفريت من الشياطين فقال: أنا لها بكذا وكذا، قال: لستَ لها، فقام آخر فقال مثل ذلك، فقال: لستَ لها، فقال الوسواس الخنّاس: أنا لها، قال: بماذا؟ قال: أعدهم وأُمنّيهم حتَّىٰ يواقعوا الخطيئة، فإذا واقعوا الخطيئة أنسيتهم الاستغفار، فقال: أنت لها، فوكَّله بها إلىٰ يوم القيامة»[٢].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «جاء إبليس إلىٰ عيسىٰ عليه السلام فقال: أليس تزعم أنَّك تُحيي الموتىٰ؟ قال عيسىٰ عليه السلام: بلىٰ، قال إبليس: فاطرح نفسك من فوق الحائط، فقال عيسىٰ عليه السلام: ويلك، إنَّ العبد لا يُجرِّب ربَّه»[٣].

---

(١) نهج البلاغة (ج ١/ ص ٩٩ و١٠٠).

(٢) أمالي الشيخ الصدوق (ص ٥٥١/ ح ٧٣٦/ ٥).

(٣) قَصص الأنبياء للراوندي (ص ٢٦٨/ الباب ١٨/ ح ٣٤٠).

ثالثاً: لا يعني هذا أنَّ لإبليس القدرة المطلقة في السيطرة علىٰ الإنسان بحيث يسلب اختياره، حتَّىٰ يرمي بعض المنحرفين اللوم علىٰ تلبيس إبليس في محاولةٍ منهم لتبرير موقفهم الخاطئ أو المنحرف. كلَّا، بل يبقىٰ للإنسان كامل الإرادة والاختيار، وليس لإبليس سوىٰ الوسوسة. وهذا ما سيعترف به إبليس نفسه يوم القيامة عندما يرىٰ الموازين الحقَّ، يقول تعالىٰ في محكم كتابه الكريم: ﴿وَقالَ الشَّيْطانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَما كانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ ما أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَما أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِما أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ (إبراهيم: ٢٢).

فالشيطان لم يُخفِ عداوته لنا، ونحن علىٰ علم بها، ولم يكن له علينا سلطان، ولم يُقدِّم لنا طلباً تحريرياً، ولم يُجبرنا علىٰ شيء، بل فقط قدَّم دعوة، ولذلك سيرمي اللوم علىٰ أنفسنا: ﴿فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾.

رابعاً: وعلينا أن لا ننسىٰ أنَّ ديننا أعطانا بعض الأُمور اللازمة لدفع وسوسة الشيطان والتخلُّص من مكائده، فعلينا بالتزامها حتَّىٰ لا نضيع تحت ضغوط إبليس وخُدَعه.

يقول رسول الله ﷺ: «أَلَا أُخبركم بشيء إن أنتم فعلتموه تباعد الشيطان منكم تباعد المشرق من المغرب؟»، قالوا: بلىٰ، قال: «**الصوم يُسوِّد وجهه، والصدقة تكسر ظهره، والحُبُّ في الله والموازرة علىٰ العمل الصالح يقطعان دابره، والاستغفار يقطع وتينه**»[1].

---

(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ٤/ ص ٦٢/ باب ما جاء في فضل الصوم والصائم/ ح ٢).

الخطوة الرابعة: كيف تُنمّي نفسك؟

وهنا نذكر عدَّة أُمور نافعة في تنمية النفس وتقويتها ضدَّ وساوس الشيطان، وينبغي علىٰ المؤمن أن لا يتهاون ولا يستخفَّ بها ما أُوتي إلىٰ ذلك سبيلاً.

الأمر الأوَّل: تابع نفسك:

عليك أن تصرف قدراً معتدًّا به لمتابعة نفسك، والتعرُّف علىٰ طبائعها (أنت تنام لمصلحة جسدك قدراً معيَّناً من الساعات، وأنت تدرس وتتعلَّم وتقرأ لصالح عقلك كذا ساعة، فكم من الوقت تصرف من أجل نفسك؟ من أجل التفتيش والتنقيب عن الرواسب والأوساخ التي تترامىٰ في زوايا نفسك من هنا وهناك؟ ومن أجل معالجتها وحمايتها ووقايتها كم تصرف من الوقت من أجل ذلك؟

علينا أن نصرف جزءاً كبيراً من الوقت علىٰ هذا الجانب، لأنَّه ما لم نصرف وقتاً في هذا الجانب فإنَّ أوقاتنا الأُخرىٰ ستضيع هباءً، لأنَّ عقولنا مهما صارت ضخمة فهي فريسة وضحيَّة لأنفسنا الأمّارة بالسوء)[1].

وفي هذا المجال ذكر علماء الأخلاق العملية أنَّ أفضل طريقة لمتابعة النفس مركَّبة من ثلاث خطوات:

الأُولىٰ: المشارطة:

وهي عبارة عن (وقفة مع النفس تهدف إلىٰ تهيئتها ليوم جديد)[2]، فعلىٰ المؤمن أن يجلس مع نفسه جلسة الرئيس والمرؤوس، أو جلسة

---

(١) معرفة النفس للشيخ حسن الصفّار (ص ١٤).

(٢) البرنامج اليومي في محاسبة النفس للسيِّد عبد الله الغريفي (ص ٢٢).

الرفيق والصديق، وأن يُحدِّثها بكلِّ صراحة ويقول: أيَّتها النفس، عليكِ اليوم أن تلتزمي رضا الله تعالىٰ في كلِّ حركاتكِ وسكناتكِ، وعلىٰ جميع المستويات الشخصية والأُسرية والاجتماعية، الثقافية والسياسية، الروحية والبدنية، لا أُريد منكِ إلَّا ما يُرضي الله تعالىٰ، فقط اليوم.

وهكذا في اليوم الثاني يُكرِّر لها ما قاله أمس، حتَّىٰ يصبح هذا المبدأ أمراً معاشاً له في كلِّ يوم.

وهذه هي الخطوة الأُولىٰ في متابعة النفس، وهي تُهيِّئ للخطوتين التاليتين.

الثانية: المراقبة:

وهي بمعنىٰ ممارسة دور الرعاية والإشراف والمتابعة العملية للبرنامج الذي اشترطته علىٰ نفسك عند الصباح.

إنَّها تعني (الرصد العملي الدائم لحركة البرنامج اليومي، ورصد البرنامج يعني المتابعة لكلِّ الممارسات والسلوكيات الصادرة عن الإنسان)[1].

فبعد أن تنتهي من المشارطة مع النفس، سيبدأ يومك الحافل بالأحداث، وستخوض الحياة في لُجَجها، ستدخل السوق، وستجلس إلىٰ رفيق، وستحدث مشكلة في البيت أو العمل، وسيسألك شخص عن مالك، وآخر عن صحَّتك، وثالث عن مسألة فقهية، ستنهمك في عملك وتُركِّز عليه، سيشغلك ولدك المريض، وصديقك المحتاج، وربَّما سيشتمك صعلوك، وربَّما سيأتيك الدائن يطالب بدينه...

في خضمِّ هذه الأحداث سيكون من المحتمل جدًّا أن يغفل المرء

---

(١) البرنامج اليومي في محاسبة النفس للسيِّد عبد الله الغريفي (ص ٣١).

عن شرطه مع نفسه، وربَّما سيتخلّىٰ عن بعض مبادئه! فربَّما غشَّ في معاملة، وربَّما آذىٰ زوجته، وربَّما آذت زوجها، وربَّما كذب علىٰ الدائن بأنَّه لا مال له، وربَّما غمص حقًّا خاصًّا أو عامًّا، وربَّما وربَّما...

ولذلك احتاج الإنسان الذي يريد أن يُنمّي نفسه إلىٰ أن يراقبها ويراقب تصرُّفاتها، ويعمل علىٰ أن لا يغفل أبداً عن شرط اشترطه عليها، وليس معنىٰ هذا أن تكون كشُرطي واقف علىٰ باب النفس، وإنَّما كناصح أمين لا يراوغ ولا يخادع، عليك أن تكون صريحاً مع نفسك عندما تراقبها، أيَّتها النفس، هل نسيت ما اشترطت علىٰ نفسكِ صباحاً؟ هل أنت أيُّها الإنسان بهذه الدرجة من الضعف بحيث لا تستطيع أن تصدق مع نفسك في شرط اشترطته عليها ولو ليوم واحد؟! هل يصحُّ من الإنسان الكيِّس العاقل أن يخالف عملُه قولَه، وأن يخدع نفسه، فيأخذ علىٰ نفسه أن يلتزم تصرُّفاً ما ثمّ يخالفه؟!

عليك أن تراقب قلبك، فلا تدعه يغفل عن ذكر الله تعالىٰ وطيب الخاطر لحظة واحدة.

وعليك أن تراقب لسانك، لا تدعه ينبس ببنت شفة في ضلال أو باطل.

عليك أن تراقب عينيك، فإنَّهما أوَّل ما يخون من الإنسان.

وعليك أن تراقب أُذُنيك، لا تَدعْهما يُدخِلان إلىٰ قلبك الباطل والحرام.

وحتَّىٰ تُنمّي هذه الخطوة عليك أن تتذكَّر المراقبة الإلهيَّة الدائمة لك، وأن تستفيد من عيشك مع المراقبة الإلهيَّة في مراقبتك لنفسك.

يقول تعالىٰ: ﴿أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ (البقرة: ٢٣٥).

ويقول تعالىٰ: ﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَىٰ ۝٧﴾ (طه: ٧).

ويقول تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُ خائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَما تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ (غافر: ١٩).

ويقول تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ وَنَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ (ق: ١٦ - ١٨).

الثالثة: المحاسبة:

وبعد أن ينتهي يومك الحافل، عليك أن تجلس جلسة أُخرىٰ مع النفس، وتسترجع شريط الأحداث التي جرت عليك اليوم، ثمّ تبدأ المحاكمة، فتشكر النفس وتحمد الله تعالىٰ إذا ما رأيت انسجاماً مع الشرط وموافقة مع الحقِّ، وتُقرِّع نفسك وتُؤنِّبها إذا ما رأيت مخالفة للقانون ومعصية للحقِّ.

اختر وقتاً مناسباً، صفِّ ذهنك، وركِّز تفكيرك، أخلِ قلبك من مشاكل وهموم الحياة، توجَّه إلىٰ ربِّك، وتذكَّر قبرك، ثمّ ابدأ بتذكُّر مجريات الأحداث، وحاسب نفسك. **وتذكَّر أنَّك إذا نمت ربَّما تموت،** ولا ينفع المندم آنذاك.

وهذه الخطوة هي أكثر ما ركَّزت عليه الروايات الشريفة، يقول رسول الله ﷺ في وصيَّته لأبي ذرٍّ: «يا أبا ذرٍّ، لا يكون الرجل من المتَّقين حتَّىٰ يحاسب نفسه أشدَّ من محاسبة الشريك شريكه، فيعلم من أين مطعمه ومن أين مشربه ومن أين ملبسه، أمن حِلٍّ ذلك أم من حرام. يا أبا ذرٍّ، من لم يبالِ من أين اكتسب المال لم يبالِ الله ﷻ من أين أدخله النار»[1].

(١) مكارم الأخلاق للشيخ الطبرسي (ص ٤٦٨)؛ وبحار الأنوار للعلَّامة المجلسي (ج٧٤/ ص ٨٦).

وقال رجل: يا أمير المؤمنين، **وكيف يحاسب الرجل نفسه؟** قال: «إذا أصبح ثمّ أمسىٰ رجع إلىٰ نفسه وقال: يا نفس، إنَّ هذا يوم مضىٰ عليك لا يعود إليك أبداً، والله سائلك عنه فيما أفنيته، فما الذي عملتِ فيه؟ أذكرتِ الله أم حمدتيه؟ أقضيتِ حقَّ أخ مؤمن؟ أنفَّستِ عنه كربته؟ أحفظتيه بظهر الغيب في أهله وولده؟ أحفظتيه بعد الموت في مُخلِّفيه؟ أكففتِ عن غيبة أخ مؤمن بفضل جاهكِ؟ أأعنتِ مسلماً؟ ما الذي صنعتِ فيه؟ فيذكر ما كان منه، فإن ذكر أنَّه جرىٰ منه خيرٌ حمد الله ﷻ وكبَّره علىٰ توفيقه، وإن ذكر معصية أو تقصيراً استغفر الله ﷻ وعزم علىٰ ترك معاودته...»[1].

الأمر الثاني: ارحم نفسك:

عليك أن لا تقسو علىٰ نفسك كثيراً، ولا تُحمِّلها ما لا طاقة لها به، بل عليك أن ترأف بها في الوقت الذي لا تدع لها مجالاً للخطأ، وبعبارة صريحة: عليك أن تعمل علىٰ صنع موازنة دقيقة بين حقوق وواجبات النفس، فللنفس حقوق، وعليها واجبات، وأنت حتَّىٰ تنجح لا بدَّ أن تُحدِث موازنة بين تلك وتلك. يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّ لِلْقُلُوبِ إِقْبَالًا وَإِدْبَاراً، فَإِذَا أَقْبَلَتْ فَاحْمِلُوهَا عَلَىٰ النَّوَافِلِ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ فَاقْتَصِرُوا بِهَا عَلَىٰ الْفَرَائِضِ»[2].

ويقول عليه السلام: «إنَّ للقلوب إقبالاً وإدباراً ونشاطاً وفتوراً، فإذا أقبلت بصرت وفهمت، وإذا أدبرت كلَّت وملَّت، فخذوها عند إقبالها ونشاطها، واتركوها عند إدبارها وفتورها»[3].

---

(١) بحار الأنوار للعلَّامة المجلسي (ج ٦٧/ ص ٧٠).

(٢) نهج البلاغة (ج ٤/ ص ٧٤).

(٣) بحار الأنوار للعلَّامة المجلسي (ج ٧٥/ ص ٣٥٣ و٣٥٤).

الأمر الثالث: قوِّ نفسك:

أمام النفس المطمئنَّة تحدّيات كبيرة وكثيرة، وعليك أن تساعدها في مواجهة تلك التحدّيات حتَّىٰ الانتصار. إنَّ النفس أشبه ببطّارية شحن، كلَّما استعملتها أكثر كلَّما احتاجت إلىٰ شحن أكثر. إنَّ النفس بحاجة ماسَّة إلىٰ شحن مستمرٍّ، هذا الشحن الذي يُقوّيها أمام التحدّيات المنتظَرة.

وهناك أُمور كثيرة تُقوّي نفسك بها، نذكر لك منها:

١ - **الدعاء:** فإنَّه «ترس[1] المؤمن»[2]، و«فيه شفاء من كلِّ داء»[3]، وهو «سلاح الأنبياء»[4].

٢ - **الإعطاء:** فإنَّ قوت الأجساد الطعام، وقوت الأرواح الإطعام، كما روي عن الإمام عليٍّ عليه السلام[5].

٣ - **ألقها في الصعاب** وراقبها، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا هبت أمراً فقع فيه، فإنَّ شدَّة توقّيه أعظم ممَّا تخاف منه»[6].

---

(١) الترس: صفحة من الفولاذ تُحمَل للوقاية من السيف ونحوه. (هامش المصدر).

(٢) في الكافي للشيخ الكليني (ج ٢/ ص ٤٦٨/ باب أنَّ الدعاء سلاح المؤمن/ ح ٤): عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الدعاء ترس المؤمن، ومتىٰ تكثر قرع الباب يُفتَح لك».

(٣) في الكافي للشيخ الكليني (ج ٢/ ص ٤٧٠/ باب أنَّ الدعاء شفاء من كلِّ داء/ ح ١): عن علاء بن كامل، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «عليك بالدعاء فإنَّه شفاء من كلِّ داء».

(٤) في الكافي للشيخ الكليني (ج ٢/ ص ٤٦٨/ باب أنَّ الدعاء سلاح المؤمن/ ح ٥): عن الرضا عليه السلام أنَّه كان يقول لأصحابه: «عليكم بسلاح الأنبياء»، فقيل: وما سلاح الأنبياء؟ قال: «الدعاء».

(٥) مشكاة الأنوار لعليٍّ الطبرسي (ص ٥٦١).

(٦) نهج البلاغة (ج ٤/ ص ٤٢).

٤ - **ضع نفسك في مكانها المناسب، ولا تنزل بها إلىٰ أقلّ من قدرها.**

عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال لأمير المؤمنين عليه السلام في وصيَّته له: «يا عليُّ، ثمانية إن أُهينوا فلا يلوموا إلَّا أنفسهم: الذاهب إلىٰ مائدة لم يدع إليها، والمتأمِّر علىٰ ربِّ البيت، وطالب الخير من أعدائه، وطالب الفضل من اللئام، والداخل بين اثنين في سرٍّ لهم لم يُدخِلاه فيه، والمستخفّ بالسلطان، والجالس في مجلس ليس له بأهل، والمقبل بالحديث علىٰ من لا يسمع منه»[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «مَنْ وَضَعَ نَفْسَه مَوَاضِعَ التُّهَمَةِ فَلَا يَلُومَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِه الظَّنَّ»[2].

٥ - **الصلاة،** عن جابر الجعفي، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لو كان علىٰ باب أحدكم نهر فاغتسل منه كلَّ يوم خمس مرّات هل كان يبقىٰ علىٰ جسده من الدَّرَن شيء؟ إنَّما مَثَل الصلاة مَثَل النهر الذي يُنقّي كلَّما صلّىٰ صلاة كان كفّارة لذنوبه إلَّا ذنب أخرجه من الايمان مقيم عليه»[3].

٦ - **أبعدها عمَّا يُضعِفها،** يقول رسول الله ﷺ: «أربع يُمِتْنَ القلب: الذنب علىٰ الذنب، وكثرة مناقشة النساء - يعني محادثتهنَّ -، ومماراة الأحمق، تقول ويقول ولا يرجع إلىٰ خير [أبداً]، ومجالسة الموتىٰ»، فقيل له: يا رسول الله، وما الموتىٰ؟ قال: «كلُّ غنيٍّ مترفٍ»[4].

---

(١) الخصال للشيخ الصدوق (ص ٤١٠).

(٢) نهج البلاغة (ج ٤/ ص ٤١).

(٣) الأُصول الستَّة عشر لعدَّة محدِّثين (ص ٧٣).

(٤) الخصال للشيخ الصدوق (ص ٢٢٨).

وعنه ﷺ - في مواعظه لأبي ذرٍّ -: «إيّاك وكثرة الضحك، فإنَّه يُميت القلب»(١).

وقال الإمام عليٌّ عليه السلام: «مَنْ قَلَّ وَرَعُه مَاتَ قَلْبُه، وَمَنْ مَاتَ قَلْبُه دَخَلَ النَّارَ»(٢).

٧ - **أكثِر من ذكر الله تعالىٰ**، فإن «مداومة الذِّكر قوت الأرواح ومفتاح الصلاح»، كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام(٣).

٨ - **اقرأ الكُتُب الأخلاقية**، واحضر مجالس الوعظ والإرشاد، وزُرْ القبور من الفينة والأُخرىٰ، ولا تنسَ حضورك اليومي إلىٰ المسجد، فلا تبتعد عن الأجواء الإيمانية أبداً.

* * *

---

(١) الخصال للشيخ الصدوق (ص ٥٢٦).

(٢) نهج البلاغة (ج ٤/ ص ٨١).

(٣) عيون الحِكَم والمواعظ لعليِّ بن محمّد الليثي الواسطي (ص ٤٨٧).

المفردة الرابعة:

الاستخفاف والتهاون بإزالة الحُجُب

- الخطر: ﴿فِي ظُلُماتٍ لا يُبْصِرُونَ﴾.
- الأثر: ﴿عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾.
- التوصية: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾.

الحجاب لغةً: الستر، وحجاب الجوف: ما يُحتَجب بين الفؤاد وسائره، وحَجَبه أي مَنَعَه عن الدخول، والإخوة يحجبون الأُمَّ عن الثلث، والمحجوب: الضرير[1].

إنَّ هذا المعنىٰ اللغوي هو المقصود عند علماء الأخلاق عندما يقولون: إنَّ هناك حُجُباً تمنع الإنسان من الوصول إلىٰ الحقِّ.

وحتَّىٰ تتبيَّن المسألة أكثر نذكر عدَّة نقاط:

النقطة الأولى:

لا شكَّ أنَّ الإنسان موجود مُكرَّم من الله تعالىٰ أيَّما تكريم، وتكريمه له مفردات عديدة، تبدأ بالعقل، وتسخير كلِّ شيء له، وجعله مخاطَباً بالتكليف الإلهي الذي هو في الحقيقة تشريف لا تكليف، وغيرها.

وكون الإنسان مُكرَّماً عند الله تعالىٰ له جنبتان:

الجنبة الأُولىٰ: لا إرادية، وهي ما كان من الله تعالىٰ من كرامات، كما تقدَّم.

الجنبة الثانية: إرادية، وهي الكرامات التي يحصل عليها الإنسان عندما يبذل جهده لتحصيلها، ككرامة التقوىٰ والعلم والإيمان والعمل الصالح والجهاد في سبيل الله تعالىٰ.

---

(١) الصحاح للجوهري (ج ١/ ص ١٠٧/ مادَّة حجب).

قال تعالىٰ مبيِّناً تكريم الإنسان الاختياري الإرادي:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝١٣﴾ (الحجرات: ١٣).

﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ وَاللهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١١﴾ (المجادلة: ١١).

﴿لا يَسْتَوِي الْقاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ الْمُجاهِدِينَ بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنىٰ وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجاهِدِينَ عَلَى الْقاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً ۝٩٥﴾ (النساء: ٩٥).

وخلاصة التكريم الإرادي هو: التزام الإنسان بما رسمته له يد السماء من منهج منضبط يقوده نحو الكمال، وقد يُطلِق عليه علماء الأخلاق بالسير والسلوك نحو الله تعالىٰ.

النقطة الثانية:

لم يكن طريق التكامل طريقاً سهلاً ويسيراً، وإنَّما هو طريق ذات الشوكة، يملأه الخطر، وتحفُّه المكاره، وإن رغب الإنسان في أعماقه أن لا يكون كذلك، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطّائِفَتَيْنِ أَنَّها لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِماتِهِ وَيَقْطَعَ دابِرَ الْكافِرِينَ ۝٧﴾ (الأنفال: ٧).

وأكثر ما يحتاج فيه الإنسان هو الحذر جيِّداً من الأعداء، الذين يبحثون منه عن غِرَّته.

لذا احتاج الإنسان إلىٰ منهج منضبط، يُوجِّه له سلوكه بكلِّ دقَّة نحو برِّ الأمان، ومن دون ذلك المنهج فلا ضامن لاتِّجاه بوصلة الإنسان

نحـو الوجهـة الصـحيحة، لأنَّ انحرافهـا ولـو بدرجـة ضـئيلة وارد جـدًّا، وأثره سيكون كارثياً علىٰ الإنسان، فيما لو اكتشف بعد فوات الأوان أنَّه كـان يسـير نحـو الحفـرة المظلمـة ولـو مـن دون شـعور! وحينهـا قـد يكـون التصـحيح صـعباً جـدًّا إن لم يكـن مسـتحيلاً. خصوصـاً إذا فـات الأوان وانتهت فترة الاختبار.

النقطة الثالثة:

إنَّ الأخطـار - أو قـل: الحُجُـب - التـي تقـف حـائلاً دون وصـول الإنسـان إلىٰ وجهتـه الصـحيحة، والموانـع التـي تقـف أمـام انفتـاح الإنسـان علىٰ عالم الحقيقـة، وتعمـل عـلىٰ إبقائـه في عـالم الـوهم والخيـال، وأن يُكـرِّس جهده من أجل إعمار دار الفناء ولو بخراب الأُخرىٰ، لهي أخطار كثيرة.

والملاحظة الملفتة للنظـر هنـا: أنَّ تلـك الأخطـار تتميَّـز بعـدَّة مميِّـزات، تجعل منها أخطاراً فعلية، ومنها:

الميـزة الأُولىٰ: أنَّهـا مـن النـوع (**القنـوع**) في بدايـة أمرهـا، فهـي تكتفـي بـأن تُلقـي بنفسـها في أعـماق تربـة الـنفس، مـن دون أن يظهـر منهـا أيُّ أثـر، ومـن دون أن تشـقَّ أرض الـنفس لتمـدَّ فروعهـا المتشـابكة عاليـاً، بـل هـي تكتفـي أن تمـدَّ جـذورها اللّامرئيـة في داخـل الـنفس، وأن تبقـىٰ عـلىٰ ذلـك سـنوات طـوال! حتَّـىٰ إذا مـا وجـدت الفرصـة المناسـبة للظهـور شـقَّت طريقهـا معتمـدة عـلىٰ جـذورها المترسِّـخة في نفـس الغافـل، فتعمـل حينهـا علىٰ نشـر فروعهـا بسـرعة خاطفـة، وعـلىٰ إظهـار آثارهـا بكـلِّ قـوَّة، حتَّـىٰ تصل إلىٰ حدِّ التحكُّم بالسلوك الخارجي للإنسان.

قـد يطلـب الإنسـان العلـم، فتـأتي صـفات (الغـرور) و (حسـد العلماء) و (التكبُّر) لترمـي نفسـها في أحضـانه مـن دون أن يشـعر، وقـد لا

يظهر أثر هذه السموم إلَّا بعد أن يحصل ذلك الشخص علىٰ كمٍّ كبير من العلم، فتجد تلك الصفات فرصة للظهور، فتُلقي في نفسه أنَّه العالم الذي لم يأتِ أحد قبله، ولن يأتي أحد بعده، فيعمل علىٰ تسقيط العلماء ليبرز هو، ويعمل علىٰ الإتيان بالجديد ولو بضرب الضرورات والأساسات المذهبية مثلاً، وقد يصل به الحدُّ - إذا لم يستطع الصعود علىٰ أكتاف الصعاليك - إلىٰ أن يترك دينه وحقَّه، ليذهب إلىٰ أحضان الرذيلة.

والأمثلة علىٰ ذلك أكثر من أن تُحصىٰ، ولا شكَّ أنَّ منها أمثلة معاصرة كما لا يخفىٰ.

الميزة الثانية: ليس لتلك الأخطار لون واحد ولا نمط واحد، بل إنَّها تتَّخذ أشكالاً متنوِّعة وكثيرة، بل قد يصل بها الأمر إلىٰ أن تتلبَّس لباس الصالحين، وتتسربل سروال الزاهدين، حتَّىٰ إذا ما وجدت غفلة من العقل كشفت عن أنيابها، فغرزتها في مَقاتله، فيتحوَّل الإنسان إلىٰ أُلعوبة بيدها، ليكون أردأ من الحيوان، بل أخسأ من الحجارة.

ولذلك قسَّم علماء الأخلاق تلك الحُجُب إلىٰ (نورانية) و(ظلمانية)، كما سيتَّضح إن شاء الله تعالىٰ.

وقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنَّ الشيطان يدير ابن آدم في كلِّ شيء، فإذا أعياه جثم له عند المال فأخذ برقبته»[1].

---

(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ٢/ ص ٣١٥/ باب حُبّ الدنيا والحرص عليها/ ح ٤)، وجاء في هامش المصدر: («يدير ابن آدم» يبعثه علىٰ ارتكاب كلِّ ضلالة ومعصية، أو يكون معه ويلازمه عند عروض كلِّ شبهة أو شهوة لعلَّه يُضلّه أو يُزلّه. وقوله: «إذا أعياه» أي لم يقبل منه ابن آدم حتَّىٰ أعياه يترصَّد الشيطان له واختفىٰ عند المال. وجثم له جثماً وجثوماً: لزم مكانه ولم يبرح).

وعنه عليه السلام أنَّه قال: «جاء إبليس إلىٰ عيسىٰ عليه السلام فقال: أليس تزعم أنَّك تُحيي الموتىٰ؟ قال عيسىٰ عليه السلام: بلىٰ، قال إبليس: فاطرح نفسك من فوق الحائط! فقال عيسىٰ عليه السلام: ويلك، إنَّ العبد لا يُجرِّب ربَّه»(١).

لذلك تُعبِّر بعض الروايات الشريفة أنَّ للشيطان حبائل، أي إنَّ له طُرُقاً متكثِّرة لا طريقة واحدة، فقد روي في وصيَّة الإمام الصادق عليه السلام لعبد الله بن جندب أن قال له: «يا عبد الله، لقد نصب إبليس حبائله في دار الغرور، فما يقصد فيها إلَّا أولياءنا»(٢).

الميزة الثالثة: أنَّ لتلك الحُجُب والموانع أعواناً كُثُر، منهم أعوان من خارج نفس الإنسان، ومنهم: الشيطان، الأموال، رفقاء السوء، التربية المنحرفة، الجوُّ الملوَّث.

ومنهم أعوان من داخل النفس، ومنهم: الشهوات والغرائز، والنفس في مرتبة كونها أمّارة بالسوء، وميلان النفس نحو الانفلات واللّامسؤولية.

وبالتالي، فالمعركة ليست سهلة كما تقدَّم، وهي تحتاج إلىٰ مواجهة مباشرة مع النفس وأعوانها من الداخل والخارج، وإلىٰ عمل مستمرٍّ وجهاد مرير، إلىٰ أن ترجع الروح لبارئها. الأمر الذي عبَّر عنه القرآن بضرورة الاستمرار بالعبادة إلىٰ أن يصل المرء إلىٰ (الموت)، قال تعالىٰ: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ (الحجر ٩٩)، حيث أجمع المفسِّرون علىٰ تفسير اليقين بالموت.

الميزة الرابعة: أنَّ تلك الحُجُب والموانع تعمل بطريقة (خطوة - خطوة)،

---

(١) قَصص الأنبياء للراوندي (ص ٢٦٨/ ح ٣٤٠).

(٢) تحف العقول لابن شعبة الحرّاني (ص ٣٠١).

أي بالتدريج والتقسيط (المريح)! الأمر الذي عبَّر عنه القرآن الكريم بقوله عزَّ من قائل: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾ (البقرة: ١٦٨).

وقال تعالىٰ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ (البقرة: ٢٠٨).

وقال تعالىٰ: ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ وَلا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٤٢﴾﴾ (الأنعام: ١٤٢).

وقال تعالىٰ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (النور: ٢١).

إنَّ المستفاد من هذه الآيات أمران - هنا -:

الأوَّل: أنَّ للشيطان طُرُقاً متعدِّدة للإيقاع بابن آدم، كأكل الحرام، والحروب المدمِّرة، والعمل بالفحشاء والمنكر، وغيرها. ولذلك حذَّر منها القرآن في هذه الآيات، ودعا إلىٰ أكل الحلال، وإلىٰ الدخول في السلم، وإلىٰ الابتعاد عن الفحشاء والمنكر...

الثاني: أنَّ الشيطان يعمل بالتدريج والخطوات كما اتَّضح.

كما وقد أشارت بعض الروايات الشريفة إلىٰ مفردات من تلك الخطوات، نذكر منها التالي:

أوَّلاً: تقلُّبات القلب بين المدِّ والجزر، بين الإقبال والإدبار، فإنَّ الشيطان قد يكتفي بهذه التقلُّبات في بداية الأمر، ليستغلَّ ضعفاً في حالة إدبار، ليرمي شباكه ويُحكِم غلقها علىٰ صيده، ولكن المؤمن عليه أن يلتفت إلىٰ هذه المصيدة، وأن يعمل علىٰ استغلال فترات القوَّة لديه ليكون من أهل الإيمان.

عن سلام بن المستنير، قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام، فدخل عليه حمران بن أعين وسأله عن أشياء، فلمَّا هَمَّ حمران بالقيام قال لأبي جعفر عليه السلام: أُخبرك - أطال الله بقاءك لنا وأمتعنا بك - أنّا نأتيك، فما نخرج من عندك حتَّىٰ ترقّ قلوبنا وتسلوا أنفسنا عن الدنيا، ويهون علينا ما في أيدي الناس من هذه الأموال، ثمّ نخرج من عندك فإذا صرنا مع الناس والتجّار أحببنا الدنيا، قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: «إنَّما هي القلوب، مرَّة تصعب ومرَّة تسهل».

ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: «أمَا إنَّ أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله قالوا: يا رسول الله، نخاف علينا النفاق!»، قال: «فقال: ولِمَ تخافون ذلك؟ قالوا: إذا كنا عندك فذكَّرتنا ورغَّبتنا، وجلنا ونسينا الدنيا وزهدنا، حتَّىٰ كأنّا نعاين الآخرة والجنَّة والنار ونحن عندك، فإذا خرجنا من عندك ودخلنا هذه البيوت وشممنا الأولاد ورأينا العيال والأهل، يكاد أن نحول عن الحال التي كنّا عليها عندك، وحتَّىٰ كأنّا لم نكن علىٰ شيء، أفتخاف علينا أن يكون ذلك نفاقاً؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: كلَّا، إنَّ هذه خطوات الشيطان فيُرغِّبكم في الدنيا، والله لو تدومون علىٰ الحالة التي وصفتم أنفسكم بها لصافحتكم الملائكة ومشيتم علىٰ الماء، ولولا أنَّكم تذنبون فتستغفرون الله لخلق الله خلقاً حتَّىٰ يذنبوا ثمّ يستغفروا الله فيغفر [الله] لهم. إنَّ المؤمن مفتن توّاب، أمَا سمعت قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وقال: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: ٣]؟»[1].

ثانياً: قد يحلف المرء علىٰ أمر مرجوح وربَّما مبغوض، ويبقىٰ يُرتِّب عليه الأثر ما بقي، وهو بهذا يُلزِم نفسه بشيء لا ملزِم له به.

---

(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ٢/ ص ٤٢٣ و٤٢٤/ باب في تنقُّل أحوال القلب/ ح ١).

روي عن محمّد بن مسلم، عن أحدهما عليهما السلام، أنَّه سُئِلَ عن امرأة جعلت مالها هدياً، وكلَّ مملوك لها حُرًّا، إن كلَّمت أُختها أبداً! قال: «تُكلِّمها وليس هذا بشيء، إنَّما هذا وأشباهه من خطوات الشيطان»[1].

وعن عبد الرحمن بن أبي عبد الله، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل حلف أن ينحر ولده؟ فقال: «ذلك من خطوات الشيطان»[2].

وروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام: «إنَّ من خطوات الشيطان الحلف بالطلاق، والنذور في المعاصي، وكلَّ يمين بغير الله تعالىٰ»[3].

ثالثاً: قد ينحرف المرء عمَّا أراده الله تعالىٰ من ولاية أهل البيت عليهم السلام والدخول في ولاية غيرهم، فيكون قد اتَّبع خطوات الشيطان.

هذا أمر أشارت إليه العديد من الروايات محذِّرةً منه، فقد روي عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝٢٠٨﴾ [البقرة: ٢٠٨]، قال: «في ولايتنا»[4].

وفي رواية ثانية عن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في تفسير الآية المتقدِّمة: «أتدري ما السلم؟»، قال: قلت: أنت أعلم،

---

(١) النوادر لأحمد بن عيسىٰ الأشعري (ص ٢٦/ باب ما لا يلزم من النذر والأيمان ولا تجب فيه الكفّارة/ ح ١٦).

(٢) النوادر لأحمد بن عيسىٰ الأشعري (ص ٣٣/ باب ما لا يلزم من النذر والأيمان ولا تجب فيه الكفّارة/ ح ٣٦).

(٣) تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي (ج ١/ ص ٤٦٨).

(٤) الكافي للشيخ الكليني (ج ١/ ص ٤١٧/ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية/ ح ٢٩).

قال: «ولاية عليٍّ والأئمَّة الأوصياء من بعده»، قال: «وخطوات الشيطان والله ولاية فلان وفلان»[١].

وفي رواية ثالثة عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «السلم هم آل محمّد صلى الله عليه وآله، أَمَرَ الله بالدخول فيه»[٢].

وفي رواية رابعة عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿وَلا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ﴾، قال: «هي ولاية الثاني والأوَّل»[٣].

وباختصار، فإنَّ كلَّ ما خالف القرآن الكريم فهو من خطوات الشيطان[٤].

النقطة الرابعة:

تقدَّمت الإشارة إلىٰ أنَّ الحُجُب منها ظلمانية ومنها نورانية، فما معنىٰ هذا؟

أمَّا الحُجُب الظلمانية فربَّما أمرها واضح، فهي أمثال: الغيبة، والنميمة، والتكبُّر، وحُبُّ الشهرة، والأنانية، والنظر المحرَّم، وعقوق الوالدِّين، واللقمة الحرام، و...

وكونها حُجُباً وموانع من الكمال لا يحتاج إلىٰ بيان.

وهذه الحُجُب هي ما تجعلنا نبتعد عن الحقِّ جلَّ وعلا، وهي ما تُؤدّي إلىٰ خلق حاجز بيننا وبين الله تعالىٰ. وإلىٰ هذا المعنىٰ يشير الإمام

---

(١) تفسير العيّاشي (ج ١/ ص ١٠٢/ ح ٢٩٤).

(٢) تفسير العيّاشي (ج ١/ ص ١٠٢/ ح ٢٩٦).

(٣) تفسير العيّاشي (ج ١/ ص ١٠٢/ ح ٢٩٩).

(٤) في الدُّرِّ المنثور لجلال الدِّين السيوطي (ج ١/ ص ١٦٧): عن ابن عبّاس، قال: (ما خالف القرآن فهو من خطوات الشيطان).

زين العابدين عليه السلام في دعائه في سحر كلِّ ليلة من شهر رمضان: «وَأَنَّ الرَّاحِلَ إِلَيْكَ قَرِيبُ المَسافَةِ، وَأَنَّكَ لَا تَحْتَجِبُ عَنْ خَلْقِكَ إِلَّا أَنْ تَحْجُبَهُمُ الأَعْمالُ دُونَكَ...»(١).

ولكن ما معنىٰ أن تكون الحُجُب نورانية؟

الظاهر - والله العالم - أنَّه يُقصَد منها معنيان:

المعنىٰ الأوَّل: الكمال اللّامتناهي!

ولكي يتَّضح معناه نقول:

نحن نعرف من خلال الواقع الذي أثبته علم الكلام بالدليل أنَّ الإنسان موجود تميَّز بالمحدودية والنقص والحاجة والفقر، في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله، في أصل وجوده وفي استمرار وجوده، وهو ما يُعبَّر عنه فلسفياً بأنَّه موجود ممكن.

أمَّا الله تعالىٰ، فقد امتاز وتميَّز بكونه موجوداً واجب الوجود، أي إنَّه موجود غنيٌّ بالإطلاق، في ذاته وصفاته وأفعاله، في أصل وجوده وفي استمرار وجوده.

وهذا يعني أنَّ الإنسان موجود محدود، أي إنَّه متناهي.

وأنَّ الله عزَّ وجلَّ هو موجود لا محدود، أي إنَّه لا متناهي.

قد قالوا: إنَّ الفاصلة بين المحدود واللّامحدود هي فاصلة غير محدودة.

وبالتالي، فإنَّ اللّاتناهي قد حجب الإنسان عن معرفة حقيقة الله تبارك وتعالىٰ.

وبعبارة أُخرىٰ: إنَّ كون الله عزَّ وجلَّ لا متناهياً من حيث الوجود،

---

(١) الصحيفة السجّادية/ أبطحي (ص ٢١٥).

وقف حاجباً ومانعاً من إمكان إدراك كُنه حقيقته من قِبَل الموجود المتناهي المحجوب بحُجُب الزمان والمكان والحاجة والإمكان.

ومن هنا، جاءت بعض الروايات الشريفة التي نهت الإنسان عن الخوض في البحث عن معرفة كُنه الحقيقة الإلهيَّة، لأنَّه بحث لا جدوىٰ منه سوىٰ التيه والضلال، إذ هو بحث في غير الممكن، وهو أبعد من صيد الهواء في شبك.

ومن هنا روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «إيّاكم والتفكُّر في الله، فإنَّ التفكُّر في الله لا يزيد إلَّا تيهاً، إنَّ الله عزَّ وجلَّ لا تُدركه الأبصار، ولا يُوصَف بمقدار»[1].

ويقول الإمام الجواد عليه السلام: «أوهام القلوب أدقُّ من أبصار العيون، أنت قد تُدرك بوهمك السند والهند والبلدان التي لم تدخلها ولا تُدركها ببصرك، فأوهام القلوب لا تُدركه، فكيف أبصار العيون؟!»[2].

إذن، اللّاتناهي الوجودي عند الله عزَّ وجلَّ في الوقت الذي هو يُمثِّل كمالاً ونوراً له جلَّ وعلا، هو يُمثِّل حاجباً يمنع الإنسان من معرفة الحقيقة الإلهيَّة.

المعنىٰ الثاني: الصالحات من دون شروط قبولها:

تقدَّم أنَّ الحُجُب تتَّخذ أنماطاً متعدِّدة، ونحن نعرف أنَّ الله تعالىٰ قد فتح نوافذ للكمال، ولكنَّه لم يجعلها نوافذ مطلقة ومن دون شروط، بل هي نوافذ لمن يُحسِن كيفية الوصول إليها من الطريق الذي رسمه الباري جلَّ وعلا، ومهما كان هناك من شروط، فإنَّ أهم شرط فيها هو (الإخلاص)، أي جَعْل الهدف من

---

(١) أمالي الشيخ الصدوق (ص ٥٠٣/ ح ٦٩٠/ ٣).

(٢) الكافي للشيخ الكليني (ج ١/ ص ٩٩/ باب في إبطال الرؤية/ ح ١١).

العمل إلهيًّا علىٰ غرار ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً ﴿٩﴾﴾ (الإنسان: ٩).

فالإخلاص إذن هو أوَّل وأهمّ خطوات الولوج إلىٰ ساحة القدس الإلهي والكمال الوجودي.

فعن رسول الله الأعظم ﷺ في وصيَّته لابن مسعود: «يا ابن مسعود، إذا عملت عملاً فاعمل لله خالصاً، لأنَّه لا يقبل من عباده الأعمالَ إلَّا ما كان خالصاً، فإنَّه يقول: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل: ١٩ - ٢١]»[١].

ونُسِبَ لأمير المؤمنين عليه السلام قوله: «ليست الصلاة قيامك وقعودك، إنَّما الصلاة إخلاصك، وأن تريد بها الله وحده»[٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنَّه قال: «قال الله تبارك وتعالىٰ: أنا خير شريك، من أشرك بي في عمله لن أقبله إلَّا ما كان لي خالصاً»[٣].

من هذا نفهم: أنَّ أيَّ عمل كان الله تعالىٰ قد جعله نافذة للكمال إذا لم يلتزم المرء فيه الإخلاصَ فإنَّه سيتحوَّل إلىٰ حجاب عن الكمال!

فالصلاة، والجهاد في سبيل الله تعالىٰ، والعلم، والجاه، وغيرها، إذا لم يُفَعِّلْها المرء بإخلاص كانت وبالاً عليه.

ومن هنا روي عن أبي جعفر عليه السلام أنَّه قال: «ما بين الحقِّ والباطل إلَّا قلَّة العقل»، قيل: وكيف ذلك يا بن رسول الله؟ قال: «إنَّ العبد

---

(١) بحار الأنوار للعلَّامة المجلسي (ج ٧٤/ ص ١٠٣).

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (ج ١/ ص ٣٢٥).

(٣) تفسير العيّاشي (ج ٢/ ص ٣٥٣/ ح ٩٤).

يعمل العمل الذي هو لله رضاً فيريد به غير الله، فلو أنَّه أخلص لله لجاءه الذي يريد في أسرع من ذلك»[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «من أراد الله بالقليل من عمله أظهر الله له أكثر ممَّا أراده به، ومن أراد الناس بالكثير من عمله في تعب من بدنه وسهر من ليله أبىٰ الله إلَّا أن يُقلِّله في عين من سمعه»[٢].

النقطة الخامسة: التوصيات:

إذا تبيَّن كلُّ هذا نقول:

كم منّا عمل علىٰ أن يتخلَّص من القيود والحُجُب المانعة من الكمال؟!

كم منّا عمل علىٰ أن يتخلَّص من الذنوب كما يعمل علىٰ أن يتخلَّص من الأمراض التي تصيب بدنه؟

كم منّا بذل من وقته وجهده علىٰ تزكية نفسه بمقدار عُشر معشار عمله علىٰ كسب رزقه؟!

أعتقد أنَّ هناك الكثير من الناس - وأنا منهم - قد استخفُّوا بهذا الأمر، وهو استخفافٌ يُنذِر بخطر شديد جدًّا علينا أن نعمل بجدٍّ واجتهاد للتخلُّص من آثاره.

وفي هذا المجال عدَّة توصيات:

أوَّلاً: لا شكَّ أنَّنا لا نستطيع الهرب من المعركة، فالبحر وراءنا، والعدوُّ أمامنا، فلا مناص من المواجهة.

---

(١) المحاسن لأحمد بن محمّد بن خالد البرقي (ج ١/ ص ٢٥٤/ باب الإخلاص/ ح ٢٨٠).

(٢) المحاسن لأحمد بن محمّد بن خالد البرقي (ج ١/ ص ٢٥٥/ باب الإخلاص/ ح ٢٨٤).

وحيث إنَّ الإنسان منغمسٌ في النقص والحاجة، فهو محتاج إلىٰ من يعينه، بشرط أن يكون المُعين قويًّا لا ضعيفاً مثله، وليس هو إلَّا الباري جلَّ وعلا، فهو نعم المُعين، بل لا معين غيره.

وقد روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال: «وَأَكْثِرِ الِاسْتِعَانَةَ بِالله يَكْفِكَ مَا أَهَمَّكَ، وَيُعِنْكَ عَلَىٰ مَا يُنْزِلُ بِكَ إِنْ شَاءَ الله»[١].

ثانياً: أنَّ خير ما ينفع في الاستعانة بالله تعالىٰ هو الدعاء، ذلك الباب الذي فتحه الباري جلَّ وعلا لعباده ولم يغلقه عليهم، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ ما يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْ لا دُعاؤُكُمْ﴾ (الفرقان: ٧٧).

ولذلك يُركِّز الإمام الحسين عليه السلام في دعائه علىٰ طلب العون من الله تعالىٰ وعدم الإيكال إلىٰ نفسه، فقال عليه السلام في دعاء عرفة:

«... وَإِلىٰ غَيْرِكَ فَلا تَكِلْنِي، إِلىٰ مَنْ تَكِلُنِي، إِلَىٰ الْقَرِيبِ يَقْطَعُنِي، أَمْ إِلَىٰ الْبَعِيدِ يَتَهَجَّمُنِي، أَمْ إِلَىٰ الْمُسْتَضْعِفِينَ لِي، وَأَنْتَ رَبِّي وَمَلِيكُ أَمْرِي، أَشْكُوا إِلَيْكَ غُرْبَتِي، وَبُعْدَ دَارِي، وَهَوانِي عَلىٰ مَنْ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي. اللَّهُمَّ فَلا تُحْلِلْ بِي غَضَبَكَ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ غَضِبْتَ عَلَيَّ فَلَا أُبالِي سِواكَ، غَيْرَ أَنَّ عافِيَتَكَ أَوْسَعُ لِي...»[٢].

ثالثاً: علينا أن لا نخدع أنفسنا بعمل علىٰ أنَّه مخلص وهو ليس كذلك، فإنَّ النفس الأمّارة تعمل علىٰ تزيين العمل السيِّئ وجعله حسناً في نظر الإنسان، يعينها في ذلك الشيطان، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمالاً ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ﴿١٠٤﴾﴾ (الكهف: ١٠٣ و١٠٤).

---

(١) نهج البلاغة (ج ٣/ ص ٥٩).

(٢) إقبال الأعمال لابن طاووس (ج ٢/ ص ٧٩).

ومـن هنـا روي أنَّ رسـول الله ﷺ سُـئِلَ: فـيما النجـاة غـداً؟ فقـال: «إنَّـما النجـاة في أن لا تخـادعوا الله فيخـدعكم ، فإنَّـه مـن يخـادع الله يخدعـه، ويخلع منه الإيـمان، ونفسـه يخـدع لـو يشـعر»، فقيـل لـه: وكيـف يخـادع الله؟ قال: «يعمل بما أمره الله ثـمّ يريـد بـه غـيره، فـاتَّقوا الله واجتنبـوا الريـاء، فإنَّـه شرك بالله، إنَّ المرائي يُدعىٰ يوم القيامة بأربعـة أسـماء: يـا كـافر، يـا فـاجر، يـا غـادر، يـا خـاسر، حـبط عملـك وبطـل أجـرك، ولا خـلاق لـك اليـوم، فالتمس أجرك ممَّن كنت تعمل له»[1].

والمفـردة الخامسـة التاليـة سـتنفع كثـيراً في هـذا المجـال إن شـاء الله تعالىٰ.



(١) أمالي الشيخ الصدوق (ص ٦٧٧ و٦٧٨/ ح ٩٢١/ ٢٣).

المفردة الخامسة:

الاستخفاف والتهاون بالذنوب

- الخطر: الذنبُ الصغير.
- الأثر: الجرأة والاستدراج.
- التوصية: تعطَّرْ بالاستغفار؛ لا تفضَحْكَ روائحُ الذنوبِ.

إنَّ مـن أشـدِّ مـا يقـع فيـه بعـض النـاس في قضـيَّة الـذنوب هـو استخفافهم بها، وتقسيمها - عملياً وإن لم يقولـوه بألسنتهم - إلىٰ ذنـوب تستحقُّ أن يُبتَعد عنها ويتأمَّلَ الإنسان في عواقبها ويندمَ عليها لـو فعلها ويتـوبَ منهـا، وإلىٰ ذنـوب ليسـت كـذلك، باعتبارهـا أُمـوراً هيِّنـة ولا تستحقُّ التفكير فيها.

مـن المؤكَّـد أنَّـك سـمعتَ مـن يغتـاب النـاس أمامـك أو يكـذب، فنصحتَه ونهيتَه عن هذه الـذنوب، ومـن المؤكَّـد أيضـاً أنَّـك واجهـت واحـداً أو اثنين منهم وهو يقول لك:

أنا أتكلَّم الحقَّ!

أنا لستُ أوَّل من أخذ الغيبة!

إنَّ الله تعالىٰ رحيم غفور!

إنَّ هذه هيِّنة!

وتلك كذبة بيضاء!

ولا تُصعِّبها علينا!

وإنَّ الله تعالىٰ أعظم من أن يحاسبنا علىٰ هذه الصغار!

الناس يقتلون ويزنون وينهبون وأنا لا أفعل شيئاً سوىٰ الكلام بلساني!

وما حجم هذه الكذبة أو تلك الغيبة!

إلىٰ غير ذلك مـن التبريـرات الواهيـة، وكلُّهـا تشـير إلىٰ اعتقـاد مكنـون في داخـل الإنسـان مفـاده: أنَّ مـا فعلتـه وإن كـان ذنبـاً ولكنَّـه لا يسـتحقُّ الكثير.

والحال أنَّ الروايات الشريفة اعتبرت هذا التفكير من الأُمور التي تجعل من الذنب عظيماً مهما كان صغيراً، ولقد حذَّرت من هذا التفكير كثيراً.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «أعظم الذنوب عند الله سبحانه ذنبٌ صَغُرَ عند صاحبه»(١).

ويقول عليه السلام: «أشدُّ الذنوب عند الله سبحانه ذنبٌ استهان به راكبُه»(٢).

ويقول عليه السلام: «أَشَدُّ الذُّنُوبِ مَا اسْتَخَفَّ بِهَا صَاحِبُه»(٣).

ويقول الإمام الباقر عليه السلام: «من الذنوب التي لا تُغفَر قولُ الرجل: يا ليتني لا أُؤاخذ إلَّا بهذا»(٤).

والخطر في هذه الصغائر يكمن في التالي:

أوَّلاً: أنَّ هذه (الصغائر) في الحقيقة (كبائر) عندما ننظر إلىٰ عظمة المُتجرّىٰ عليه، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تنظروا إلىٰ صِغَر الذنب، ولكن انظروا إلىٰ من اجترأتم»(٥).

ثانياً: أنَّ هذه (الصغائر) لا تُنسىٰ، بل تُحفَظ، لأنَّ لها مطالباً، ويُؤتىٰ بها في مكان لا يسرُّك أن تراها فيه، حيث يكون المرء أحوج ما يكون إلىٰ أيِّ حسنة، وأحوج ما يكون بعيداً عن أيِّ سيِّئة.

---

(١) عيون الحِكَم والمواعظ لعليِّ بن محمّد الليثي الواسطي (ص ١١٢).

(٢) المصدر السابق.

(٣) نهج البلاغة (ج ٤/ ص ١١٠).

(٤) الخصال للشيخ الصدوق (ص ٢٤).

(٥) أوائل المقالات للشيخ المفيد (ص ٣٣٤)؛ وبحار الأنوار للعلَّامة المجلسي (ج ٧٤/ ص ١٦٨).

عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: «لا يغرَّنَّك الناس من نفسك، فإنَّ الأجر يصل إليك دونهم. ولا تقطع عنك النهار بكذا وكذا، فإنَّ معك من يحفظ عليك. ولا تستقلَّ قليل الخير، فإنَّك تراه غداً بحيث يسرُّك. ولا تستقلَّ قليل الشرِّ، فإنَّك تراه غداً بحيث يسوؤك. وأحسِن فإنّي لم أرَ شيئاً أشدّ طلباً ولا أسرع دَرَكاً من حسنةٍ لذنبٍ قديم، إنَّ الله تبارك وتعالىٰ يقول: ﴿إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ذلِكَ ذِكْرىٰ لِلذَّاكِرِينَ ١١٤﴾ [هود: ١١٤]».

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا بن مسعود، لا تُحقِّرَنَّ ذنباً ولا تُصغِّرَنَّه، واجتنب الكبائر، فإنَّ العبد إذا نظر يوم القيامة إلىٰ ذنوبه دمعت عيناه قيحاً ودماً، يقول الله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ ٣٠﴾ [آل عمران: ٣٠]»[1].

ويقول الإمام الباقر عليه السلام: «اتَّقوا المحقَّرات من الذنوب، فإنَّ لها طالباً، يقول أحدكم: أُذنِبُ وأستغفر، إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتىٰ وَنَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وَآثارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ ١٢﴾ [يس: ١٢]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿يا بُنَيَّ إِنَّها إِنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّماواتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ١٦﴾ [لقمان: ١٦]»[2].

ثالثاً: أنَّ هذه (الصغائر) ستكون طريقاً إلىٰ الكبائر، بل ربَّما كانت

---

(١) مكارم الأخلاق للشيخ الطبرسي (ص ٤٥٢)؛ ومستدرك الوسائل للميرزا النوري (ج ١١/ ص ٣٥٠).

(٢) الكافي للشيخ الكليني (ج ٢/ ص ٢٧٠ و٢٧١/ باب الذنوب/ ح ١٠).

هي كبائر عندما تتجمَّع والمرء غافل عنها، روي عن الإمام الكاظم عليه السلام: «إنَّ المسيح عليه السلام قال للحواريين: إنَّ صغار الذنوب ومحقَّراتها من مكائد إبليس، يُحقِّرها لكم، ويُصغِّرُها في أعينكم، فتجتمع وتكثر، فتحيط بكم»[١].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله نزل بأرض قرعاء فقال لأصحابه: ائتوا بحطب، فقالوا: يا رسول الله نحن بأرض قرعاء ما بها من حطب، قال: فليأتِ كلُّ إنسان بما قدر عليه، فجاؤوا به حتَّىٰ رموا بين يديه بعضه علىٰ بعض، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هكذا تجتمع الذنوب، ثمّ قال: إيّاكم والمحقَّرات من الذنوب، فإنَّ لكلِّ شيء طالباً، ألَا وإنَّ طالبها يكتب ﴿ما قَدَّمُوا وَآثارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس: ١٢]»[٢].

رابعاً: أنَّ هذه (الصغائر) ربَّما توافق سخط الله تعالىٰ، فإنَّه تعالىٰ أخفىٰ سخطه في معصيته علىٰ نحو الإهمال، أي من دون تعيين. وفي ذلك يقول الإمام عليٌّ عليه السلام: «إنَّ الله أخفىٰ سخطه في معصيته، فلا تستصغرنَّ شيئاً من معصيته، فربَّما وافق سخطه وأنت لا تعلم»[٣].

خامساً: أنَّ الآثار السيِّئة المترتِّبة علىٰ الذنوب لم يُؤخَذ فيها كون الذنب كبيراً أو صغيراً، فالروايات الشريفة تذكر تلك الآثار من دون تعيين الذنب وكونه صغيراً أو كبيراً، وهذا يعني احتمالية ترتُّب تلك الآثار حتَّىٰ علىٰ الذنب الصغير.

---

(١) بحار الأنوار للعلَّامة المجلسي (ج ١/ ص ١٤٥ و١٤٦).

(٢) الكافي للشيخ الكليني (ج ٢/ ص ٢٨٨/ باب استصغار الذنب/ ح ٣).

(٣) الخصال للشيخ الصدوق (ص ٢٠٩ و٢١٠).

فانظر إلىٰ الروايات التالية لتعرف صدق هذا بنفسك:

عن رسول الله ﷺ: «للمؤمن اثنان وسبعون ستراً، فإذا أذنب ذنباً انهتك عنه ستر، فإن تاب ردَّه الله إليه وسبعة معه، فإن أبىٰ إلَّا قُدُماً قُدُماً في المعاصي تُهتَك عنه أستاره، فإن تاب ردَّها الله إليه ومع كلِّ ستر منها سبعة أستار، فإن أبىٰ إلَّا قُدُماً قُدُماً في المعاصي تهتَّكت عنه أستاره، وبقي بلا ستر، وأوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ ملائكته أن استروا عبدي بأجنحتكم، فإنَّ بني آدم يُعيِّرون ولا يُغيِّرون وأنا أُغيِّر ولا أُعيِّر، فإن أبىٰ إلَّا قُدُماً قُدُماً في المعاصي شَكَت الملائكة إلىٰ ربِّها ورفعت أجنحتها وقالت: يا ربِّ، إنَّ عبدك هذا قد أقدمنا ممَّا يأتي الفواحش ما ظهر منها وما بطن، قال: فيقول الله تعالىٰ لهم: كفُّوا أجنحتكم. فلو عمل بخطيئة في سواد الليل أو في ضوء النهار أو في مفازة أو قعر بحر لأجراها الله تعالىٰ علىٰ ألسنة الناس، فسلوا الله تعالىٰ أن لا يهتك أستاركم»(١).

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «ما من سنة أقلُّ مطراً من سنة، ولكن الله عزَّ وجلَّ يضعه حيث يشاء، إنَّ الله عزَّ وجلَّ إذا عمل قومٌ بالمعاصي صرفَ عنهم ما كان قدَّره لهم من المطر في تلك السنة إلىٰ غيرهم، وإلىٰ الفيافي والبحار والجبال، وإنَّ الله ليُعذِّب الجُعْل في جُحرها بحبس المطر عن الأرض التي هي بمحلَّتها لخطايا من بحضرتها، وقد جعل الله لها السبيل إلىٰ مسلك سوىٰ محلَّة أهل المعاصي»(٢).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا أذنب الرجل خرج في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب انمحت، وإن زاد زادت، حتَّىٰ تغلبَ علىٰ قلبه فلا يفلح بعدها أبداً»(٣).

---

(١) النوادر لفضل الله الراوندي (ص ٩٧).

(٢) المحاسن لأحمد بن محمّد بن خالد البرقي (ج ١/ ص ١١٦ و١١٧).

(٣) الكافي للشيخ الكليني (ج ٢/ ص ٢٧١/ باب الذنوب/ ح ١٣).

وعنه عليه السلام: «إنَّ الرجل يذنب الذنب فيحرم صلاة الليل، وإنَّ العمل السيِّئ أسرع في صاحبه من السكّين في اللحم»[١].

سادساً: هذا كلُّه فضلاً عن أنَّ نفس التهاون بالذنب - مع الاعتراف بأنَّه ذنب ومخالفة لله تعالىٰ ومعصية له - يكشف عن حقارة في النفس، وتطاول علىٰ سيِّدها، وظلم لمولاها بتجاوز حدوده، وهذا وحده كافٍ عقلاً وشرعاً لإنزال العقاب علىٰ المعتدي.

ولهذا كلِّه وغيره علينا أن نحذر من صغار الذنوب بالمقدار الذي نحذر من كبارها، ولنتذكَّر ما قاله الإمام الحسن العسكري عليه السلام للبهلول، حيث نقل ابن حجر في الصواعق أنَّه وقع لبهلول مع الإمام العسكري عليه السلام أنَّه رآه وهو صبيٌّ يبكي والصبيان يلعبون، فظنَّ أنَّه يتحسَّر علىٰ ما في أيديهم، فقال: أشتري لك ما تلعب به؟ فقال: «يا قليل العقل، ما للعب خُلِقنا»، فقال له: فلماذا خُلِقنا؟ قال: «للعلم والعبادة»، فقال له: من أين لك ذلك؟ قال: «من قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥]»، ثمّ سأله أن يعظه، فوعظه بأبيات، ثمّ خرَّ الحسن [عليه السلام] مغشيًّا عليه، فلمّا أفاق قال له: ما نزل بك وأنت صغير لا ذنب لك؟ فقال: «**إليك عنّي يا بهلول، إنّي رأيت والدتي تُوقِد النار بالحطب الكبار فلا تتَّقد إلَّا بالصغار، وإنّي أخشىٰ أن أكون من صغار حطب جهنَّم**»[٢].

فهل بعد هذا يصحُّ أن نتهاون بذنب ولو كان صغيراً؟!

---

(١) المحاسن لأحمد بن محمّد بن خالد البرقي (ج ١/ ص ١١٥).

(٢) الصواعق المحرقة لابن حجر (ص ٢٠٧).

وأصلاً هل يمكن أن نُسمّي ذنباً صغيراً رغم أنَّه مهما صغر في أعيننا فإنَّه يحكي عن جرأة ووقاحة مع المولىٰ الخالق جلَّ وعلا؟!

علينا أن نتذكَّر أنَّه «لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار»[1].

كيف تكبر الصغيرة؟

قد يُقسِّم البعض الذنوب إلىٰ صغائر وكبائر، وهو ما قد يوجد عليه شاهد من هنا وهناك، ولكن حتَّىٰ لو صحَّ هذا التقسيم فمع ذلك يلزم الحذر من الصغائر، لأنَّها يمكن أن تنقلب وتصير من الكبائر، وموجبات ذلك أُمور عديدة، نذكر منها:

أوَّلاً: استصغار الذنب:

إنَّ استصغار الذنب والنظر إليه علىٰ أنَّه لا يستحقُّ الكثير منّا يدلُّ في الحقيقة علىٰ شدَّة الأُلفة به، وهذا ما يوجب تأثُّر القلب سلباً، وعندئذٍ سيجرُّه هذا الاستصغار إلىٰ استمراء ذنب آخر، وهكذا إلىٰ أن يجرَّه ذلك إلىٰ ارتكاب الذنوب كبيرها وصغيرها من دون أن يكون في قلبه ندم أو لوم علىٰ ارتكابه.

عن أبي أُسامة زيد الشحّام، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «اتَّقوا المحقَّرات من الذنوب، فإنَّها لا تُغفَر»، قلت: وما المحقَّرات؟ قال: «الرجل يذنب الذنب فيقول: طوبىٰ لي لو لم يكن لي غير ذلك»[2].

وعن سماعة، قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: «لا تستكثروا

(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ٢/ ص ٢٨٨/ باب الإصرار علىٰ الذنب/ ح ١)، عن أبي عبد الله عليه السلام.

(٢) الكافي للشيخ الكليني (ج ٢/ ص ٢٨٧/ باب استصغار الذنب/ ح ١).

كثير الخير ولا تستقلُّوا قليل الذنوب، فإنَّ قليل الذنوب يجتمع حتَّىٰ يكون كثيراً، وخافوا الله في السرِّ حتَّىٰ تُعطوا من أنفسكم النَّصَف»[١].

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «من الذنوب التي لا تُغفَر قول الرجل: يا ليتني لا أُؤاخذ إلَّا بهذا»[٢].

وقال عليه السلام: «لا تستصغرنَّ سيِّئة تعمل بها، فإنَّك تراها حيث تسوؤك»[٣].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنَّ إبليس رضي منكم بالمحقَّرات، والذنب الذي لا يُغفَر قول الرجل: لا أُؤاخذ بهذا الذنب، استصغاراً له»[٤].

ثانياً: الإصرار علىٰ الذنب:

عندما يخطئ الإنسان فخطؤه يُعبِّر ربَّما عن حالة طبيعية، نتيجة عدم عصمته، وتتابع محاولات إبليس إيقاعَه في الخطأ، وضعف نفسه في كثير من الأحايين، ولكن عندما يُصِرُّ علىٰ ارتكاب الخطأ رغم علمه به، فهذا ما لا يُعبِّر عن حالة طبيعية، بل هي حالة من التيبُّس والجمود اللّاإنساني واللّاعقلاني.

وهذه الحالة هي حالة اجتماعية منتشرة في العديد من الأفراد، وفي نفس الوقت هي حالة مارسها البعض حتَّىٰ مع التزامه بالشريعة، فتجده لعناده يرضىٰ بالمخالفة رغم علمه بخطئه، الأمر الذي يُسمّىٰ بالإصرار علىٰ الذنب، الذي هو من موجبات تضخيم الذنب ولو كان

(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ٢/ ص ٢٨٧ و٢٨٨/ باب استصغار الذنب/ ح ٢).

(٢) الخصال للشيخ الصدوق (ص ٢٤).

(٣) بحار الأنوار للعلَّامة المجلسي (ج ٧٠/ ص ٣٥٦)؛ ووسائل الشيعة للحرِّ العاملي (ج ١٥/ ص ٣١٢).

(٤) النوادر لفضل الله الراوندي (ص ١٢٩).

صغيراً، لأنَّه يكشف عن صفة سيِّئة بذيئة داخل النفس لا ترضىٰ بالاعتراف بالخطأ ولا بتصحيحه.

وهو ما حكاه القرآن الكريم بقوله: ﴿وَجَحَدُوا بِها وَاسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ۝١٤﴾ (النمل: ١٤).

وقد صرَّحت الروايات الشريفة بأنَّ هذه الحالة توجب أن يتمَّ التعامل مع الذنب علىٰ أنَّه من الذنوب الكبيرة حتَّىٰ ولو كان من الصغائر.

عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار»[١].

وعن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلىٰ ما فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝١٣٥﴾ [آل عمران: ١٣٥]، قال: «الإصرار هو أن يذنب الذنب فلا يستغفر الله، ولا يُحدِّث نفسه بتوبة، فذلك الإصرار»[٢].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا عظَّمت الذنب فقد عظَّمت الله، فإذا صغَّرته فقد صغَّرت حقَّ الله تعالىٰ، لأنَّ حقَّه في الصغير والكبير، وما من ذنب عظيم عظَّمته إلَّا صَغُر عند الله تعالىٰ، ولا من صغير صغَّرته إلَّا عَظُم عند الله عزَّ وجلَّ»[٣].

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله لأبي ذرٍّ: «يا أبا ذرٍّ، لا تنظر إلىٰ صِغَر الخطيئة، ولكن انظر إلىٰ من عصيت»[٤].

---

(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ٢/ ص ٢٨٨/ باب الإصرار علىٰ الذنب/ ح ١).
(٢) الكافي للشيخ الكليني (ج ٢/ ص ٢٨٨/ باب الإصرار علىٰ الذنب/ ح ٢).
(٣) مستدرك الوسائل للميرزا النوري (ج ١١/ ص ٣٤٧).
(٤) أمالي الشيخ الطوسي (ص ٥٢٨).

ثالثاً: المجاهرة بالذنب:

من طبيعة الإنسان أنَّه يُحِبُّ دوماً أن يظهر أمام الناس بمظهر لائق علىٰ مستوىٰ الهندام أو علىٰ مستوىٰ الأخلاق، فتجده يعمل علىٰ تصنُّع الخُلُق الحسن، وعلىٰ أن يظهر أمام الناس بمظهر الحكيم الهادئ المسامح العفوّ الكريم السخيّ...، وقد تجد شخصاً بهذا المظهر، ولكنَّه في بيته جبّار ظالم مستبدٌّ!

وعلىٰ كلِّ حالٍ، لا أحد يرضىٰ بأن يُنقَص من قدره أمام الناس، وهذه حالة جيِّدة في كثير من الأحيان.

وحتَّىٰ في مسألة الالتزام بالدِّين تجد بعض الناس يُظهِرون التديُّن والالتزام حتَّىٰ وإن كانوا في داخلهم علىٰ غير هذه الحال، وهي حالة تُعبِّر عن احترام للذات أمام المجتمع، وعسىٰ هذه الحالة أن تجرَّ المتصنِّع بالدِّين إلىٰ أن يلتزمه ظاهراً وباطناً. وعلىٰ كلِّ حالٍ، هي حالة إيجابية من جهة معيَّنة، وإن كانت هناك حالة سلبية تلابسها (والتي قد تصل إلىٰ حدِّ النفاق!).

وواحدة من ترجمات هذه الحالة هي أن يتصنَّع الإنسان التديُّن أمام الناس، وأن لا يقترب من الذنب أمامهم!

أنا لا أُريد أن امتدح هذه الحالة بقدر ما أُريد بيانها، لأنَّه وكما تقدَّم الآن ربَّما تُعبِّر هذه الحالة عن النفاق المذموم، ولكن بالتالي هي طبيعة عاش عليها الكثير من الناس، وهذا يعني أنَّ عكس الحالة هذه، بأن يقوم الفرد بالتجاهر بارتكابه المعاصي غاضًّا طرفه، بل مستخفًّا بكلِّ من ينظر إليه، فهذه حالة من الوقاحة الاجتماعية فضلاً عن الشرعية.

في الحقيقة إنَّ هذا منه خيانة لستر الله الذي أسدله عليه، وتحريك لرغبة السامعين لذلك الذنب، فهما جنايتان انضمَّتا إلىٰ جنايته، فإن

أُضيف إليه حَمْلُ ودَفْعُ الغير علىٰ ارتكاب ذلك الفعل كانت أربع جنايات، وفي الحديث[١]: كلُّ الناس معافىٰ إلَّا المجاهرين، يبيت أحدكم علىٰ ذنب قد ستره الله عليه فيصبح ويكشف ستر الله ويُتحدَّث به، وذلك لأنَّ من صفاته ستر القبيح[٢].

ولذلك ورد ترغيب العاصي وحثُّه علىٰ الاستتار من معصيته وعدم فضح نفسه عند الناس، بل وحتَّىٰ عند الحاكم أيضاً، فعن أمير المؤمنين عليه السلام - في حديث الزاني الذي أقرَّ أربع مرّات - أنَّه قال لقنبر: «احتفظ به»، ثمّ غضب وقال: «ما أقبح بالرجل منكم أن يأتي بعض هذه الفواحش فيفضح نفسه علىٰ رؤوس الملأ؟! أفلا تاب في بيته، فوَالله لتوبته فيما بينه وبين الله أفضل من إقامتي عليه الحدَّ»[٣].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أتىٰ من هذه القاذورات شيئاً فليستره بستر الله، فإنَّ من أبدىٰ لنا صفحته أقمنا عليه حدَّ الله»[٤].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال: «إيّاك والمجاهرة بالفجور، فإنَّه من أشدِّ المآثم»[٥].

---

(١) ونصُّ الحديث كما في صحيح مسلم (ج ٨/ ص ٢٢٤ و٢٢٥)؛ وصحيح البخاري (ج ٧/ ص ٨٩)؛ وكنز العُمّال للمتَّقي الهندي (ج ٤/ ص ٢٣٩/ ح ١٠٣٣٧): عن رسول الله (صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلَّم) يقول: «كلُّ أُمَّتي معافاة إلَّا المجاهرين، وإنَّ من الإجهار أن يعمل العبد بالليل عملاً ثمّ يصبح قد ستره ربُّه، فيقول: يا فلان، قد عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربُّه فيبيت يستره ربُّه، ويصبح يكشف ستر الله عنه!».

(٢) نقله السيِّد نعمة الله الجزائري في نور الأنوار في شرح الصحيفة السجّادية (ص ١٣٧).

(٣) الكافي للشيخ الكليني (ج ٧/ ص ١٨٨/ باب آخر من صفة الرجم/ ح ٣).

(٤) المبسوط للشيخ الطوسي (ج ٨/ ص ٤٠).

(٥) عيون الحِكَم والمواعظ لعليِّ بن محمّد الليثي الواسطي (ص ٩٥).

وعن الأصبغ بن نباتة، قال: أتىٰ رجلٌ أميرَ المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، إنِّي زنيت فطهِّرني، فأعرض أمير المؤمنين عليه السلام بوجهه عنه، ثمّ قال له: اجلس، فأقبل عليٌّ عليه السلام علىٰ القوم فقال: «**أيعجز أحدكم إذا قارف هذه السيِّئة أن يستر علىٰ نفسه كما ستر الله عليه؟...**»[١].

رابعاً: الابتهاج بالذنب والسرور به:

بمعنىٰ الافتخار والفرح به عندما يصدر، مع المعرفة التامَّة بكونه مخالفة للخالق جلَّ وعلا، فإنَّه علامة الرضا بالذنب، والإصرار عليه، وربَّما يكون إظهار السرور به ذنباً آخر، لأنَّه يكشف عن الاستهزاء بالأمر الإلهي وتناسيه بالمرَّة.

---

(١) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق (ج ٤/ ص ٣١ و٣٢)، وتمام الرواية: ... فقام الرجل فقال: يا أمير المؤمنين، إنِّي زنيت فطهِّرني، فقال: «وما دعاك إلىٰ ما قلتَ؟»، قال: طلب الطهارة، قال: «وأيُّ الطهارة أفضل من التوبة؟»، ثمّ أقبل علىٰ أصحابه يُحدِّثهم، فقام الرجل، فقال: يا أمير المؤمنين، إنِّي زنيت فطهِّرني، فقال له: «أتقرأ شيئاً من القرآن؟»، قال: نعم، فقال: «اقرأ»، فقرأ، فأصاب، فقال له: «أتعرف ما يلزمك من حقوق الله عز وجل في صلاتك وزكاتك؟»، فقال: نعم، فسأله، فأصاب، فقال له: «هل بك من مرض يعروك أو تجد وجعاً في رأسك أو شيئاً في بدنك أو غمًّا في صدرك؟»، فقال: يا أمير المؤمنين لا، فقال: «ويحك اذهب حتَّىٰ نسأل عنك في السرِّ كما سألناك في العلانية، فإن لم تعد إلينا لم نطلبك»، قال: فسأل عنه، فأُخبر أنَّه سالم الحال، وأنَّه ليس هناك شيء يُدخِل عليه به الظنَّ، قال: ثمّ عاد الرجل إليه، فقال له: يا أمير المؤمنين، إنِّي زنيت فطهِّرني، فقال له: «لو إنَّك لم تأتِنا لم نطلبك، ولسنا بتاركيك إذا لزمك حكم الله عز وجل»، ثمّ قال: «يا معشر الناس، إنَّه يجزي من حضر منكم رجمه عمَّن غاب، فنشدت الله رجلاً منكم يحضر غداً لما تلثَّم بعمامته حتَّىٰ لا يعرف بعضكم بعضاً، وأتوني بغلس حتَّىٰ لا ينظر بعضكم بعضاً، فإنّا لا ننظر في وجه رجل ونحن نرجمه بالحجارة»، قال: فغدا الناس كما أمرهم قبل أسفار الصبح، فاقبل عليٌّ عليه السلام عليهم، ثمّ قال: «نشدت الله رجلاً منكم لله عليه مثل هذا الحقِّ أن يأخذ لله به، فإنَّه لا يأخذ لله عز وجل بحقٍّ من يطلبه الله بمثله»، قال: فانصرف والله قوم ما ندري من هم حتَّىٰ الساعة، ثمّ رماه بأربعة أحجار، ورماه الناس.

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «إيّاك والابتهاج بالذنب، فإنَّ الابتهاج به أعظم من ركوبه»(١).

خامساً: ذنب العالم الذي يُقتدىٰ به:

قد يُذنِب شخص عادي أي ليس بعالم، عندها سيتوجَّه النقد إليه بشخصه لو اطَّلع البعض علىٰ ذنبه، ولكن قد يُذنِب شخصٌ له من المعرفة الشيء الكثير، وبالتالي يحكي ذنبه عن مخالفة صريحة لا تقبل التشكيك، لفرض أنَّه عالم، وسيتمُّ التعامل مع ذنبه حينئذٍ تعاملاً يختلف عن التعامل مع غيره من المذنبين، وهذا واقع لا يقبل الإنكار، ولكن لماذا؟

ذلك لأنَّه قد يموت العالم ويبقىٰ شرُّه.

وزلَّة العالم ربَّما تكون مدعاة وتشجيعاً لغيره بالذنب.

وقد يفهم البعض أنَّ الدِّين يخدع البسطاء من الناس، لأنَّه يأمرهم بالاستقامة، ولكن القائمين عليه من أمثال هذا العالم يخالف الناس إلىٰ ما ينهاهم عنه!

وكلُّ ذلك له من الآثار السلبية علىٰ الفرد والمجتمع ما لا يمكن غضُّ الطرف عنه.

عن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «يا حفص، يُغفَر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يُغفَر للعالم ذنب واحد»(٢).

---

(١) كشف الغمَّة لابن أبي الفتح الإربلي (ج ٢/ ص ٣٢٠)؛ وبحار الأنوار للعلَّامة المجلسي (ج ٧٥/ ص ١٥٩).

(٢) الكافي للشيخ الكليني (ج ١/ ص ٤٧/ باب لزوم الحجَّة علىٰ العالم وتشديد الأمر عليه/ ح ١).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «قال عيسىٰ بن مريم (علىٰ نبيِّنا وآله وعليه السلام): ويلٌ للعلماء السوء كيف تلظّىٰ عليهم النار»[١].

وعن جميل بن درّاج، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إذا بلغت النفس هاهنا - وأشار بيده إلىٰ حلقه - لم يكن للعالم توبة»، ثمّ قرأ: «﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهالَةٍ﴾ [النساء: ١٧]»[٢].

وقال الإمام عليٌّ عليه السلام: «قصم ظهري عالمٌ متهتِّك، وجاهلٌ متنسِّك، فالجاهل يغشُّ الناس بتنسُّكه، والعالم يُنفِّرهم بتهتُّكه»[٣].

سادساً: التهاون بستر الله عليه:

من الرحمة الإلهيَّة غير المتناهية علىٰ بني البشر هو أنَّه عزَّ وجلَّ رغم اطِّلاعه علىٰ ما يفعله الناس من ذنوب ومعاصٍ، ولكنَّه جلَّ وعلا أخذ علىٰ نفسه أن يستر عليهم ولا يفضحهم بذنوبهم في الدنيا. وهذه الحالة تفرض علىٰ الإنسان الاستحياء من الله تعالىٰ في كلِّ حركة وسكون، ولكن الذي يجري من البعض هو أنَّه يستغلُّ هذه (الفرصة) ويعمل ما يشاء مغترًّا بالستر الإلهي عليه.

علىٰ المذنب أن يحذر من ستر الله تعالىٰ عليه ذنبَه وعدم فضحه بين الناس، فلعلَّ ستره عليه لا لكرامة له عليه، بل لعلَّه من باب الاستدراج.

عن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «كم من مغرور

---

(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ١/ ص ٤٧/ باب لزوم الحجَّة علىٰ العالم وتشديد الأمر عليه/ ح ٢).

(٢) الكافي للشيخ الكليني (ج ١/ ص ٤٧/ باب لزوم الحجَّة علىٰ العالم وتشديد الأمر عليه/ ح ٣).

(٣) نهج البلاغة/ الخطبة ٣٢ و١٩٣.

بما قد أنعم الله عليه، وكم من مستدرَج بستر الله عليه، وكم من مفتون بثناء الناس عليه»[١].

إنَّ الستر الإلهي علىٰ المذنبين كان من باب المنَّة غير اللازمة علىٰ الله تعالىٰ، وبالتالي لو لم يمنّ الله تعالىٰ علىٰ أحد المذنبين فلا يُعَدُّ هذا خرقاً لاتِّفاق مسبق أو ظلماً أو عبثاً، ومعه فعلىٰ المذنب أن يتصوَّر حاله لو فضحه الله تعالىٰ بذنبه بين أهله وجيرانه معارفه، وعليه أن يُردِّد دعاء الإمام السجّاد عليه السلام: «... أيْ رَبِّ، جَلِّلْني بِستْرِكَ، وَاعْفُ عَنْ تَوْبِيخِي بِكَرَمِ وَجْهِكَ، فَلَوِ اطَّلَعَ اليَوْمَ عَلىٰ ذَنْبِي غَيْرُكَ مَا فَعَلْتُهُ، وَلَوْ خِفْتُ تَعْجِيلَ العُقُوبَةِ لاجْتَنَبْتُهُ، لَا لأَنَّكَ أَهْوَنُ النَّاظِرِينَ وَأَخَفُّ المُطَّلِعِينَ عَلَيَّ، بَلْ لأَنَّكَ يَا رَبِّ خَيْرُ السَّاتِرِينَ، وَأَحْكَمُ الحاكِمِينَ، وَأَكْرَمُ الأَكْرَمِينَ، سَتَّارُ العُيُوبِ، غَفَّارُ الذُّنُوبِ، عَلَّامُ الغُيُوبِ، تَسْتُرُ الذَّنْبَ بِكَرَمِكَ، وَتُؤَخِّرُ العُقُوبَةَ بِحِلْمِكَ، فَلَكَ الحَمْدُ عَلىٰ حِلْمِكَ بَعْدَ عِلْمِكَ، وَعَلىٰ عَفْوِكَ بَعْدَ قَدْرَتِكَ...»[٢].



(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ٢/ ص ٤٥٢/ باب الاستدراج/ ح ٤).

(٢) مصباح المتهجِّد للشيخ الطوسي (ص ٥٨٤/ من دعاء أبي حمزة الثمالي للإمام زين العابدين عليه السلام).

المفردة السادسة:

الاستخفاف والتهاون بحقوق الجسم

- الخطر: ﴿فَكَأَنَّما قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً﴾.
- الأثر: «لَا يُوَفَّقُ قَاتِلُ الْمُؤْمِنِ مُتَعَمِّداً لِلتَّوْبَةِ».
- التوصية: ﴿وَمَنْ أَحْياها فَكَأَنَّما أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾.

إنّ لبدنك عليك حقًّا:

هكذا قال أمير المؤمنين عليه السلام لعاصم[1] عندما رآه قد ابتعد عن لذائذ الحياة المحلَّلة.

وهكذا يُعلِّمنا أمير المؤمنين عليه السلام مبدأ الإسلام في التوازن المطلوب بين حقوق الروح وحقوق البدن.

أصبح من الواضحات أنَّ الإنسان كائن ذو بُعدين، بُعد مجرَّد وهو الروح، وآخر مادّي هو البدن أو الجسم. وقد اختلفت الحضارات في إعطاء حقِّ كلٍّ منهما، فبينما أفرطت حضارة في حقِّ الروح وفرَّطت في حقِّ البدن، عكست الأمر حضارة أُخرىٰ، ولكن الإسلام وازن بين البُعدين كأروع ما يكون التوازن.

---

(١) في نهج البلاغة (ج ٢/ ص ١٨٧و١٨٨): من كلام له عليه السلام بالبصرة وقد دخل علىٰ العلاء بن زياد الحارثي وهو من أصحابه يعوده، فلمَّا رأىٰ سعة داره قال: «مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِسِعَةِ هَذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا وَأَنْتَ إِلَيْهَا فِي الآخِرَةِ كُنْتَ أَحْوَجَ، وبَلَىٰ إِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الآخِرَةَ، تَقْرِي فِيهَا الضَّيْفَ، وَتَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ، وَتُطْلِعُ مِنْهَا الْحُقُوقَ مَطَالِعَهَا، فَإِذا أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ بِهَا الآخِرَةَ»، فقال له العلاء: يا أمير المؤمنين، أشكو إليك أخي عاصم بن زياد، قال: «وَمَا لَهُ؟»، قال: لبس العباءة، وتخلّىٰ عن الدنيا. قال: «عَلَيَّ بِهِ»، فلمَّا جاء قال: «يَا عُدَيَّ نَفْسِه لَقَدِ اسْتَهَامَ بِكَ الْخَبِيثُ، أَمَا رَحِمْتَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ؟ أَتَرَىٰ الله أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ وَهُوَ يَكْرَه أَنْ تَأْخُذَهَا؟ أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَىٰ الله مِنْ ذَلِكَ»، قال: يا أمير المؤمنين، هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك، قال: «وَيْحَكَ إِنِّي لَسْتُ كَأَنْتَ، إِنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَىٰ أَئِمَّةِ الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ كَيْلَا يَتَبَيَّغَ بِالْفَقِيرِ فَقْرُه».

إنَّ الإسلام لا يرىٰ الرهبنة مبدأً صحيحاً في الحياة، كما لا يرىٰ المادّية الغربية كذلك، وإنَّما هو دين وازن بين بُعديّ الإنسان، فأعطىٰ حقوقاً وألقىٰ واجبات علىٰ الروح، وكذلك علىٰ البدن، وبذلك حفظ حقَّ كلٍّ من البُعدين، ليعيش الإنسان سعادة في الحياة تسبق سعادة الآخرة.

أمَّا حقُّ الروح فيتلخَّص في تخليصها من الشوائب، وجعلها تسير في الخطِّ المرسوم لها للوصول إلىٰ الهدف من خلقة الإنسان، وهو الوصول إلىٰ أعلىٰ وأرقىٰ كمال ممكن له. وقد تقدَّم ما ينفع في المفردة الثالثة.

وأمَّا حقُّ البدن - وهو محلُّ كلامنا هنا - فأنت لا ترىٰ ديناً أو قانوناً يُعطي للبدن والجسم ما أعطاه الإسلام له من حقوق. وأنت حتَّىٰ تنجح في حياتك - الدنيا والآخرة - عليك أن تتعرَّف علىٰ حقوق بدنك وبدن غيرك، وأن تراعي تلك الحقوق، ولا تستخفَّ بها.

وحتَّىٰ تتَّضح الصورة بجلاء نُنقِّط البحث ضمن النقاط التالية:

النقطة الأولى: حقوق البدن في عالم الأرحام:

لا تجد قانوناً في الدنيا يضمن الحقوق للموجودات كافَّة كما تجده في القانون الإسلامي، فهو يحفظ جميع الحقوق للجميع وبدون استثناء، وهذا ما تجده في آيات القرآن وكلمات المعصومين عليهم السلام، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «اتَّقُوا اللهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ، فَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ حَتَّىٰ عَنِ الْبِقَاعِ وَالْبَهَائِمِ»[1].

من هنا تجد العلماء قد أسَّسوا قاعدة عامَّة تمَّت استفادتها من مجمل النصوص الدِّينية، تقول: إنَّ لله تعالىٰ حكماً في كلِّ واقعة، فلا تخلو واقعة في الدنيا إلَّا ولله تعالىٰ فيها حكم شرعي.

---

(١) نهج البلاغة (ج ٢/ ص ٨٠).

ومن هذا القبيل تجد الروايات الإسلاميَّة قد التفتت إلىٰ حقوق الجنين الشرعية وهو في بطن أُمِّه، ونذكر هذه الحقوق الشرعية لنتعرَّف علىٰ مسؤوليتنا - نحن الآباء -، وهنا عدَّة أحكام نذكرها تباعاً:

الحكم الأوَّل:

إنَّ الأصل الأوَّلي هو عدم جواز إسقاط وإجهاض الجنين من أوَّل لحظة انعقاد النطفة، أي إذا اتَّحدت نطفة الرجل مع بويضة المرأة فلا يجوز إسقاط هذه النطفة الملقَّحة بأيِّ شكل من الأشكال، ولأيِّ سبب من الأسباب.

ومن هنا ذكر الفقهاء أنَّ (اللولب) الذي تضعه بعض النساء لمنع الحمل - علىٰ فرض جواز وضعه لضرورة وما شابه - فإنَّه إن كان يعزل نطفة الرجل عن بيضة المرأة ويمنع من أصل الاتِّحاد فلا بأس به، لأنَّه لا يقتل النطفة الملقَّحة، بل يمنع من أصل الاتِّحاد، وإن كان اللولب يقتل البيضة الملقَّحة - أي بعد أن تتَّحد نطفة الرجل مع بويضة المرأة يأتي اللولب ليقتل تلك البيضة الملقَّحة - فلا يجوز وضعه حينئذٍ (علىٰ الأحوط لزوماً)[1].

الحكم الثاني:

إنَّ عدم جواز الإسقاط شامل للأب وللأُمِّ وللسبب، فلا يجوز

---

(١) في منهاج الصالحين للسيِّد السيستاني (ج ١/ مستحدثات المسائل/ أحكام تحديد النسل/ مسألة ٧١): (يجوز للمرأة استعمال اللولب المانع من الحمل ونحوه من الموانع بالشرط المتقدِّم [والشرط هو: أن لا يلحق بها ضرراً بليغاً]، ولكن إذا توقَّف وضعه في الرَّحِم علىٰ أن يباشر ذلك غير الزوج كالطبيبة وتنظر أو تلمس من دون حائل ما يحرم كشفه لها اختياراً كالعورة لزم الاقتصار في ذلك علىٰ مورد الضرورة، كما إذا كان الحمل مضرًّا بالمرأة أو موجباً لوقوعها في حرج شديد لا يُتحمَّل عادةً ولم يكن يتيسَّر لها المنع منه ببعض طُرُقه الأُخرىٰ أو كانت ضررية أو حرجية عليها كذلك. هذا إذا لم يثبت لها أنَّ استعمال اللولب يستتبع تلف البويضة بعد تخصيبها، وإلَّا فالأحوط لزوماً الاجتناب عنه مطلقاً).

للممرِّضة مثلاً أن تزرق الأُمَّ إبرة لإسقاط الجنين، وإن كان هذا بطلب وموافقة الأب والأُمِّ. وتتحمَّل الممرِّضة في مثل هذه الحالة دية الجنين - بالمقدار الذي سنعرفه إن شاء الله تعالىٰ -.

الحكم الثالث:

وقد ذكرت الكُتُب الفقهية[1] - تبعاً للروايات - الدية الشرعية للجنين في مراحله الحياتية، وهي كالتالي:

---

(١) في منهاج الصالحين للسيِّد السيستاني (ج ١/ مستحدثات المسائل/ أحكام تحديد النسل/ مسألة ٧٣): (لا يجوز إسقاط الحمل وإن كان بويضة مخصَّبة بالحويمن، إلَّا فيما إذا خافت الأُمُّ الضرر علىٰ نفسها من استمرار وجوده، أو كان موجباً لوقوعها في حرج شديد لا يُتحمَّل عادةً، فإنَّه يجوز لها عند ذلك إسقاطه ما لم تلجه الروح، وأمَّا بعد ولوج الروح فيه فلا يجوز الإسقاط مطلقاً حتَّىٰ في حالة الضرر والحرج علىٰ الأحوط لزوماً.

وإذا أسقطت الأُمُّ حملها وجبت عليها ديته لأبيه أو لغيره من ورثته، وإن أسقطه الأب فعليه ديته لأُمِّه، وإن أسقطه غيرهما كالطبيبة لزمته الدية لهما وإن كان الإسقاط بطلبهما. هذا إذا كان الحمل من حلال، وإنْ كان من الزنا من الطرفين فتكون الدية للإمام عليه السلام.

ويكفي في دية الحمل بعد ولوج الروح فيه دفع خمسة آلاف ومائتين وخمسين مثقالاً من الفضَّة إن كان ذَكَراً، ونصف ذلك إن كانت أُنثىٰ، سواء كان موته بعد خروجه حيًّا أو في بطن أُمِّه علىٰ الأحوط لزوماً.

ويكفي في ديته قبل ولوج الروح فيه دفع مائة وخمسة مثاقيل من الفضَّة إن كانت نطفة، ومائتين وعشرة مثاقيل إن كانت علقة، وثلاثمائة وخمسة عشر مثقالاً إن كانت مضغة، وأربعمائة وعشرين مثقالاً إن كانت قد نبتت له العظام، وخمسمائة وخمسة وعشرين مثقالاً إنْ كان تامَّ الأعضاء والجوارح.

ولا فرق في ذلك بين الذَّكَر والأُنثىٰ - علىٰ الأحوط لزوماً -، وكذلك يجب علىٰ مباشر الإسقاط الكفّارة، وهي في الإسقاط عمداً الاستغفار بدلاً عن عتق الرقبة علىٰ الأحوط لزوماً، وصوم شهرين متتابعين وإطعام ستّين مسكيناً لكلِّ مسكين مُدٌّ من الطعام. وفي الإسقاط خطأً صوم شهرين متتابعين. فإنْ لم يتمكَّن فإطعام ستّين مسكيناً كذلك. ولا فرق في وجوب الكفّارة بالإسقاط بين ولوج الروح وعدمه علىٰ الأحوط لزوماً).

أوَّلاً: يكفي في دية الحمل بعد ولوج الروح فيه دفع خمسة آلاف ومائتين وخمسين مثقالاً من الفضَّة إن كان ذَكَراً، ونصف ذلك إن كانت أُنثىٰ، سواء كان موته بعد خروجه حيًّا أو في بطن أُمِّه علىٰ الأحوط لزوماً.

ثانياً: يكفي في ديته قبل ولوج الروح فيه دفع:

١ - مائة وخمسة مثاقيل من الفضَّة إن كانت نطفة.

٢ - مائتين وعشرة مثاقيل إن كانت علقة.

٣ - ثلاثمائة وخمسة عشر مثقالاً إن كانت مضغة.

٤ - أربعمائة وعشرين مثقالاً إن كانت قد نبتت له العظام.

٥ - وخمسمائة وخمسة وعشرين مثقالاً إن كان تامُّ الأعضاء والجوارح.

والدية طبعاً تجب علىٰ الذي يباشر بقتل الجنين، فلو أسقطته الأُمُّ وجب عليها أن تدفع الدية إلىٰ الأب، ولو أسقطه الأب وجب عليه دفعها إلىٰ الأُمِّ، ولو أسقطته الطبيبة التي تزرق الحامل إبرة معدَّة لذلك مثلاً وجب عليها أن تدفع الدية إلىٰ الأبوين، حتَّىٰ لو كان ذلك بطلب من الأب أو الأُمِّ أو من كليهما.

نعم، باعتبار أنَّ الدية هي حقٌّ للأب والأُمِّ، فيمكنهما أن يُسقطاها عن المباشر أيًّا كان[1].

---

(١) في منهاج الصالحين للسيِّد السيستاني (ج ١/ مستحدثات المسائل/ أحكام تحديد النسل/ مسألة ٧٣): (... وإذا أسقطت الأُمُّ حملها وجبت عليها ديته لأبيه أو لغيره من ورثته، وإن أسقطه الأب فعليه ديته لأُمِّه، وإن أسقطه غيرهما - كالطبيبة - لزمته الدية لهما وإن كان الإسقاط بطلبهما).

الحكم الرابع:

وإنَّما يجوز الإسقاط - وبالتالي تسقط الدية - فيما إذا كان هناك مسوِّغ شرعي يُجوِّز الإسقاط، كما إذا تعرَّضت حياة الأُمِّ للخطر لو بقي الحمل، فحياة الأُمِّ أهمُّ من حياة الجنين. ولكن علىٰ تفصيل بين ولوج الروح وعدم ولوجها، وخلاصته التالي:

يجوز للمرأة إسقاط جنينها بشرطين[١]:

الشرط الأوَّل: أن تخاف المرأة الضرر علىٰ نفسها من استمرار وجود الجنين، أو كان موجباً لوقوعها في الحرج الشديد الذي لا يُتحمَّل عادةً.

الشرط الثاني: أن لا تلجه الروح، أمَّا إذا ولجته الروح فلا يجوز إسقاطه حتَّىٰ في حالة الضرر علىٰ الأحوط لزوماً.

---

(١) في منهاج الصالحين للسيِّد السيستاني (ج ١/ مستحدثات المسائل/ أحكام تحديد النسل/ مسألة ٧٣): (لا يجوز إسقاط الحمل وإن كان بويضة مخصَّبة بالحويمن إلَّا فيما إذا خافت الأُمُّ الضرر علىٰ نفسها من استمرار وجوده، أو كان موجباً لوقوعها في حرج شديد لا يُتحمَّل عادةً، فإنَّه يجوز لها عندئذٍ إسقاطه ما لم تلجه الروح، وأمَّا بعد ولوج الروح فيه فلا يجوز الإسقاط مطلقاً حتَّىٰ في حالة الضرر والحرج علىٰ الأحوط لزوماً، وإذا أسقطت الأُمُّ حملها وجبت عليها ديته لأبيه أو لغيره من ورثته، وإن أسقطه الأب فعليه ديته لأُمِّه، وإن أسقطه غيرهما - كالطبيبة - لزمته الدية لهما وإن كان الإسقاط بطلبهما. هذا إذا كان الحمل من حلال، وإنْ كان من الزنا من الطرفين فتكون الدية للإمام عليه السلام).

وفي منهاج الصالحين للسيِّد السيستاني (ج ٣/ مسألة ٣٨٤): (لا يجوز إسقاط الحمل وإن كان من سفاح إلَّا فيما إذا خافت الأُمُّ الضرر علىٰ نفسها من استمرار وجوده أو كان يتسبَّب في وقوعها في حرج بالغ لا يُتحمَّل عادةً، فإنَّه يجوز لها حينئذٍ إسقاطه ما لم تلجه الروح، وأمَّا بعد ولوج الروح فيه فلا يجوز الإسقاط حتَّىٰ في حالتي الضرر والحرج علىٰ الأحوط لزوماً، وإذا أسقطت الأُمُّ حملها وجبت عليها ديته، وكذا لو أسقطه الأب أو شخص ثالث كالطبيب...).

تنبيهات:

التنبيه الأوَّل:

إنَّ هذا التفصيل نفسه يُقال حتَّىٰ لو كان الحمل من سفاح (والعياذ بالله)، وحتَّىٰ لو كان الجنين مشوَّهاً (لا سمح الله)[1].

التنبيه الثاني:

تبيَّن ممَّا تقدَّم أنَّ الذي يقدم علىٰ إسقاط جنين من دون عذر شرعي فلقد قتل إنساناً، فيترتَّب عليه ما يترتَّب علىٰ من قتل نفساً بغير نفس ولا حقٍّ. فتجب عليه - بالإضافة إلىٰ الدية كما تقدَّم - كفّارة القتل، وهي بالتفصيل التالي:

إذا كان الإسقاط عمداً، فالأحوط وجوباً الاستغفار بدلاً عن عتق الرقبة، ويجب أيضاً صوم شهرين متتابعين، وإطعام ستّين مسكيناً، لكلِّ مسكين مُدٌّ من الطعام.

وأمَّا إذا كان الإسقاط خطأً فيجب صوم شهرين متتابعين، فإن لم يتمكَّن من الصوم فعليه أن يُطعم ستّين مسكيناً، لكلِّ مسكين مُدٌّ من الطعام[2].

---

(١) في الفتاوىٰ الميسَّرة للسيِّد السيستاني (ص ٤٣٢) ورد السؤال والجواب التالي: (في الآونة الأخيرة وبفضل الوسائل العلمية الحديثة يمكن استعلام وضع الجنين وما إذا كان مصاباً بعاهة خَلقية أم لا، فإذا ثبت علمياً كونه مشوَّهاً ومصاباً بعاهات أو عاهة واحدة، فهل يجوز إسقاطه؟

تشوه الجنين ليس بمجرَّده مسوِّغاً لإسقاطه، نعم إذا كان بقاؤه في رحم الأُمِّ ضررياً علىٰ صحَّتها أو حرجياً عليها بحدٍّ لا يُتحمَّل عادةً جاز لها إسقاطه، وذلك قبل ولوج الروح فيه، وأمَّا بعده فلا يجوز الإسقاط مطلقاً).

(٢) منهاج الصالحين للسيِّد السيستاني (ج ١/ مستحدثات المسائل/ أحكام تحديد النسل/ مسألة ٧٣).

فيلزم أن ينتبه الجميع لهذا الأمر، ولا يستخفُّوا به أبداً، فإنَّ عاقبته وخيمة جدًّا، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «أَوَّلُ مَا يَحْكُمُ اللهُ فِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الدِّمَاءُ، فَيُوقِفُ ابْنَيْ آدَمَ فَيَفْصِلُ بَيْنَهُمَا، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمَا مِنْ أَصْحَابِ الدِّمَاءِ، حَتَّىٰ لَا يَبْقَىٰ مِنْهُمْ أَحَدٌ، ثُمَّ النَّاسَ بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَ الْمَقْتُولُ بِقَاتِلِهِ فَيَتَشَخَّبَ فِي دَمِهِ وَجْهُهُ فَيَقُولَ: هَذَا قَتَلَنِي. فَيَقُولُ: أنتَ قَتَلْتَهُ؟ فَلَا يَسْتَطِيعُ أن يَكْتُمَ اللهَ حَدِيثاً»[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «لَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَماً حَرَاماً»، وقال: «لَا يُوَفَّقُ قَاتِلُ الْمُؤْمِنِ مُتَعَمِّداً لِلتَّوْبَةِ»[٢].

إذن، فما أعظم ذنب من تجرَّأ علىٰ الزهراء عليها السلام وتسبَّب في إسقاط جنينها!

التنبيه الثالث: حكم السقط من حيث الغَسل والدفن[٣]:

إذا أسقط الجنين فهنا:

أوَّلاً: إن تمَّت له أربعة أشهر جرىٰ عليه حكم الإنسان الكامل، فيُغسَّل ويُحنَّط ويُكفَّن ويُدفَن. نعم، لا تجب الصلاة عليه، لأنَّها لا تجب علىٰ الصغير إلَّا إذا عقل الصلاة.

ثانياً: إذا كان عمر السقط أقلَّ من أربعة أشهر، فحينئذٍ:

أ - إذا لم يكن الجنين مستوي الخلقة، فالأحوط وجوباً أن يُلَفَّ بخرقة ويُدفَن، من دون حاجة إلىٰ تغسيل وتكفين.

---

(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ٧/ ص ٢٧١/ باب القتل/ ح ٢).

(٢) الكافي للشيخ الكليني (ج ٧/ ص ٢٧٢/ باب القتل/ ح ٧).

(٣) منهاج الصالحين للسيِّد السيستاني (ج ١/ مسألة ٣٣٠): (السقط إذا تمَّ له أربعة أشهر غُسِّل وحُنِّط وكُفِّن ولم يُصَلَّ عليه، وإذا كان لدون ذلك لُفَّ بخرقة علىٰ الأحوط وجوباً ودُفِنَ، لكن لو كان مستوي الخلقة حينئذٍ فالأحوط لزوماً جريان حكم الأربعة أشهر عليه).

ب - إذا كان الجنين مستوي الخلقة، فالأحوط لزوماً جريان حكم ما تمَّ له أربعة أشهر، وهو المتقدِّم في (أوَّلاً)، فيُغسَّل ويُحنَّط ويُكفَّن ويُدفَن.

ملاحظة:

وممَّا يلحق بحقِّ البدن في عالم الأرحام هي قضيَّة الطعام الذي تأكله الأُمُّ، والذي سيأخذ قسماً منه جنينها في رحمها، وقد حثَّت بعض النصوص الدِّينية علىٰ إطعام الحوامل بعض الأنواع من الأطعمة، وعلَّلت ذلك بأنَّ الفائدة ستعود إلىٰ الجنين، في إشارة منها إلىٰ أنَّ الغذاء المادّي الذي سيأخذه الجنين من خلال دم الأُمِّ سيكون له تأثير علىٰ أخلاق الجنين أو علىٰ بنيته الجسدية، فعن محمّد بن مسلم، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام ونظر إلىٰ غلام جميل: «ينبغي أن يكون أبو هذا الغلام أكل السفرجل»[١].

قال صلى الله عليه وآله: «اسقوا نساءكم الحوامل اللُّبان[٢]، فإنَّها تزيد في عقل الصبيِّ»[٣].

وقال صلى الله عليه وآله: «ما من امرأة حاملة أكلت البطّيخ إلَّا يكون مولودها حسن الوجه والخلق»[٤].

وقال صلى الله عليه وآله: «أطعموا المرأة في شهرها الذي تلد فيه التمر، فإنَّ ولدها يكون حليماً نقيًّا»[٥].

---

(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ٦/ ص ٢٢/ باب ما يُستَحبُّ أن تُطعَم الحبلىٰ والنفساء/ ح ٢).

(٢) اللُّبان بتشديد اللّام وضمِّها: الكندر، وهو علك يُمضَع. (مجمع البحرين: ج ٦/ ص ٣٠٦).

(٣) مكارم الأخلاق للشيخ الطبرسي (ص ١٩٤).

(٤) مستدرك الوسائل للميرزا النوري (ج ١٥/ ص ٢١٤ / باب نوادر ما يتعلَّق بأبواب أحكام الأولاد/ ح ١٨٠٣٨/ ١٤).

(٥) مستدرك الوسائل للميرزا النوري (ج ١٦/ ص ٣٨٤/ باب استحباب أكل التمر البرني واختياره علىٰ غيره/ ح ٢٠٢٦٠/ ٢).

النقطة الثانية: حقُّ الحياة للبدن:

بمعنىٰ أنَّ الإسلام ضمن للمسلم أن لا يُعتدىٰ علىٰ بدنه بأيِّ نوع من أنواع الاعتداء، سواء الاعتداء الذي يقطع الصلة بين الروح والبدن - القتل والموت - أو الاعتداء الذي يؤذي البدن، من قطع عضو أو ضربه وما شابه.

وحتَّىٰ يحفظ الإسلام هذا الحقَّ فقد شرَّع أحكاماً متعلِّقة بهذا الجانب، فحرَّم القتل واعتبره من الجرائم العظيمة: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّما قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً﴾ (المائدة: ٣٢)، وحرَّم حتَّىٰ الضرب، ورتَّب عقوبات علىٰ تجاوز هذه الحدود، فمن قتل متعمِّداً تخيَّر أهل المقتول بين قتله أو الدية، وإن قتله خاطئاً فعليه أن يؤدّي ديته إلىٰ أهل المقتول، وإن ضربه أو قطع عضواً منه فقد رتَّبت الشريعة ديات وحدَّدت مقدارها - كما هو مسطور في الكُتُب الفقهية -.

مع ملاحظة أنَّ جَعْل تلك العقوبات والغرامات يعني أنَّها عقوبة دنيوية حتَّىٰ لا تتحوَّل الحياة إلىٰ غابة صراع، وحتَّىٰ تنقطع الفتنة، ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ يا أُولِي الْأَلْبابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ (البقرة: ١٧٩)، وأمَّا العقوبة الإلهيَّة بارتكاب المحرَّم وتجاوز الحدِّ الإلهي، فهذا موكول إلىٰ يوم القيامة.

النقطة الثالثة: الصحَّة البدنية:

اهتمَّ الإسلام كثيراً بالصحَّة البدنية، وشرَّع في ذلك عدَّة أُمور:

الأمر الأوَّل:

حثَّ الإسلام علىٰ التزام نظام غذائي ووقائي شامل، حتَّىٰ يحافظ علىٰ صحَّة البدن، ولأجل ذلك حثَّ علىٰ التزام عدَّة أُمور، نذكر منها:

أوَّلاً: أحلَّ للمسلم أن يأكل الطيِّبات التي تنفعه في بناء بدنه بناءً صحّياً متوازناً.

فقد روي أنَّه قال رسول الله ﷺ: «اللحم واللبن يُنبتان اللحم ويشدّان العظام، واللحم يزيد في السمع والبصر، واللحم بالبيض يزيد في الباءة»[١].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «أطعموا صبيانكم الرمّان فإنَّه أسرع لألسنتهم»[٢]، وفي رواية الإمام الصادق عليه السلام: «فإنَّه أسرع لشبابهم»[٣].

ثانياً: حرَّم عليه أكل الطعام الذي يؤذي البدن، كالميتة والدم ولحم الكلب والخنزير وشرب الخمر والنجس...

ثالثاً: السواك، فعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «في السواك اثنتا عشرة خصلة: هو من السُّنَّة، ومطهِّرة للفم، ومجلاة للبصر، ويُرضي الربَّ، ويُذهِب بالبلغم، ويزيد في الحفظ، ويُبيِّض الأسنان، ويضاعف الحسنات، ويُذهِب بالحُفَر، ويشدُّ اللثَّة، ويُشهّي الطعام، وتفرح به الملائكة»[٤].

الأمر الثاني:

حثَّ الإسلام علىٰ التزام بعض السلوكيات التي تُؤثِّر إيجاباً علىٰ صحَّة البدن، ومنها:

---

(١) دعائم الإسلام للقاضي النعمان المغربي (ج ٢/ ص ١٤٥/ ح ٥١١).

(٢) بحار الأنوار للعلَّامة المجلسي (ج ٦٣/ ص ١٥٥).

(٣) المحاسن لأحمد بن محمّد بن خالد البرقي (ج ٢/ ص ٥٤٦/ ح ٧٦٠).

(٤) الكافي للشيخ الكليني (ج ٦/ ص ٤٩٥ و٤٩٦/ باب السواك/ ح ٦).

١ - لبس الحذاء الجيِّد.

٢ - تخفيف الرداء حتَّىٰ لا يثقل كاهل المتن بحمله.

٣ - عرض النفس علىٰ الخلاء حتَّىٰ لا تنشغل الأعضاء الداخلية بالعمل وحفظ الفضلات.

٤ - تجويد المضغ.

٥ - عدم التملّي إلىٰ الحدِّ الذي يؤذي البطن.

فعن رسول الله ﷺ: «من أراد البقاء ولا بقاء فليباكر الغداء، وليُجوِّد الحذاء، وليُخفِّف الرداء، وليُقِلَّ مجامعة النساء»، قيل: يا رسول الله، وما خفَّة الرداء؟ قال: «قلَّة الدَّين»[1].

وعن الأصبغ بن نباتة، قال: قال أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب عليه السلام للحسن ابنه عليه السلام: «يا بُنَيَّ، ألَا أُعلِّمك أربع خصال تستغني بها عن الطبِّ؟»، فقال: «بلىٰ يا أمير المؤمنين»، قال: «لا تجلس علىٰ الطعام إلَّا وأنت جائع، ولا تقم عن الطعام إلَّا وأنت تشتهيه، وجوِّد المضغ، وإذا نمت فاعرض نفسك علىٰ الخلاء. فإذا استعملت هذا استغنيت عن الطبِّ»[2].

الأمر الثالث:

حثَّ الإسلام علىٰ ضرورة اللياقة البدنية، لما فيها من أثر يساعد علىٰ قوَّة البدن، فحثَّ علىٰ الرياضة عموماً، كالسباحة والرماية وركوب الخيل والمصارعة، وما شابه.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: «علِّموا أولادكم السباحة والرماية»[3].

---

(١) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق (ج ٣/ ص ٥٥٥/ ح ٤٩٠٢).

(٢) الخصال للشيخ الصدوق (ص ٢٢٨ و٢٢٩).

(٣) الكافي للشيخ الكليني (ج ٦/ ص ٤٧/ باب تأديب الولد/ ح ٤).

قال أبو هريرة وابن عبّاس والحارث الهمداني وأبو ذرٍّ والصادق عليه السلام: «إنَّه اصطرع الحسن والحسين بين يدي رسول الله، فقال: إيه حسن خذ حسيناً، فقالت فاطمة: يا رسول الله أتستنهض الكبير علىٰ الصغير؟ فقال: هذا جبرئيل يقول للحسين: إيهاً حسين خذ حسناً»[١].

إنَّ المقصود من حثِّ الأحاديث علىٰ هذه الأنواع من الرياضة هي تنمية الجسم وتقويته، وهذا يعكس اهتمام الإسلام بهذا الجانب، ولذلك ورد أنَّ المؤمن القويَّ خير من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير[٢].

هذا فضلاً عن نهي الشريعة عن بعض التصرُّفات التي تُؤثِّر سلباً علىٰ اللياقة البدنية، وبالتالي ستُضعِف البدن، ومن أهمِّ تلك الأُمور هي البدانة التي تتسبَّب عن البطنة وكثرة الأكل، فقد روي عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم: «إيّاكم والبطنة، فإنَّها مفسدة للبدن، ومورثة للسقم، ومكسلة عن العبادة»[٣].

وعن عمرو بن إبراهيم، قال: سمعت أبا الحسن - الإمام الكاظم عليه السلام - يقول: «لو أنَّ الناس قصدوا في الطعام لاستقامت أبدانهم»[٤].

وعن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «ظهر إبليس

---

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب (ج ٣/ ص ١٦٢ و١٦٣).

(٢) الحديث عامّي، وممَّن رواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (ج ١٢/ ص ٢١٨)، وقد علَّق عليه في الشيخ الطريحي في مجمع البحرين (ج ٣/ ص ٥٧٢) بقوله: (القويُّ الذي قوي في إيمانه، بأن يكون له قوَّة وعزيمة وقريحة في أُمور الآخرة ليكون أكثر جهاداً أو صبراً علىٰ الأذىٰ والمشاقِّ في الله وأرغب في العبادات).

(٣) الدعوات لقطب الدِّين الراوندي (ص ٧٤/ ح ١٧٢).

(٤) المحاسن لأحمد بن محمّد بن خالد البرقي (ج ٢/ ص ٤٣٩ و٤٤٠/ باب الاقتصاد في الأكل ومقداره/ ح ٢٩٦).

ليحيىٰ بن زكريا عليه السلام وإذا عليه معاليق من كلِّ شيء، فقال له يحيىٰ: ما هذه المعاليق يا إبليس؟ فقال: هذه الشهوات التي أصبتها من ابن آدم، قال: فهل لي منها شيء؟ قال: ربَّما شبعت فثقَّلْتُكَ عن الصلاة والذِّكر، قال يحيىٰ: لله عليَّ أن لا أملأ بطني من طعام أبداً. وقال إبليس: لله عليَّ أن لا أنصح مسلماً أبداً!».

ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا حفص، لله علىٰ جعفر وآل جعفر أن لا يملؤوا بطونهم من طعام أبداً، ولله علىٰ جعفر وآل جعفر أن لا يعملوا للدنيا أبداً»[1].

النقطة الرابعة: التخفيفات الفقهية:

في الوقت الذي شرَّع الله تعالىٰ العبادات علىٰ المسلم، والتي يتعلَّق العديد منها بالبدن، فقد رخَّص له أن يترك بعضها أو يتنازل إلىٰ رتبة أقلّ من المطلوب الأوَّلي إذا كانت ممارسة تلك العبادة تُؤثِّر سلباً علىٰ البدن والصحَّة الجسدية. ولذلك جوَّز الإفطار لمن يتضرَّر به، والتيمُّم لمن يتضرَّر من استعمال الماء، والصلاة جالساً أو مضطجعاً حسب المكنة، وأباح له أكل بعض المحرَّمات إذا خاف الهلاك...، وقد تقدَّم تمام الكلام فيه في موضوع (**مفردات اليُسر في الدِّين**) فراجع.

النقطة الخامسة: حرمة بعض الأفعال:

وفي الوقت الذي خلق الله تعالىٰ الطيِّبات للمسلم، فقد حرَّم عليه بعض الأفعال التي ربَّما يعتقد الإنسان أنَّها من الطيِّبات، ولكنَّها خبث

---

(١) المحاسن لأحمد بن محمّد بن خالد البرقي (ج ٢/ ص ٤٣٩ و٤٤٠/ باب الاقتصاد في الأكل ومقداره/ ح ٢٩٧).

علم الله تعالىٰ أنَّها تضرُّه وتضرُّ بدنه - فضلاً عن روحه - فقد حُرِّمت عليه، كالزنا واللواط ووطء الحائض...، الأُمور التي أكَّد العلم الحديث علىٰ ضررها البالغ علىٰ الإنسان.

قال تعالىٰ: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُوا النِّساءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ (البقرة: ٢٢٢).

وقال تعالىٰ: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنىٰ إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَساءَ سَبِيلاً ﴿٣٢﴾﴾ (الإسراء: ٣٢).

النقطة السادسة: حقوق البدن بعد الموت:

لم يكتفِ الإسلام بإعطاء حقوق للبدن أثناء الحياة، بل جعل له حقوقاً حتَّىٰ بعد الموت، فلا يجوز التمثيل بالجُثَّة، ولا يجوز تشريحها[1]،

---

(١) في جواب استفتاء لسماحة السيِّد السيستاني: (لا يجوز تشريح بدن الميِّت المسلم لمجرَّد معرفة سبب الوفاة، ولكن لو توقَّف عليه الحصول علىٰ الاختصاص الطبّي في حقل معيَّن، وعلم طالب الطبِّ أنَّ حصوله علىٰ هذا الاختصاص ممَّا يتوقَّف عليه انقاذ نفس محترمة في المستقبل، جاز له ذلك بمقدار الضرورة).

وفي جواب استفتاء آخر: (لا يجوز لوليِّ الميِّت المسلم أن يسمح بتشريح جسد الميِّت للغرض المذكور ونحوه، ويلزمه الممانعة منه مع الإمكان. نعم، إذا توقَّفت عليه مصلحة مهمَّة توازي مفسدته الأوَّلية أو تترجَّح عليها، جاز). (https://www.sistani.org/arabic/qa/0392).

وفي منهاج الصالحين (ج ١/ أحكام التشريح وأحكام الترقيع) جاءت المسائل التالية:

(**مسألة ٥٥**: لا يجوز تشريح بدن الميِّت المسلم، فلو فعل ذلك لزمته الدية علىٰ تفصيل مذكور في كتاب الديات.

⇦

⇦ **مسألة ٥٦**: يجوز تشريح بدن الميِّت الكافر بأقسامه إذا لم يكن محقون الدم في حال حياته، وإلَّا - كما لو كان ذمّيًّا - فالأحوط لزوماً الاجتناب عن تشريح بدنه. نعم، إذا كان ذلك جائزاً في شريعته - مطلقاً، أو مع إذنه في حال الحياة، أو إذن وليِّه بعد الوفاة - فلا بأس به حينئذٍ، وأمَّا المشكوك كونه محقون الدم في حال الحياة فيجوز تشريح بدنه إذا لم تكن أمارة علىٰ كونه كذلك.

مسألة ٥٧: لو توقَّف حفظ حياة مسلم علىٰ التشريح ولم يمكن تشريح الكافر غير محقون الدم أو مشكوك الحال جاز تشريح غيره من الكفّار، وإن لم يمكن ذلك أيضاً جاز تشريح المسلم، ولا يجوز تشريح المسلم لغرض التعلُّم ونحوه ما لم تتوقَّف عليه إنقاذ حياة مسلم أو من بحكمه ولو في المستقبل).

وفي منهاج الصالحين للسيِّد السيستاني/ أحكام الترقيع، جاءت المسائل التالية:

(**مسألة ٥٨**: إذا توقَّف حفظ حياة المسلم علىٰ قطع عضو من أعضاء الميِّت المسلم - كالقلب والكلية - لإلحاقه ببدنه جاز القطع، ولكن تثبت الدية علىٰ القاطع علىٰ الأحوط لزوماً، وإذا أُلحق ببدن الحيِّ ترتَّبت عليه بعد الإلحاق أحكام بدن الحيِّ، نظراً إلىٰ أنَّه أصبح جزءاً منه.

مسألة ٥٩: لا يجوز قطع عضو من أعضاء الميِّت المسلم لإلحاقه ببدن الحيِّ فيما إذا لم تتوقَّف عليه حياته وإن كان في حاجة ماسَّة إليه كما في العين ونحوها من الأعضاء، ولو قُطِعَ فعلىٰ القاطع الدية، ويجب دفن المقطوع، ولا يجوز إلحاقه ببدن الحيِّ، ولكن إذا تمَّ الإلحاق وحلَّت فيه الحياة لم يجب قطعه بعد ذلك.

مسألة ٦٠: إذا أوصىٰ بقطع بعض أعضائه بعد وفاته ليُلحَق ببدن الحيِّ من غير أن تتوقَّف حياة الحيِّ علىٰ ذلك، ففي نفوذ وصيَّته وجواز القطع حينئذٍ إشكال - وإن لم تجب الدية علىٰ القاطع -، فلا يترك مراعاة مقتضىٰ الاحتياط في ذلك.

مسألة ٦١: المقصود بالميِّت في الموارد المتقدِّمة هو من توقَّفت رئتاه وقلبه عن العمل توقُّفاً نهائياً لا رجعة فيه، وأمَّا الميِّت دماغياً مع استمرار رئتيه وقلبه في وظائفهما وإن كان ذلك عن طريق تركيب أجهزة الإنعاش الصناعية فلا يُعَدُّ ميِّتاً، ويحرم قطع عضو منه لإلحاقه ببدن الحيِّ مطلقاً.

مسألة ٦٢: لا يجوز قطع جزء من إنسان حيٍّ لإلحاقه بجسم غيره إذا كان قطعُه يُلحِقُ به ضرراً بليغاً كما في قلع العين وقطع اليد وما شاكلها، وأمَّا إذا لم يُلحِق به الضرر البليغ - كما في قطع قطعة من الجلد أو جزء من النخاع أو إحدىٰ الكليتين لمن لديه كلية أُخرىٰ سليمة - فلا بأس به مع رضا صاحبه إذا لم يكن قاصراً لصغر أو جنون وإلَّا لم يجز مطلقاً، وكما يجوز القطع في الصورة المذكورة يجوز أخذ المال بازاء الجزء المقطوع. ⇦

ولا أخذ شيء من أعضاء الميِّت المسلم ولا بيعه حتَّىٰ من قِبَل ورثة الميِّت، إلَّا إذا توقَّفت عليه حياة مسلم آخر، فإنَّ البدن ليس من الحقوق ولا الأموال التي تورث.

ويجب مواراتها في التراب بحيث لا تصل إليها الحيوانات، ولا تشيع رائحتها الكريهة فتهتك حرمة الميِّت، وأَمَرَ بتعجيل تجهيز الجنازة ودفنها بسرعة(١).



⇦ **مسألة ٦٣**: يجوز التبرُّع بالدم للمرضىٰ المحتاجين إليه كما يجوز أخذ العوض عليه.

مسألة ٦٤: يجوز قطع عضو من بدن الميِّت الكافر غير محقون الدم أو مشكوك الحال لإلحاقه ببدن المسلم، وتترتَّب عليه بعد الإلحاق وحلول الحياة فيه أحكام بدن المسلم لصيرورته جزءاً منه، ويجوز أيضاً إلحاق بعض أعضاء الحيوان - كقلبه - ببدن المسلم وإن كان الحيوان نجس العين كالخنزير ويصبح بعد الإلحاق وحلول الحياة فيه جزءاً من بدن المسلم وتلحقه أحكامه).

(١) قال المحقِّق النراقي ﰃ في مستند الشيعة (ج ٣/ ص ٧٧ و٧٨): (... تعجيل تجهيزه إن عُلِمَ موته، بالإجماع المحقَّق، والمحكي في المعتبر والتذكرة والنهاية واللوامع وغيرها، والمستفيضة كرواية جابر: «لا ألفينَّ رجلاً له ميِّت ليلاً فانتظر به الصبح، ولا رجلاً مات له ميِّت نهاراً فانتظر به الليل، لا تنتظروا بموتاكم طلوع الشمس ولا غروبها، عجِّلوا بهم إلىٰ مضاجعهم...» الحديث.

ورواية السكوني: «إذا مات الميِّت أوَّل النهار فلا يقيل إلَّا في قبره».

وفي خبر عيص: «إذا مات الميِّت فخذ في جهازه وعجِّله».

وفي مرسَلة الصدوق: «كرامة الميِّت تعجيله».

بل يُقدَّم تجهيزه علىٰ الصلاة المكتوبة ما لم يضيق وقتها، لخبر جابر: إذا حضرت الصلاة علىٰ الجنازة في وقت مكتوبة فبأيِّها أبدأ، فقال: «عجِّل بالميِّت إلىٰ قبره إلَّا أن يخاف فوت وقت الفريضة...»).

المفردة السابعة:

الاستخفاف والتهاون بالفتوى

- **الخطر**: الافتاء بغير علم.
- **الأثر**: الضلال والإضلال.
- **التوصية**: لا تجعلْ رقبتك للناس جسراً.

يقضي العقل بضرورة الرجوع في كلِّ فنٍّ واختصاص إلىٰ أهل الخبرة والتخصُّص فيه، فإنَّهم الأدرىٰ به، ويعرفون خفاياه ومخارجه الصحيحة، وهذا الأمر قد دعا إليه الدِّين أيضاً.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وَاجْعَلْ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ خَدَمِكَ عَمَلاً تَأْخُذُه بِه، فَإِنَّه أَحْرَىٰ أَلَّا يَتَوَاكَلُوا فِي خِدْمَتِكَ»[1].

هل تعرف أنَّ عدد نفوس الهند يصل إلىٰ أكثر من مليار وربع المليار إنسان؟! وهل تعلم أنَّهم إلىٰ الآن من الشعوب التي تُعتَبر متخلِّفة؟! وإلىٰ اليوم يعيش الكثير منهم الفقر المدقع.

ولكن هل تعلم أنَّ عدد اليابانيين لا يتجاوز الـ (١٣٠) مليوناً فقط؟! وأنَّ بلادهم عبارة عن جزر متناثرة في البحر! وأنَّ أراضيهم هي أراضٍ بركانية تهزُّها البراكين والزلازل بين الفينة والأُخرىٰ! ولا أعتقد أنَّك لا تعلم إلىٰ أين وصلت بهم عجلة التقدُّم.

ما هو السبب في ذلك؟

ربَّما هناك الكثير من الأسباب، ولكن الأمر المتيقَّن هو أنَّ اليابانيين اعتمدوا علىٰ نظام التخصُّص في العمل، بينما بقي الهنود - والكثير غيرهم - يعملون كلًّا علىٰ حِدَة!

لقد ثبت علمياً في باب السياسة الاقتصادية أنَّ للتخصُّص في العمل أهمّية عظيمة في زيادة الإنتاج، بل وجودته، باعتبار أنَّه سيكون

(١) نهج البلاغة (ص ٤٠٥/ ح ٣١).

لكلِّ فرد عمل خاصٌّ، ربَّما يكون صغيراً في حجمه ولكنَّه سيُتقِنه بمرور الزمن أشدّ الإتقان، وسيكون هو المسؤول عن جودته وأناقته و...، وسوف لن يتواكل علىٰ غيره من أجل إتمام عمله الخاصِّ، لأنَّ غيره أيضاً له عمله الخاصّ.

ليس هذا فقط، بل إنَّ الكون كلَّه قائم علىٰ نظام التخصُّص في العمل، يقول تعالىٰ: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝٣٨ وَالْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ حَتَّىٰ عادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ۝٣٩ لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠﴾ (يس: ٣٨ - ٤٠).

ليس هذا فقط، بل (لقد قسَّم الله تعالىٰ أعضاء الجسم حسب التخصُّص، فالعين تؤدّي دور إبصار الأشياء، والأُذُن تؤدّي دور التقاط الأصوات، واللسان يؤدّي دور إخراج الكلام، ولا نجد أحد الأعضاء يؤدّي دور عضو آخر بأيِّ شكل من الأشكال، فالعين لن تسمع حتَّىٰ ولو أُصيب السمع بالخلل، والأُذُن لن تبصر حتَّىٰ مع إصابة العين بالعمىٰ، وهكذا...

ومع وجود تناسق كامل بينها، إلَّا أنَّ لكلِّ عضو مجال تركيزه الخاصّ به الذي لا يتجاوزه.

وكما في الجسم كذلك في المجتمع حينما يتمُّ التركيز، فيمارس كلُّ شخص دوره المحدَّد ويؤدّيه بشكل جيِّد، يتمُّ له الرقيُّ والتقدُّم...

لقد قال المرحوم الشيخ البهائي - الذي يُعَدُّ من عباقرة العلوم -: (غلبت كلَّ ذي فنون، وغلبني ذو فنٍّ واحدٍ).

فذو الفنون لا يستطيع التركيز ولذلك فهو يفشل، أمَّا ذو الفنِّ الواحد فإنَّه ينجح بسبب قوَّة تركيزه.

ألَا ترىٰ أنَّ أشعَّة الشمس حينما يتمُّ تركيزها عبر المكبِّر علىٰ شيء قابل للاشتعال كيف تؤدّي إلىٰ احتراقه، بينما هي عاجزة عن ذلك بدون التركيز مهما طال الزمن!

وهكذا الأمر بالنسبة إليك، فأنت إذا ركَّزت قواك فسوف تحرز النجاح فيما تستهدفه، ومن دون ذلك فمن المستبعَد إحراز أيِّ نجاح...)[١].

وعلىٰ كلِّ حالٍ (إنَّ لكلِّ عضو من أعضاء العبد (**تكليفاً**) مستقلًّا...، فعلىٰ من يريد القيام بحقوق عبودية الحقِّ المتعال، أن (**يعلم**) أوَّلاً وظائف العبودية في كلِّ عضو من أعضائه، فهو كمن يريد أن يعمل عند مولىٰ مجازي في الدنيا، فعليه أن يستفهمه من أوَّل الأمر، فيما يجب عليه فعله وتركه، وإلَّا قصَّر - ولو من دون قصد - في وظائف العبودية. ومن بعد استيعاب هذه المعرفة عليه أن (**يُعطي**) كلَّ عضو حقَّه في العبادة، ولو قصَّر في بعضها لكان وجوده وجوداً غير متوازن، كعبد فيه شركاء متشاكسون، والحقُّ خير الشركاء، إذ يُسلِّم المال المشترك إلىٰ باقي الشركاء، فهو الغنيُّ عن الخالص فكيف بالمشترك؟! وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: «فليس من جوارحه جارحة إلَّا وقد وُكِّلت من الإيمان بغير ما وُكِّلت به أُختها»[٢])[٣].

ولأجل ضرورة التخصُّص تجد أنَّ إحدىٰ أهمّ ميزات مدرسة الإمام الصادق عليه السلام هي ميزة التخصُّص العلمي، **ففي الفقه** أربعة من

---

(١) فنون النجاح للسيِّد هادي المدرِّسي (ص ٩٢ و٩٣).

(٢) تفسير العيّاشي (ج ١/ ص ١٥٦).

(٣) الومضات للشيخ حبيب الكاظمي/ الومضة رقم ٥٣٢.

أعظم أصحابه عليه السلام، هم: زرارة بن أعين، وأبو بصير ليث المرادي، ومحمّد بن مسلم، وبُريد بن معاوية العجلي.

وفي **علم الكلام** هشام بن الحكم، ومؤمن الطاق (وهو محمّد بن عليٍّ بن النعمان بن أبي طريفة البجلي).

وفي **علم الأحياء والحيوان والتشريح** المفضَّل بن عمر.

وفي **علم الكيمياء** جابر بن حيّان، وهكذا.

إذن، لا نقاش في ضرورة التخصُّص العلمي، وثمراته تشهد بضرورته، والناس في حياتهم سلَّموا بهذا المبدأ، وسيَّروا عليه حياتهم، فتجدهم يرجعون إلىٰ البنّاء في مجال البناء، ولا يهبُّون إلىٰ الطبيب فيه، لأنَّه سيكون أمراً مضحكاً للشكلِ، وهكذا في مجال الزراعة والطبِّ والاقتصاد والتجارات وتصليح المكائن الميكانيكية وغيرها من المجالات.

هذا، ولكنَّ الواقع يشهد أنَّ الناس - أو علىٰ الأقلّ إنَّ قسماً منهم - يعيشون مفارقة في هذا الجانب، ففي الوقت الذي يعتقدون بضرورة الرجوع إلىٰ أهل التخصُّص في كلِّ فنٍّ، ويعملون علىٰ هذا الاعتقاد في حياتهم اليومية، إلَّا أنَّهم وفي الكثير من الأحيان يخالفون هذا الأمر في قضيَّة **(الفتوىٰ)**.

لاحظ عندما تثار مسألة فقهية، ستجد العديد من جلسائك يُدلي بدلوه، وكلٌّ يدَّعي وصلاً بليلىٰ، وما يذكرونه ليس مبتنياً علىٰ قراءة مسبقة، أو علىٰ معلومة مخزونة، وإنَّما هو مجرَّد تخمينات واحتمالات واعتقادات شخصية واستحسانات وقياسات وما شابه.

والأنكىٰ من ذلك أنَّ كلَّ واحدٍ منهم يعمل علىٰ إثبات قوله والدفاع عنه وتخطئة الآخر.

إنَّها حالة يبتلي بها الكثير من الناس، إنَّهم يتهاونون في قضيَّة (**الافتاء**) و(**إعطاء الحكم الشرعي**)، وقليلاً ما تجد شخصاً يتورَّع ويقول: (لا أعلم، لنرجع إلىٰ أهل الاختصاص في هذا المجال).

وحتَّىٰ لو كان الكثير يرجعون إلىٰ ذوي الاختصاص في هذا المجال، ولكنَّك لو دخلت فيما بينهم لوجدت أنَّ رجوعهم إلىٰ أهل الاختصاص كان بعد مشاحنة طويلة من إعطاء الفتاوىٰ والآراء في هذه المسألة، أو أنَّ رجوعهم كان من باب ترتُّب بعض الآثار المادّية أو غيرها علىٰ الحكم الشرعي الصحيح.

وستجد الكثيرين يسألون عن الحكم الشرعي لمسألة كانوا قد فعلوها لأيّام عديدة أو ربَّما لسنين، ولصدفة من غير ميعاد بدا للرجل أن يسأل عن حكم هذا الفعل الذي كان ولا يزال يفعله، أو عن معاملة أكل الدهر عليها وشرب.

وستجد الكثيرين يعتبرون سؤال المتخصِّص في هذه المسألة من نافلة القول ومن سقط الزمان، وسوف لن تجد في العديد من الناس من يُتعِب نفسه في تحصيل الحكم الشرعي من منبعه إلَّا كالملح في الطعام، وهو أقلُّه!

أنا لا أُريد أن أنقد هذه الحالة بقدر ما أُريد أن أُنبِّه علىٰ خطورتها، فإنَّ الروايات الشريفة حذَّرت جدًّا من خطورة هذه الحالة، وألزمت الرجوع إلىٰ أهل الاختصاص وإلىٰ (أُولي العلم منهم) و(الراسخين فيه) ومن نصَّبوهم في مجال الفتوىٰ.

تعليمات أهل البيت عليهم السلام في هذا المجال:

نستطيع أن نستكشف أمرين مهمَّين، اتَّخذهما أهل البيت عليهم السلام للحيلولة دون التهاون بالفتوىٰ، هما:

الأمر الأوَّل:

دفع أتباعهم إلىٰ التفقُّه في الدِّين، وحفظ الأحاديث، وعدم التسرُّع في إلقاء الفتوىٰ.

(والتفقُّه في الدِّين عبارة عن تحصيل البصيرة في المسائل الدِّينية، علمية كانت أو عملية، باطنية أو ظاهرية، متعلّقة بالعبادات أو المعاملات، فرضاً معرفتها أو العمل بها أو سُنَّة أو أدباً)[١].

عن مفضَّل بن عمر، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «عليكم بالتفقُّه في دين الله، ولا تكونوا أعراباً، فإنَّه من لم يتفقَّه في دين الله لم ينظر الله إليه يوم القيامة، ولم يُزكِّ له عملاً»[٢].

وقال عليه السلام: «تفقَّهوا في الدِّين، فإنَّ من لم يتفقَّه منكم في الدِّين فهو أعرابي، إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول في كتابه: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٢٢]»[٣].

وعن محمّد بن مسلم، قال: قال أبو عبد الله وأبو جعفر عليهما السلام: «لو أتيتُ بشابٍّ من شباب الشيعة لا يتفقَّه لأدَّبته»[٤].

---

(١) الحقُّ المبين للفيض الكاشاني (ص ٢).

(٢) الكافي للشيخ الكليني (ج ١/ ص ٣١/ باب فرض العلم ووجوب طلبه والحثّ عليه/ ح ٧).

(٣) الكافي للشيخ الكليني (ج ١/ ص ٣١/ باب فرض العلم ووجوب طلبه والحثّ عليه/ ح ٦).

(٤) المحاسن لأحمد بن محمّد بن خالد البرقي (ج ١/ ص ٢٢٨/ ح ١٦١).

وعن إسحاق بن عمّار، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «ليت السياط علىٰ رؤوس أصحابي حتَّىٰ يتفقَّهوا في الحلال والحرام»[(١)].

الأمر الثاني:

التحذير من الآثار الوخيمة للإفتاء بغير علم، فإنَّ الروايات الشريفة رتَّبت الكثير من الآثار الخطرة علىٰ الإفتاء بغير علم، منها:

أوَّلاً: أنَّه سبب من أسباب الهلاك:

فعن مفضَّل بن يزيد، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «أنهاك عن خصلتين فيهما هلاك الرجال: أنهاك أن تَدين الله بالباطل، وتُفتي الناس بما لا تعلم»[(٢)].

ثانياً: أنَّه سبب للعنة والطرد عن القرب الإلهي:

عن أبي عبيدة الحذّاء، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «من أفتىٰ الناس بغير علم ولا هدىٰ لعنته ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب، ولحقه وزر من عمل بفتياه»[(٣)].

ثالثاً: أنَّه علامة مضادَّة الله تعالىٰ:

عن مسعدة بن صدقة، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «من أفتىٰ الناس برأيه فقد دان الله بما لا يعلم، ومن دان الله بما لا يعلم فقد ضادَّ الله حيث أحلَّ وحرَّم فيما لا يعلم»[(٤)].

رابعاً: أنَّه سبب للإفساد أكثر من الإصلاح:

روي عَن النبيِّ صلى الله عليه وآله: «من أفتىٰ الناس بغير علم كان ما يُفسِده من الدِّين أكثر ممَّا يُصلِحه»[(٥)].

---

(١) المحاسن لأحمد بن محمّد بن خالد البرقي (ج ١/ ص ٢٢٩/ ح ١٦٥).

(٢) الكافي للشيخ الكليني (ج ١/ ص ٤٢/ باب النهي عن القول بغير علم/ ح ١).

(٣) الكافي للشيخ الكليني (ج ١/ ص ٤٢/ باب النهي عن القول بغير علم/ ح ٣).

(٤) الكافي للشيخ الكليني (ج ١/ ص ٥٧ و٥٨/ باب البدع والرأي والمقائيس/ ح ١٧).

(٥) مسند الرضا عليه السلام لداود بن سليمان الغازي (ص ٧٨)؛ وبحار الأنوار للعلَّامة المجلسي (ج ٢/ ص ١٢١).

خامساً: أنَّ الفتوىٰ تجعل الرقبة جسراً لعبور الغير عليها:

عن عنوان البصري، عن أبي عبد الله جعفر بن محمّد عليه السلام، قال: «سَلْ العلماء ما جهلت، وإيّاك أن تسألهم تعنُّتاً وتجربةً، وإيّاك أن تعمل برأيك شيئاً، وخذ بالاحتياط في جميع أُمورك ما تجد إليه سبيلاً، **واهرب من الفتيا هربك من الأسد، ولا تجعل رقبتك عتبةً للناس**»[1].

سادساً: أنَّها سبب للضمان الأُخروي:

عن عبد الرحمن بن الحجّاج، قال: كان أبو عبد الله عليه السلام قاعداً في حلقة ربيعة الرأي، فجاء أعرابي، فسأل ربيعة الرأي عن مسألة، فأجابه، فلمَّا سكت قال له الأعرابي: أهو في عنقك؟ فسكت عنه ربيعة ولم يرد عليه شيئاً، فأعاد المسألة عليه، فأجابه بمثل ذلك، فقال له الأعرابي: أهو في عنقك؟ فسكت ربيعة، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «هو في عنقه، قال أو لم يقل، وكلُّ مفتٍ ضامن»[2].

وغيرها من الآثار الخطرة التي رتَّبتها الروايات الشريفة علىٰ الإفتاء بغير علم.

الإفتاء بغير علم علامة الانحراف عن خطِّ أهل البيت عليهم السلام:

لقد كان الإفتاء بغير علم علامة الانحراف عن خطٍّ أهل البيت عليهم السلام، فهذا (عمر بن الخطّاب) يُفتي بغير علم علىٰ رؤوس الأشهاد حتَّىٰ فضحته امرأة، والأخبار في ذلك كثيرة، قال ابن أبي الحديد:

---

(١) مشكاة الأنوار لعليٍّ الطبرسي (ص ٥٦٤)؛ ووسائل الشيعة للحرِّ العاملي (ج ٢٧/ ص ١٧٢ و١٧٣).

(٢) الكافي للشيخ الكليني (ج ٧/ ص ٤٠٩/ باب أنَّ المفتي ضامن/ ح ١).

(... وكان عمر يُفتي كثيراً بالحكم ثمّ ينقضه ويُفتي بضدِّه وخلافه، قضىٰ في الجدِّ مع الإخوة قضايا كثيرة مختلفة، ثمّ خاف من الحكم في هذه المسألة، فقال: من أراد أن يتقحَّم جراثيم جهنَّم فليقل في الجدِّ برأيه.

وقال مرَّة: لا يبلغني أنَّ امرأة تجاوز صداقها صداق نساء النبيِّ إلَّا ارتجعت ذلك منها، فقالت له امرأة: ما جعل الله لك ذلك، إنَّه تعالىٰ قال: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْداهُنَّ قِنْطاراً فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتاناً وَإِثْماً مُبِيناً ۝٢٠﴾ [النساء: ٢٠]، فقال: كلُّ النساء أفقه من عمر حتَّىٰ ربّات الحجال! ألَا تعجبون من إمام أخطأ وامرأة أصابت، فاضَلَت إمامكم ففضلته!

ومرَّ يوماً بشابٍّ من فتيان الأنصار وهو ظمآن، فاستسقاه، فجدح له ماءً بعسل، فلم يشربه، وقال: إنَّ الله تعالىٰ يقول: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّباتِكُمْ فِي حَياتِكُمُ الدُّنْيا﴾ [الأحقاف: ٢٠]، فقال له الفتىٰ: يا أمير، إنَّها ليست لك ولا لأحد من هذه القبيلة، اقرأ ما قبلها: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّباتِكُمْ فِي حَياتِكُمُ الدُّنْيا﴾، فقال عمر: كلُّ الناس أفقه من عمر!

وقيل: إنَّ عمر كان يعس بالليل، فسمع صوت رجل وامرأة في بيت، فارتاب، فتسوَّر الحائط، فوجد امرأة ورجلاً، وعندهما زقُّ خمر، فقال: يا عدوَّ الله، أكنت ترىٰ أنَّ الله يسترك وأنت علىٰ معصيته! قال: يا أمير، إن كنت أخطأتُ في واحدة فقد أخطأتَ في ثلاث، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢]، وقد تجسَّستَ. وقال: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها﴾ [البقرة: ١٨٩]، وقد تسوَّرتَ. وقال: ﴿فَإِذا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا﴾ [النور: ٦١]، وما سلَّمتَ!

وقال: متعتان كانتا علىٰ عهد رسول الله وأنا محرِّمهما، ومعاقب عليهما: متعة النساء، ومتعة الحجِّ)[١].

ملاحظة:

من التهاون بالفتوىٰ هو عدم الاستجابة لها، كأن يأتي الحكم الشرعي بحرمة حلق اللحية[٢]، أو بعدم جواز ضرب الزوجة والأولاد، أو بمفطريَّة كذا أو عدم مفطريته، أو بلزوم دفع المال الفلاني، أو بعدم جواز البناء بالكيفية الفلانية، أو عدم جواز لبس كذا ملابس، أو غيرها ممَّا يتعارض مع مصلحة شخص أو لا يستسيغه آخر أو لا يرىٰ عقله فاهماً وموافقاً له، وما شابه.

إنَّه استخفاف بالفتوىٰ وتهاون بها، وهو من الخطورة بمكان، فقد روي عن عمر بن حنظلة، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث...، فكيف يصنعان؟ قال: **«ينظران إلىٰ من كان منكم ممَّن قد روىٰ حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حَكَماً، فإنّي قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حَكَمَ بحكمنا فلم يقبله منه فإنَّما استخفَّ بحكم الله وعلينا ردَّ، والرادُّ علينا الرادُّ علىٰ الله، وهو علىٰ حدِّ الشرك بالله»**[٣].



---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (ج ١/ ص ١٨١ و١٨٢).

(٢) علىٰ الأحوط وجوباً.

(٣) الكافي للشيخ الكليني (ج ١/ ص ٦٧/ باب اختلاف الحديث/ ح ١٠).

المفردة الثامنة:

الاستخفاف والتهاون بأموال الناس

- الخطر: الإغماض في الحقوق.
- الأثر: الوقوف طويلاً للحساب.
- التوصية: ارجع الحقوق قبل الفوت.

الدعوة إلى كتابة الحقوق:

جرت سيرة البشر علىٰ العمل علىٰ المحافظة علىٰ حقوقهم المادّية والمعنوية، وعدم تضييعها، ولذلك تجدهم يكتبون، ويُثبِّتون، ويُشهِدون، ويتقاضون، ويقيمون الدعاوىٰ، ويترافعون عند القاضي، من أجل استرجاع حقٍّ قد أُخِذَ منهم.

وهذا أمر لا بأس به، والقرآن الكريم أرشد إلىٰ ضرورته، قال تعالىٰ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا تَدايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ... وَلا تَسْئَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلىٰ أَجَلِهِ ذلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهادَةِ وَأَدْنىٰ أَلَّا تَرْتابُوا...﴾ (البقرة: ٢٨٢).

بل إنَّها الطريقة التي اتَّخذها الباري جلَّ وعلا مع عباده، فهو يستوثق عليهم كلَّ ما يصدر عنهم حتَّىٰ لا يُنكِرها منكِر، فيقول لهم يوم القيامة: ﴿هذا كِتابُنا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ (الجاثية: ٢٩).

ليس هذا فحسب، بل إنَّ الروايات ذكرت أنَّ من لا يستوثق علىٰ ماله بوثيقة وما شابه فهو من الذين لا يُستجاب دعاؤهم، لأنَّه خالف الطريقة المتَّبعة لحفظ الحقوق، فعن جعفر بن إبراهيم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «أربعة لا يُستجاب لهم دعوة: الرجل جالس في بيته يقول: اللّهمّ ارزقني، فيقال له: ألم آمرك بالطلب؟! ورجل كانت له امرأة فدعا عليها، فيقال له: ألم أجعل أمرها إليك؟! ورجل كان له مال فأفسده

فيقـول: اللّهـمّ ارزقنـي، فيقـال لـه: ألم آمـرك بالاقتصـاد؟! ألم آمـرك بالإصلاح؟!»، ثـمّ قـال: «﴿وَالَّذِيـنَ إِذا أَنْفَقُـوا لَـمْ يُسْـرِفُوا وَلَـمْ يَقْـتُرُوا وَكانَ بَيْنَ ذلِكَ قَواماً ۝﴾ [الفرقـان: ٦٧]، **ورجـل كـان لـه مـال فأدانـه بغـير بيِّنة، فيقال له: ألم آمرك بالشهادة؟!**»[١].

ولذلك، فإنَّ من لا يلتزم هذه الوصيَّة وهـذه السيرة فـلا أجـر لـه لـو فُقِدَ ماله، كما نصَّت علىٰ ذلك رواية عبد الله بـن سـنان، عـن أبي عبـد الله عليه السلام، قال: «من ذهب حقُّه علىٰ غير بيِّنة لم يُؤجَر»[٢].

إذن، هـي دعـوة صـادقة إلىٰ أن نسـتوثق عـلىٰ حقوقنـا ونستشـهد عليهـا، قبـل أن تـزلَّ قـدم بعـد ثبوتهـا، وقبـل أن تنقلـب المـودّات إلىٰ عداوات، وقبل أن نقع في المصيدة، ولات حين مندمِ[٣].

المؤمن لا يخون:

ولكن مع ذلك كلِّه، لو كـان لأحـد حـقٌّ عـلىٰ آخـر، فينبغـي لمـن عليـه الحـقّ أن يؤدّيـه إلىٰ صـاحبه ولـو لم تكـن لـه عليـه وثيقـة، فإنَّـه مقتضـىٰ الإيـمان بـأنَّ الله تعـالىٰ مطَّلـع عـلىٰ الأُمـور، وأنَّـه هـو الحـاكم والشـاهد، ومقتضىٰ الإيمان الذي يعني في مـا يعنيـه أنَّ النـاس تـأمن مـن جانبـه في جميـع أحوالها.

بل إنَّه مقتضـىٰ العقل ولـو مـن دون شريعـة مـن السـماء، فكـلُّ عاقـل يحكم بلزوم إرجاع الحقوق إلىٰ أهلها، وعدم جواز أخذها من دون حقٍّ.

---

(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ٢/ ص ٥١١/ باب من لا تُستجاب دعوته/ ح ٢).

(٢) الكافي للشيخ الكليني (ج ٥/ ص ٢٩٨/ باب من أدان ماله بغير بيِّنة/ ح ٣).

(٣) قطاف شهر رمضان للمؤلِّف (ص ٣٨).

عن أبي ثمامة، قال: قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام: إنّي أُريد أن ألزم مكَّة أو المدينة وعليَّ دَين، فما تقول؟ فقال: «ارجع فأدِّهْ إلىٰ مؤدّي دَينك، وانظر أن تلقىٰ الله تعالىٰ وليس عليك دَين، **إنَّ المؤمن لا يخون**»[١].

واقع مُرٌّ:

ولكن الواقع اليوم يحكي لنا حكاياتٍ مُرَّةً في الحلق، لا يستسيغها مؤمن، ولا يتقبَّلها عاقل!

إنَّها حكايات عن أُناس جعلوا من غمط الحقوق ديدنهم.

وعن أُناس استخفُّوا بحقوق الآخرين وأموالهم إلىٰ الحدِّ الذي يقف فيه المؤمن خائفاً من متاهة الغاب!

وحتَّىٰ تتَّضح الصورة نذكر هنا بعضاً من حالات غمط الحقوق أو التهاون في أدائها، نسأل الله تعالىٰ أن يُبعِد المؤمنين عن الابتلاء بها:

الحالة الأولى: إنكار أو مطل الدَّين[٢]:

لا شكَّ في استحباب أن يُقرِض المؤمن أخاه المحتاج، بل ورد أنَّه أكثر ثواباً من الصدقة[٣]، وهذا لا نقاش فيه. ولكن البعض مع الأسف عمل علىٰ إيقاف هذه الحالة الإيجابية، وعلىٰ قطعها بصورة وبأُخرىٰ.

---

(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ٥/ ص ٩٤/ باب الدَّين/ ح ٩).

(٢) راجع: قطاف شهر رمضان للمؤلِّف (ص ٤٧).

(٣) عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر». (الكافي للشيخ الكليني: ج ٤/ ص ١٠/ باب الصدقة علىٰ القرابة/ ح ٣).

وفي رواية أُخرىٰ عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «مكتوب علىٰ باب الجنَّة: الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر». (الكافي للشيخ الكليني: ج ٤/ ص ٣٣/ باب القرض/ ح ١).

إنَّ إنكار الدَّين أو المطل في أدائه من الحالات التي انتشرت هذه الأيّام مع كلِّ الأسف، فما أكثر الدعاوىٰ التي تُرفَع في هذا المجال.

إنَّ الدِّين يوجب أداء الدَّين إذا لم يكن محدَّداً أو كان محدَّداً وحلَّ أجله، ولا يسمَح بالتأخير في أدائه إلَّا عند الضرورة، كما لو كان المدين معسراً، فأمر القرآن الكريم الدائن بالتيسير عليه: ﴿وَإِنْ كانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ (البقرة: ٢٨٠).

أمَّا إذا كان قادراً علىٰ أدائه ولم يؤدِّه، فهو ظلم ما بعده ظلم[١].

إنَّ هذه الحالة في الوقت الذي تُعتَبر من المحرَّمات، هي داعية إلىٰ قطع سبيل معروف الإقراض، وهي مدعاة للكثير من المشاكل بين الناس. هذا إذا تناسينا قضيَّة مهمَّة، وهي أنَّ الذي يُنكِر أو يُمطِّل بالدَّين سوف يُراق ماء وجهه ويقلُّ احترامه بين الناس ولا تبقىٰ له عند الناس أيُّ ثقة.

إذن، علينا عندما نقترض **أن ننويَ من البداية أداءه، فإنَّ ذلك وسيلة للتوفيق إلىٰ أدائه**، كما روي ذلك عن الحسن بن عليِّ بن رباط، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «من كان عليه دَين فينوي قضاءه كان معه من الله عزَّ وجلَّ حافظان يعينانه علىٰ الأداء عن أمانته، فإن قصرت نيَّته عن الأداء قصرا عنه من المعونة بقدر ما قصر من نيَّته»[٢].

وأن لا ننوي المطل من البداية، فإنَّ ذلك ظلم للمسلمين، حيث إنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: «مطل المسلم الموسر ظلم للمسلمين»[٣].

---

(١) منهاج الصالحين للسيِّد السيستاني (ج ٢/ مسألة ١٠٠١): (مماطلة الدائن مع القدرة علىٰ الأداء حرام، بل يجب نيَّة القضاء مع عدم القدرة عليه أيضاً بأن يكون من قصده الأداء عند التمكُّن منه).

(٢) الكافي للشيخ الكليني (ج ٥/ ص ٩٥/ باب قضاء الدَّين/ ح ١).

(٣) تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي (ج ٦/ ص ٢٢٦/ ح ٥٤١/ ١).

وهو نوع من أنواع السرقة، حيث روىٰ أبو خديجة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «أيُّما رجل أتىٰ رجلاً فاستقرض منه مالاً وفي نيَّته ألَّا يؤدّيه، فذلك اللصُّ العادي»[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «من استدان دَيناً فلم ينوِ قضاه كان بمنزلة السارق»[٢].

وأن لا نتهاون في أدائه، فلعلَّ الموت يسبقنا فنكون في خطر، فقد روي عن بشّار، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «أوَّل قطرة من دم الشهيد كفّارة لذنوبه إلَّا الدَّين، فإنَّ كفّارته قضاؤه»[٣].

الحالة الثانية: الغضُّ عن الأموال القليلة:

ليس من عادة الإنسان أن ينسىٰ المبالغ الكبيرة - كان الحقُّ له أو عليه - وهذه حالة صحّية، ولكن البعض يعيش حالة مرَضية وللأسف، وهي أنَّه يتغاضىٰ عن بعض المبالغ القليلة، كما لو اشترىٰ أحدهم شيئاً وبقي عليه مبلغ قليل، أو إذا أخذ أحدهم من صاحبه مبلغاً حقيراً، حتَّىٰ لو كان يساوي قيمة علبة ثقاب.

إنَّ هذا المبلغ ربَّما لا تكون له قيمة عند الناس، أو له قيمة حقيرة، بحيث لو طالب به صاحبه لَعَابَه بعض الناس، ولكنَّه بالتالي مبلغ مالي، له حساب في السوق المالية، والله تعالىٰ من الدقَّة في العدل بحيث لا يتغاضىٰ عن مثل هذا المبلغ، أو يعفو الذي له الحقّ.

---

(١) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق (ج ٣/ ص ١٨٣/ ح ٣٦٨٩).

(٢) الكافي للشيخ الكليني (ج ٥/ ص ٩٩/ باب الرجل يأخذ الدَّين وهو لا ينوي قضاءه/ ح ٢).

(٣) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق (ج ٣/ ص ١٨٣/ ح ٣٦٨٨).

قال تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كانَ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنا بِها وَكَفىٰ بِنا حاسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ (الأنبياء: ٤٧).

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّها إِنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّماواتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ (لقمان: ١٦).

وعن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «من أكل مال أخيه ظلماً ولم يَرُدّه إليه، أَكَلَ جذوة من النار يوم القيامة»[١].

وعن خالد بن نجيح، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إذا كان يوم القيامة دُفِعَ إلىٰ الإنسان كتابُه، ثمّ قيل له: اقرأ»، قلت: فيعرف ما فيه؟ فقال: «إنَّ الله يُذكِّره، فما من لحظة ولا كلمة ولا نقل قدم ولا شيء فعله إلَّا ذَكَره، كأنَّه فعله تلك الساعة، فلذلك قالوا: ﴿يا وَيْلَتَنا ما لِهذَا الْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصاها﴾ [الكهف: ٤٩]»[٢].

فعلينا أن لا نغفل عن هذه الحالة، فإمَّا أن نؤدّي الحقَّ إلىٰ أصحابه، أو نطلب براءة الذمَّة منهم، وحبَّذا لو كان ديدن المؤمن أن يطلب براءة الذمَّة من كلِّ من يعرفه، فلعلَّ هناك شيئاً قليلاً كان بذمَّته وهو ناسٍ له، فبراءة الذمَّة يسقط ذلك الحقَّ، وينجو المؤمن من الحساب.

ملاحظتان:

الملاحظة الأُولىٰ:

يدخل في هذه النقطة مسألة (**اللُّقَطة**)، وهي مسألة يبتلي بها الكثير

---

(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ٢/ ص ٣٣٣/ باب الظلم/ ح ١٥).

(٢) بحار الأنوار للعلَّامة المجلسي (ج ٧/ ص ٣١٥).

من الناس، خصوصاً مثل سائقي سيّارات الأُجرة أو من يعمل في السوق وغيرهم، فلا بدَّ من ملاحظة أحكامها وعدم إهمالها، والحال أنَّنا نجد الكثير من الناس يأخذون اللُّقَطة من دون أن يسألوا عن حكمها، أو أنَّهم يسألون عن حكمها بعد أن يتصرَّفوا بها تصرُّفاً غير شرعي.

وخلاصة أحكام اللُّقَطة[1]، هي:

أوَّلاً: إذا لم تكن اللُّقَطة ذات علامة مميَّزة يمكن تعريفها والوصول إلىٰ مالكها من خلالها، جاز تملُّكها وإن زادت قيمتها علىٰ الدرهم الفضّي[2]، وإن كان الأحوط استحباباً التصدُّق بها عن صاحبها.

ثانياً: وإذا كان لها علامة كذلك، وكانت قيمتها أقلّ من الدرهم، لم يجب تعريفها والفحص عن مالكها، والأحوط وجوباً التصدُّق بها عن مالكها.

ثالثاً: وإذا كان لها علامة كذلك، وكانت قيمتها أكثر من الدرهم وجب التعريف بها لمدَّة سنة كاملة، فإن ظفر بمالكها فبها، وإلَّا تخيَّر بين حفظها عنده - كأمانة - وبين أن يتصدَّق بها عن مالكها، والأحوط وجوباً عدم تملُّكها.

رابعاً: يسقط وجوب التعريف إذا خاف الشخص علىٰ نفسه من التهمة، وإذا اطمأنَّ بعدم الفائدة من تعريفها، كما لو أحرز أنَّ صاحبها سافر إلىٰ مكان بعيد غير معروف.

وهناك أحكام أُخرىٰ أكثر تفصيلاً تُراجَع في مظانِّها.

---

(١) منهاج الصالحين للسيِّد السيستاني (ج ٢/ كتاب اللُّقَطة/ أحكام اللُّقَطة/ المسألة ٧٦٧ و٧٦٨ و٧٦٩ و٧٧٢ و٧٧٤).

(٢) المراد من الدرهم ما يساوي (١٢,٦) حمُّصة من الفضَّة المسكوكة، ويمكن سؤال أهل الاختصاص من الصاغة لمعرفة القيمة، فإنَّها تختلف من مكان إلىٰ آخر ومن زمان إلىٰ آخر.

الملاحظة الثانية:

إنَّ الاستقصاء في ملاحظة الأموال حتَّىٰ القليلة إنَّما هو في ما إذا كان الحقُّ لغيرك، فإذا كان المال القليل لغيرك فعليك أن تستقصي في قضائه وردِّه إلىٰ أصحابه، أمَّا إذا كان الحقُّ لك، فالروايات الشريفة قد أمرت تأدُّباً بأن يغضَّ المرء عنها، وأن يكون سهلاً متسامحاً في استقصاء حقِّه مهما كان، وهو ما يشبه الأمر بانتظار المعسر حتَّىٰ يُغنيه الله تعالىٰ من فضله.

إذن، عليك بالاستقصاء في أداء الحقوق لغيرك، أمَّا أنت، فعليك أن تكون متسامحاً في استقصاء حقِّك، فهكذا هو المؤمن.

قال تعالىٰ في صفات المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسابِ ﴿٢١﴾﴾ (الرعد: ٢١).

عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال لبعض شيعته: «ما بال أخيك يشكوك؟»، فقال: يشكوني أن استقصيتُ عليه حقِّي؟! فجلس عليه السلام مغضباً ثمّ قال: «كأنَّك إذا استقصيت عليه حقَّك لم تسئ! أرأيتك ما حكىٰ الله عن قوم يخافون سوء الحساب، أخافوا أن يجور الله عليهم؟! لا، ولكنْ خافوا الاستقصاء، فسمّاه الله سوء الحساب، فمن استقصىٰ فقد أساء»[1].

الحالة الثالثة: التقصير في أداء الحقوق المالية اللازمة:

من السُّنَن التي جعلها الله تعالىٰ في هذا الكون هو أنَّه لم يجعل الناس علىٰ درجة واحدة في الغنىٰ والفقر، والأسباب في ذلك كثيرة، مثل

---

(١) تحف العقول لابن شعبة الحرّاني (ص ٣٧٢).

ما قاله ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي ما آتاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾ (الأنعام: ١٦٥).

وما قاله عزَّ من قائل: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَرَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (الزخرف: ٣٢).

وما ورد عن أبان بن تغلب، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «لـمَّا أُسري بالنبيِّ صلى الله عليه وآله قال: يا ربِّ، ما حال المؤمن عندك؟ قال: يا محمّد...، وإنَّ من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلَّا الغنىٰ، ولو صرفته إلىٰ غير ذلك لهلك، وإنَّ من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلَّا الفقر، ولو صرفته إلىٰ غير ذلك لهلك»[1].

وعلىٰ كلِّ حالٍ، هذه سُنَّة الحياة، وهي واقع معاش.

وفي الوقت الذي سنَّ الله تعالىٰ هذه السُّنَّة أوجب في مقابلها حقًّا للفقير علىٰ الغنيِّ، حتَّىٰ يحصل التوازن المطلوب في الحياة، بأن يُخرج قسماً من ماله الذي رزقه الله تعالىٰ ويُعطيه عن طيب نفس للفقير، ليس من باب المنَّة، بل هو حقٌّ له أوجبه الله تعالىٰ له في مال الغنيِّ، وتتلخَّص هذه الحقوق بالخُمُس والزكاة وزكاة الفطرة.

فعن أبي بصير، قال: كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام ومعنا بعض أصحاب الأموال، فذكروا الزكاة، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «إنَّ الزكاة

---

(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ٢/ ص ٣٥٢/ باب من آذىٰ المسلمين واحتقرهم/ ح ٨).

ليس يُحمَد بها صاحبها، وإنَّما هو شيء ظاهر إنَّما حَقَنَ بها دَمَه، وسُمّي بها مسلماً، ولو لم يُؤدِّها لم تُقبَل له صلاة»[١].

إنَّ هذا المقدار من المال أوجبه الله تعالىٰ، لأنَّه تعالىٰ علم أنَّه لا يُؤثِّر علىٰ الغنيِّ، فلا يسلبه غناه، ولو أخرج كلُّ غنيٍّ ما عليه لما بقي فقير، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ الله فرض للفقراء في مال الأغنياء ما يسعهم، ولو علم أنَّ ذلك لا يسعهم لزادهم»[٢].

وبالتالي فعندما نجد فقيراً جائعاً أو معوزاً، نعلم آنذاك أنَّه إنَّما جاع لأجل أنَّ غنيًّا ما قد حبس عنه حقَّه ولم يُخرجه له، وبالتالي سيُسئل ذلك الغنيُّ في يوم لا يجوز عبدٌ الصراطَ فيه بمظلمة.

عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال: «إنَّ الله فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقيرٌ إلَّا بما منع غنيٌّ، والله تعالىٰ سائلهم عن ذلك»[٣].

قيل: مرَّ أحدهم علىٰ رجل يتلوّىٰ من ألمٍ في بطنه بسبب ألم الجوع، ثمّ مرَّ علىٰ آخر يتلوّىٰ من ألم في بطنه بسبب التخمة، فقال: لو أعطىٰ هذا فضل طعامه لذاك لما تألَّم الاثنان.

هذا فضلاً عن أنَّ الروايات حثَّت المؤمن علىٰ أن يُخرج من ماله بعض الصدقات من غير الصدقات الواجبة، من باب أنَّها مصاديق

---

(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ٣/ ص ٤٩٩/ باب فرض الزكاة وما يجب في المال من حقوق/ ح ٩).

(٢) الكافي للشيخ الكليني (ج ٣/ ص ٤٩٦/ باب فرض الزكاة وما يجب في المال من حقوق/ ح ١).

(٣) روضة الواعظين للفتّال النيسابوري (ص ٤٥٤)؛ ووسائل الشيعة للحرِّ العاملي (ج ٩/ ص ٢٩).

للإحسان الذي أوصىٰ به القرآن الكريم، كإكرام الضيف وصلة الرحم وإعطاء المساكين والقرض والإعارة وغيرها.

فقد ورد عن أبي بصير، قال: كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام ومعنا بعض أصحاب الأموال، فذكروا الزكاة فقال أبو عبد الله عليه السلام:

«إنَّ الزكاة ليس يُحمَد بها صاحبها، وإنَّما هو شيء ظاهر، إنَّما حَقَنَ بها دَمَه، وسُمّي بها مسلماً، ولو لم يُؤدِّها لم تُقبَل له صلاة، وإنَّ عليكم في أموالكم غير الزكاة».

فقلت: أصلحك الله وما علينا في أموالنا غير الزكاة؟

فقال: «سبحان الله، أمَا تسمع الله عزّ وجلّ يقول في كتابه: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ۝٢٤ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝٢٥﴾ [المعارج: ٢٤ و٢٥]؟».

قال: قلت: ماذا الحقُّ المعلوم الذي علينا؟

قال: «هو الشيء يعمله الرجل في ماله يُعطيه في اليوم أو في الجمعة أو في الشهر قلَّ أو كثر، غير أنَّه يدوم عليه. وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۝٧﴾ [الماعون: ٧]»، قال: «هو القرض يُقرضه، والمعروف يصطنعه، ومتاع البيت يُعيره، ومنه الزكاة».

فقلت له: إنَّ لنا جيراناً إذا أعرناهم متاعاً كسروه وأفسدوه، فعلينا جناح أن نمنعهم؟

فقال: «لا، ليس عليكم جناح أن تمنعوهم إذا كانوا كذلك».

قال: قلت له: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً ۝٨﴾ [الإنسان: ٨]؟

قال: «ليس من الزكاة».

قلت: قوله عزّ وجلّ: ﴿الَّذِينَ ينفقونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [البقرة: ٢٧٤]؟

قال: «ليس من الزكاة».

قـال: فقلـت: قولـه ﷻ: ﴿إِنْ تُبْـدُوا الصَّـدَقاتِ فَنِعِمَّـا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوها وَتُؤْتُوهَا الْفُقَراءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١]؟

قال: «ليس من الزكاة، وصلتك قرابتك ليس من الزكاة»[1].

ولكن رغم هذا كلّه نجد سواداً عظيماً من الناس قد ابتعدوا عن هذا الأمر وتهاونوا في أدائه، وبرَّروا لأنفسهم معصية هـذا الأمـر بأعـذار واهيـة، كقـول أحدهم: لماذا أنا أعمل وأتعب وأُعطي ذاك الجالس في بيته من دون تعب.

أو قول آخر: أنا فقير وأنا أستحقُّ أن أُعطىٰ.

أو قول ثالث: إنَّ الله غير محتاج إلىٰ أموالي.

أو قول رابع: لِـمَ لا يرزقه الله ويُعطيه؟

قيـل: إنَّ رجـلاً فقـيراً جـاء لغنـيٍّ واسـتعطاه، فقـال لـه الغنـيُّ: الله يُعطيك. فقال الفقير: ذهبت إلىٰ الله وهو الذي أرسلني إليك!

وروي في سـبب نـزول قولـه تعـالىٰ: ﴿وَمِـنْهُمْ مَـنْ عاهَـدَ اللهَ لَـئِنْ آتانـا مِـنْ فَضْـلِهِ لَنَصَّـدَّقَنَّ وَلَنَكُـونَنَّ مِـنَ الصَّـالِحِينَ ۝ فَلَمَّـا آتـاهُمْ مِـنْ فَضْلِهِ بَخِلُـوا بِـهِ وَتَوَلَّـوْا وَهُـمْ مُعْرِضُـونَ ۝ فَـأَعْقَبَهُمْ نِفاقـاً فِي قُلُـوبِهِمْ إِلىٰ يَـوْمِ يَلْقَوْنَـهُ بِمـا أَخْلَفُـوا اللهَ مـا وَعَـدُوهُ وَبِمـا كانُـوا يَكْـذِبُونَ ۝﴾ (التوبة: ٧٥ - ٧٧)، أنَّهـا نزلـت في ثعلبـة بـن حاطـب وكـان مـن الأنصـار، قـال للنبـيِّ ﷺ: ادعُ الله أن يرزقنـي مـالاً، فقـال: «يـا ثعلبـة، قليـلٌ تـؤدّي شـكره خـير مـن كثـير لا تُطيقـه، أمالـك في رسـول الله ﷺ أُسـوة؟ والـذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضَّةً لسارت».

---

(١) الكـافي للشـيخ الكليني (ج ٣/ ص ٤٩٩/ بـاب فـرض الزكـاة ومـا يجـب في المـال مـن حقوق/ ح ٩).

ثمّ أتاه بعد ذلك فقال: يا رسول الله، ادعُ الله أن يرزقني مالاً، والذي بعثك بالحقِّ لَئِنْ رزقني الله مالاً لأُعطينَّ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، فقال ﷺ: «اللّهمّ ارزق ثعلبة مالاً».

قال: فاتَّخذ غنماً، فنمت كما ينمي الدود، فضاقت عليه المدينة، فتنحّىٰ عنها، فنزل وادياً من أوديتها، ثمّ كثرت نموًّا حتَّىٰ تباعد من المدينة، فاشتغل بذلك عن الجمعة والجماعة، وبعث رسول الله ﷺ المصدِّق ليأخذ الصدقة، فأبىٰ وبخل، وقال: ما هذه إلَّا أُخت الجزية، فقال رسول الله ﷺ: «يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة»، فأنزل الله الآيات[1].

الحالة الرابعة: أكل مهور النساء:

إنَّ الله تعالىٰ فرض علىٰ الرجل أن لا يستحلَّ فرج امرأة إلَّا بأن يؤدّي لها مهراً معيَّناً يتَّفقان عليه، فعن أبي الصباح الكناني، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «... لا يصلح نكاح إلَّا بمهر»[2].

وهذا حقٌّ لها من الله تعالىٰ، ولا يجوز لأحد أن يأكله عليها أو أن يأخذه منها إلَّا عن طيب خاطرها ورضاها التامِّ.

ولكن نجد أنَّ بعض الناس يتهاون ويستخفُّ بهذا الأمر، فيغصب مهر المرأة، والحال أنَّ الروايات اعتبرت أنَّ من ينوي أن لا يُمهر المرأة فهو بمنزلة السارق، فكيف بمن يفعل ذلك[3]؟

---

(١) تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي (ج ٥/ ص ٩٣ و٩٤)؛ وبحار الأنوار للعلَّامة المجلسي (ج ٢٢/ ص ٤٠).

(٢) الكافي للشيخ الكليني (ج ٥/ ص ٣٨٤/ باب المرأة تهب نفسها للرجل/ ح ٢ و٣).

(٣) مع الالتفات إلىٰ ما ورد في منهاج الصالحين للسيِّد السيستاني (ج ٣/ مسألة ٢٩٩): (إذا تزوَّج امرأة علىٰ مهر معيَّن وكان من نيَّته أن لا يدفعه إليها صحَّ العقد ووجب عليه دفع المهر).

عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال: «من أمهر مهراً ثمّ لا ينوي قضاءه، كان بمنزلة السارق»[(١)].

وهذا الغصب صور:

١ - أن يأخذ الأب قسماً من مهرها رغماً عنها، بحجَّة أنَّه يأخذه مقابل أنَّه ربّاها، أو لمجرَّد أنَّه أبوها فله الحقُّ في ذلك[(٢)]!

٢ - أنَّ الزوج لا يُعطيها حقَّها كاملاً في المهر، ويتحقَّق هذا الأمر عادةً في ما يُسمّىٰ بالمهر الغائب، وأعتقد أنَّ كثيراً من الأزواج قد غفلوا عن لزوم أداء هذا المهر الغائب، وربَّما هم لا يُعطونه لغفلتهم لا معصيةً

---

(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ٥/ ص ٣٨٣/ باب من يمهر المهر ولا ينوي قضاه/ ح ١).

(٢) مع الالتفات إلىٰ ما ورد في منهاج الصالحين للسيِّد السيستاني (ج ٣/ مسألة ٣٠٠): (إذا أشرك أباها مثلاً في المهر بأن جعل مقداراً من المهر لها ومقداراً منه لأبيها، أو جعل مهرها عشرين مثلاً علىٰ أن تكون عشرة منها لأبيها، سقط ما سمّاه للأب فلا يستحقُّ شيئاً. ولو لم يشركه في المهر ولكن اشترط عليها أن تعطيه شيئاً من مهرها صحَّ، وكذا لو جعل له شيئاً زائداً علىٰ مهرها لشرطها عليه ذلك، وأمَّا لو كان شرطاً ابتدائياً من الزوج له فلا يصحُّ).
وفي (مسألة ٣٠١): (ما تعارف في بعض البلاد من أنَّه يأخذ بعض أقارب البنت كأبيها أو أُمِّها أو أُختها من الزوج شيئاً - وهو المسمّىٰ في لسان بعض بـ(شير بها) - ليس جزءاً من المهر، بل هو شيء آخر يُؤخَذ زائداً علىٰ المهر، وحكمه أنَّه إن كان إعطاؤه وأخذه بعنوان الجُعالة بإزاء عمل مباح - كما إذا أعطىٰ شيئاً للأخ لأن يتوسَّط في البين ويُرضي أُخته ويسعىٰ في رفع بعض الموانع - فلا إشكال في جوازه وحلّيته، بل في استحقاق القريب له وعدم سلطنة الزوج علىٰ استرجاعه بعد إعطائه، وإن لم يكن بعنوان الجُعالة فإن كان إعطاء الزوج للقريب بطيب نفس منه وإن كان لأجل جلب خاطره وإرضائه سواء أكان رضاه في نفسه مقصوداً له أم لتوقُّف رضا البنت علىٰ رضاه جاز أخذه للقريب لكن يجوز للزوج استرجاعه ما دام قائماً بعينه، وأمَّا مع عدم رضا الزوج وكون إعطائه من جهة استخلاص البنت حيث إنَّ القريب مانع من تمشية الأمر مع رضاها بالتزويج بما بذل لها من المهر فيحرم أخذه وأكله، ويجوز للزوج الرجوع فيه باقياً كان أو تالفاً).

منهم. والملاحظ أنَّ هذا الحقَّ لا تُطالِب به المرأة عادةً إلَّا في حال حدوث نوع من النزاع أدّىٰ إلىٰ الطلاق والعياذ بالله.

٣ - أن يُطلِّق الرجل المرأة قبل أن يدخل بها، فلا يُعطيها نصف المهر المتَّفق عليه، فإنَّ من طلَّق المرأة قبل الدخول بها وجب عليه إعطاؤها نصف المهر[1].

إنَّ خطأ الصورة الأُولىٰ ممَّا لا يحتاج إلىٰ بيان.

وأمَّا الصورة الثانية، فلأنَّ الغالب في حصولها هو الغفلة، فينبغي التنبيه عليها، وينبغي للزوج أن يُعطي هذا المهر الغائب أو المؤجَّل إلىٰ زوجته، إذا حلَّ أجله وكان ميسوراً.

نعم إذا أسقطته له فهذا شأنها، حيث إنَّ لها أن تُسقِط حقَّها عن طيب نفس.

وهكذا الكلام في الصورة الثالثة، فإنَّه قد يقع نتيجة الغفلة، فينبغي التنبيه عليه، كما أنَّه يجوز للمرأة أن تُسقِط حقَّها.

ولنتذكَّر ما روي عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنَّ الله يغفر كلَّ ذنب يوم القيامة **إلَّا مهر امرأة**، ومن اغتصب أجيراً أجره، ومن باع حرًّا»[2].

---

(١) جاء في منهاج الصالحين للسيِّد السيستاني (ج ٣/ مسألة ٣٠٩): (إذا طلَّق قبل الدخول سقط نصف المهر المسمّىٰ وبقي نصفه، فإن كان دَيناً عليه ولم يكن قد دفعه برئت ذمَّته من نصفه، وإن كان عيناً صارت مشتركة بينه وبينها، ولو كان دفعه إليها استعاد نصفه إن كان باقياً، وإن كان تالفاً استعاد نصف مثله إن كان مثلياً ونصف قيمته إن كان قيمياً، وفي حكم التلف نقله إلىٰ الغير بناقل لازم، وأمَّا لو كان انتقاله منها إلىٰ الغير بناقل جائز - كالبيع بخيار - تخيَّرت بين الرجوع ودفع نصف العين، وبين دفع بدل النصف، وإن كان الأحوط استحباباً هو الأوَّل فيما إذا أراد الزوج عين ماله).

(٢) الكافي للشيخ الكليني (ج ٥/ ص ٣٨٢/ باب نوادر في المهر/ ح ١٧).

الحالة الخامسة: الاستخفاف بالنفقات الواجبة:

أوجب الله جلَّ وعلا نفقات بعض الناس علىٰ بعض آخر، والكثير يلتزم هذا الأمر من باب الفطرة أو العرف الاجتماعي العامّ أو غيرها، ولكن نجد بعض الناس - وإن كانوا بحمد الله تعالىٰ أقلّ من الملح في الطعام - يبخلون علىٰ زوجاتهم أو آبائهم أو أولادهم في نفقاتهم الواجبة.

وحتَّىٰ نكون علىٰ بصيرة من أمرنا، وحتَّىٰ لا نقع فريسة الاستخفاف والتهاون بهذا الأمر، علينا أن نعرف التالي:

قال تعالىٰ: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ ما رَزَقْناكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْ لا أَخَّرْتَنِي إِلىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ (المنافقون: ١٠).

النفقات منها مستحبَّة ومنها واجبة، فالمستحبة غير محدَّدة بشخص أو بمقدار، وإن كان الأقربون أولىٰ بها.

وأمَّا الواجبة فخلاصتها - وفق رأي السيِّد السيستاني (دام ظلُّه)[١] -، **فهي:**

أوَّلاً: الزوجة:

أ - وجوب النفقة عليها مشروط بـ:

١ - أن تكون الزوجة دائمة.

٢ - لا نفقة للناشز، وهي التي تمتنع من فراش الزوجية، لا لعذر شرعي.

٣ - لا نفقة للصغيرة غير المدخول بها غير القابلة للاستمتاع بها من قِبَل

---

(١) راجع تفاصيل هذه الأحكام في منهاج الصالحين للسيِّد السيستاني (ج ٣/ الفصل الرابع عشر في النفقات).

زوجها، خصوصاً إذا كان الزوج صغيراً أيضاً، ولا للزوجة في فترة الخطوبة - وإن عقد عليها شرعاً - إذا كان المتعارف هو عدم النفقة.

ب - المطلَّقة، إذا كانت رجعية فتجب نفقتها فترة العدَّة، وإن كانت بائنة فإن كانت حاملاً وجبت نفقتها إلىٰ أن تضع حملها، وإلَّا لم تجب.

ج - ومعنىٰ النفقة هنا هو ما يقيم ظهر الزوجة، ويشمل:

١ - المسكن، والمرأة لا تملك مسكن زوجها.

٢ - اللباس، وهي تملكه، فلها أن تتصرَّف به كيفما شاءت.

٣ - المأكل، وهنا تملك مقدار حاجتها لكلِّ يوم بيومه لا أكثر.

٤ - تستحقُّ عليه نفقات التنظيف - كالحمّام إذا احتاجت إليه -، والأدوية الضرورية، ومصاريف الولادة.

٥ - أثاث البيت، ولكنَّها لا تملكه.

د - لا يجوز للزوجة أن تطالب بنفقة أُسبوع أو شهر مستقبلاً، ولكن يجوز لها أن تُسقِط نفقتها الحاضرة والمستقبلية فضلاً عن الماضية.

هـ - تقدير النفقة عرفي، أي كلُّ شخص بحسبه.

و - النفقة واجبة حتَّىٰ إذا كانت الزوجة غنيَّة.

ثانياً: القرابة، أي الآباء والأبناء[1]:

---

(١) في منهاج الصالحين للسيِّد السيستاني (ج ٣/ مسألة ٤٤٠): (يثبت للأبوين حقُّ الإنفاق علىٰ ابنهما، كما يثبت للولد - ذَكَراً كان أو أُنثىٰ - حقُّ الإنفاق علىٰ أبيه، والمشهور بين الفقهاء (رضوان الله تعالىٰ عليهم) ثبوت حقِّ الإنفاق للأبوين علىٰ بنتهما كما يثبت علىٰ ابنهما، وأنَّه مع فقد الولد أو إعساره يثبت حقُّ الإنفاق لهما علىٰ أولاد أولادها، أي أبناء الأبناء والبنات وبناتهم الأقرب فالأقرب. وأيضاً المشهور بين الفقهاء (رضوان الله تعالىٰ عليهم) ثبوت حقِّ الإنفاق للولد مع فقد الأب أو إعساره علىٰ جدِّه لأبيه وإن علا الأقرب فالأقرب، ومع فقده أو إعساره فعلىٰ أُمِّه، ومع فقدها أو إعسارها فعلىٰ أبيها وأُمِّها وأبي أبيها وأُمِّ أبيها وأبي أُمِّها وأُمِّ أُمِّها وهكذا الأقرب فالأقرب.

⇦

أ - وهذه مشروطة بغنىٰ الأب وفقر الولد، (سواء كان الولد ذَكَراً أو أُنثىٰ)، أي أن يكون الأب مثلاً قادراً علىٰ الإنفاق علىٰ أولاده - وإن لم يكن غنيًّا -، وهكذا يجب علىٰ الابن (الذَّكَر) أن ينفق علىٰ أبويه.

فلو كان الأب غنيًّا، فلا تجب علىٰ الولد نفقته، وهكذا العكس.

والمقصود من النفقة الواجبة هنا هو ما يحتاج إليه من الأُمور الضرورية من طعام وإدام وكسوة وفراش وغطاء ومسكن ونحو ذلك.

ب - النفقة علىٰ القريب مشروطة بالقدرة علىٰ النفقة علىٰ النفس والزوجة الدائمة، فإن زاد وجبت نفقة الأقارب.

ج - لا تجب النفقة علىٰ الإخوة، ولا علىٰ زوجة الأب، ولا علىٰ زوجة الابن، ولا علىٰ الخال، ولا الخالة، ولا العمِّ، ولا العمَّة. نعم، يجب أن ينفق الأب علىٰ أولاد الأولاد عند فقد أبيهم علىٰ الأحوط وجوباً، ومع فقد الجد، فتجب نفقتهم علىٰ جدَّتهم علىٰ الأحوط وجوباً.

ثالثاً: المملوك:

فيجب الإنفاق علىٰ الحيوان المملوك أو بيعه أو هبته أو ذبحه، فلا يجوز حبس الحيوان - مملوكاً أو لا - حتَّىٰ يموت.

رابعاً: الاضطرار:

إذا اضطرَّ شخص إلىٰ طعام غيره لإنقاذ نفسه من الهلاك أو ما يدانيه، وكان المالك حاضراً، ولم يكن مضطرًّا إليه، وجب عليه بذله له.

⇦ وفي حكم آباء الأُمِّ وأُمَّهاتها أُمُّ الأب وكلُّ من تقرَّب إلىٰ الأب بالأُمِّ كأبي أُمِّ الأب وأُمِّ أُمِّ الأب وأُمِّ أبي الأب وهكذا، فتجب عليهم نفقة الولد مع فقد آبائه وأُمِّه مع مراعاة الأقرب فالأقرب إليه، وأنَّه إذا اجتمع من في الأُصول ومن في الفروع يثبت حقُّ الإنفاق علىٰ الأقرب فالأقرب. وما ذكروه لا يخلو عن إشكال وإن كان أحوط لزوماً. ولا يثبت حقُّ الإنفاق لغير العمودين من الإخوة والأخوات والأعمام والعمّات والأخوال والخالات وغيرهم.

نعـم، لـه الحـقُّ بالمطالبـة بـالعوض فـيما إذا كـان المضـطرُّ عـاجزاً الآن.

ولـو كـان كـلٌّ مـن الطـرفين مضـطرًّا لم يجـب عـلىٰ المالـك الإيثـار، ولكنَّه يجوز له ذلك في بعض الموارد.

وإذا توقَّفـت صـيانة الـدِّين وأحكامـه ونـواميس المسـلمين عـلىٰ بـذل شـخص، وجـب عليـه ذلـك، ولا يجـوز لـه المطالبـة بعـوض. وإذا توقَّـف الدِّين علىٰ بذل النفس وجب.

فذلكة تفصيلية للنفقات المتبادلة:

وخلاصة هذه الأحكام - وفق فتاوىٰ السيِّد السيستاني (دام ظلُّـه) -، هي:

١ - يجب علىٰ الولد الذَّكَر أن ينفق علىٰ أبويه، إذا كان يـتمكَّن مـن ذلـك وهما فقيران للأُمور الضـرورية كما تقـدَّم، وكـذا عـلىٰ البنـت عـلىٰ الأحـوط وجوباً...، ويجب علىٰ الأب أن ينفق علىٰ أولاده - ذكوراً وإناثـاً -، بـل وأولاد أولاده، بنفس الشرط المشار إليه.

٢ - معنـىٰ الفقـر هنـا - في بـاب النفقـات - هـو عـدم الوجـدان الفعـلي لمـا يحتـاج إليـه في معيشـته فعـلاً، كالطعـام والإدام والكسـوة والفراش، بحسب حاله زماناً ومكاناً.

٣ - إنَّـما يجـب الإنفـاق عـلىٰ الأبـوين أو الأولاد بعـد أن يكـون قـادراً علىٰ توفير النفقـة لنفسـه أوَّلاً ولزوجتـه الدائمـة ثانيـاً، فـإذا كـان قـادراً عـلىٰ ذلـك فهـو غنـيٌّ شرعـاً - هنـا في هـذا الموضـوع أي النفقـات - وإن كـان لا يملك قوت سنته.

٤ – ليس من الواجب تزويج الولد أو الوالد، وإن كان هو الأحوط استحباباً، خصوصاً تزويج الوالد (الأب) مع حاجته إلىٰ الزواج وعدم قدرته علىٰ نفقاته[1].

٥ – وليس من الواجب دفع ديونه أو كفّاراته أو فديته أو أرش جنايته.

٦ – ولا تجب النفقة علىٰ الإخوة والأخوات، ولا الأعمام والعمّات، ولا الأخوال والخالات، ولا تجب علىٰ الأب أن ينفق علىٰ زوجة ولده، كما لا يجب علىٰ الولد أن ينفق علىٰ غير أُمِّه من زوجات أبيه.

٧ – من وجبت عليه نفقة غيره وجب عليه الاكتساب اللائق بشأنه لتوفير النفقات الواجبة عليه، فإن لم يجد العمل اللائق أمكنه الأخذ من الحقوق الشرعية، ويمكنه أيضاً أن يستدين مبلغ النفقة إذا كان قادراً علىٰ وفائه، فإن لم يتمكَّن من الأخذ من الحقوق الشرعية ولم يمكنه وفاء الدَّين، فهو فقير شرعي، فلا تجب عليه نفقة غير نفسه وزوجته.

٨ – يمكن للولد أن يُسقِط نفقة نفسه عن أبيه للزمن الحاضر دون نفقة المستقبل، وهكذا الأب يمكنه إسقاط نفقته عن ولده للزمن الحاضر دون المستقبل.

ولو عصىٰ الولد ولم ينفق علىٰ أبويه حتَّىٰ فات وقت النفقة، فلا

---

(١) ورد الحثُّ الأكيد علىٰ مسألة تزويج الولد مع القدرة عليه، بل اعتُبِرَ عدمه من الذنوب، ولكنَّه محمول علىٰ غير الوجوب، فقد ورد: «من بلغ ولده النكاح وعنده ما ينكحه فلم ينكحه ثمّ أحدث حَدَثاً فالإثم عليه». (كنز العُمّال للمتَّقي الهندي: ج ١٦/ ص ٤٤٢/ ح ٤٥٣٣٧).

يجب عليه تدارك تلك النفقة. نعم، هو عاصٍ لأنَّه لم ينفق عليهما في زمن وجوبها، فينبغي له أن يتحلَّل منهما. وهكذا لو عصىٰ الوالد ولم ينفق علىٰ ولده حتَّىٰ فات زمان النفقة[١].

٩ - وهنا تفصيل مفيد:

الشخص إمَّا أن يملك قوته الفعلي، أو لا.

فإن كان يملك قوته الفعلي، فلا يجب علىٰ أبيه أو ولده أن ينفق عليه.

وإن كان لا يملك قوته الفعلي، فهنا:

أوَّلاً: إذا كان يمكنه أن يحصل علىٰ قوته الفعلي بالاستعطاء والسؤال:

أ - إذا استعطىٰ، فلا يجب علىٰ أبيه أو ولده[٢] أن ينفقا عليه[٣].

ب - وإذا لم يستعْطِ، فيجب علىٰ أبيه أو ولده أن ينفق عليه.

ثانياً: إذا كان يمكنه تحصيل نفقته بالأخذ من الحقوق الشرعية:

---

(١) وهذا بخلاف نفقة الزوجة، فإنَّه يجوز لها أن تُسقِطها سواء كانت للحاضر أو المستقبل، وإذا عصىٰ الزوج ولم ينفق عليها في زمن ماض، وجب عليه قضاؤها، أي إنَّ نفقتها تبقىٰ ديناً في ذمَّته.

(٢) بنفس الشرط السابق، أي إذا كان الأب أو الولد غنيًّا.

(٣) المال الذي يأخذه المستعطي حلال عليه حتَّىٰ إذا كان غنيًّا، لأنَّك عندما تُعطي المستعطي فقد ملَّكته المال، فيجوز له أن يتصرَّف به. نعم، لو قال لك بأنَّه فقير ولم يكن كذلك، فقد ارتكب محرَّماً بالكذب، ولكن مع ذلك يجوز له التصرُّف بالمال، لأنَّه أخذه وأنت راضٍ. ولا ينبغي أن يُفهَم أنَّ هذا تشجيع للاستعطاء، كلَّا، لأنَّ من أكثر ما يُبعِد الإنسان عن حقيقة ولاية أهل البيت عليهم السلام هو الاستعطاء من غير حاجة، فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «ما كان في شيعتنا فلا يكون فيهم ثلاثة أشياء: لا يكون فيهم من يسأل بكفِّه، ولا يكون فيهم بخيل، ولا يكون فيهم من يُؤتىٰ في دُبُره». (الخصال للشيخ الصدوق: ص ١٣١).

أ - إن أخذ منها، فلا تجب نفقته علىٰ أحد.

ب - وإن لم يأخذ، وجبت نفقته علىٰ أبيه أو ولده الغنيِّ.

ثالثاً: إذا كان يمكنه تحصيل قوته بالاقتراض:

أ - إن كان في الاقتراض حرج ومشقَّة عليه، أو احتمل احتمالاً معتدًّا به بأنَّه لا يمكنه وفاؤه، حينئذٍ يجب علىٰ أبيه أو ولده أن ينفقا عليه.

ب - إذا لم يكن في الاقتراض حرج عليه، وأمكنه وفاؤه، فلا تجب نفقته علىٰ أحد، بل يُعتَبر غنيًّا، فيجب عليه أن يقترض وينفق علىٰ نفسه.

رابعاً: إذا كان يمكنه تحصيل نفقته بالاكتساب:

أ - إذا لم يكن متعلِّماً فعلاً لصنعة أو حرفة، وإنَّما كان بإمكانه أن يتعلَّمها، ولكن لم يتعلَّمها فعلاً، فتجب نفقته علىٰ أبيه أو ولده.

ب - إذا كان يمكنه الاكتساب، لكن بما يشقُّ ويصعب عليه، فتجب نفقته عليهما كذلك.

ج - إذا كان يمكنه الاكتساب، لكنَّه لا يناسب شأنه، فإن عمل بذلك واكتسب فلا تجب نفقته عليهما، وإن لم يكتسب وجبت نفقته عليهما.

د - إذا كان يمكنه الاكتساب بما يناسب شأنه وبما لا يشقُّ عليه، أو كان كسوباً وترك الاكتساب:

- إذا كان ترك الاكتساب لطلب الراحة، فلا تجب نفقته علىٰ أحد.

- وإذا كان ذلك لا لأجل طلب الراحة، وإنَّما تركه لأمر مهمٍّ - سواء كان الأمر المهمُّ دنيوياً أو أُخروياً **كطلب العلم الواجب** - وجبت نفقته علىٰ أبيه أو ولده.

- ولكن مع ذلك، إذا فاته زمان الاكتساب ولو باختياره فاحتاج إلىٰ نفقة يوم أو يومين، وجبت تلك النفقة علىٰ أبيه أو ولده.

الحالة السادسة: التهاون بأداء الغرامات الشرعية:

كثيراً ما تحدث بعض النزاعات والمناوشات التي يترتَّب عليها غرامة شرعية، ولكن سواد الناس غافلون عن هذه الحقيقة، فقد تضرب صديقك، وقد تضرب زوجتك، وقد تضرب ولدك، وقد تضرب تلميذك، وقد تضرب غيرهم، وفي حالات عديدة يصل حدُّ الضرب إلىٰ استحقاق المضروب دية شرعية - مقدَّرة ومنصوص عليها في الكُتُب المخصَّصة لذلك -.

وقد تحدث مشكلة بين شخصين فيضرب أحدهما الآخر، وقد يكسر أحدهم سلعة غيره، وقد يكسر ولدك زجاج بيت جارك أو سيّارته، وقد وقد...

وكلُّ هذه الحالات يترتَّب عليها أداء غرامة شرعية أو حقٍّ مالي لصاحب الحقِّ.

ولكن الغفلة أو العمد قد يحولان دون أداء الحقِّ الشرعي في ذلك.

إنَّ اللازم علينا أحد أمرين:

أ - أن نؤدّي الحقَّ الشرعي كما هو مقرَّر في محلِّه.

ب - أو أن نستحصل رضا صاحب الحقِّ (بأن يُبرأك الذمَّة عن حقِّه ويُسقِطه عنك)، وهذا إنَّما يصحُّ لو كان صاحب الحقِّ بالغاً رشيداً، وإلَّا لو كان غير بالغ فيجب أداء الحقِّ لوليِّه ليصرفه في صالح الطفل - كما سيأتي بيان ذلك في المفردة التالية إن شاء الله تعالىٰ -.

ملاحظة: إذا أتلف صبيٌّ مال غيره ضمنه ولو بعد بلوغه:

قال السيِّد الخوئي قدس سره: (إتلاف الصبيِّ مال غيره سبب للضمان

جزماً، ولكنَّه لا يستتبع الحكم الإلزامي إلَّا بعد بلوغه، وإذا بلغ توجَّه عليه التكليف ووجب عليه الخروج عن عهدته، لأنَّه وقتئذٍ يصدق عليه أنَّه أتلف مال غيره، كما يتوجَّه عليه عندئذٍ وجوب الاغتسال مع تحقُّق الجنابة منه قبل البلوغ)[1].

وقال قدس سره: (حُكمُنا بضمان الصبيِّ للعلم بأنَّ مال المسلم لا يذهب هدراً، ولإطلاق ما دلَّ علىٰ أنَّ من أتلف مال غيره فهو له ضامن)[2].

الحالة السابعة: التهاون بحقّ ورثة الميِّت في ديته:

لا أحد يستطيع إنكار دور العشائر وشيوخها في حلِّ النزاعات بين أفراد المجتمع، خصوصاً في المناطق التي يكون للعشيرة فيها كلمة

---

(١) مصباح الفقاهة للسيِّد الخوئي (ج ٢/ ص ٥٣٧ و٥٣٨).

(٢) كتاب الطهارة للسيِّد الخوئي (ج ٨/ شرح ص ٣٨٠).

وقد جاء في موقع استفتاءات سماحة السيِّد السيستاني بعض الأسئلة النافعة في المقام، نذكر منها التالي:

(**السؤال**: ما حكم من سرقه شيئاً وهو صغير السنِّ؟

الجواب: يضمن ما سرقه إلىٰ أن يثق برضا صاحبه بتصرُّفه.

السؤال: امرأة سرقت في طفولتها عندما كان عمرها (٦) أو (٨) سنوات، وعندما كبرت تابت وندمت، ولكنَّها لا تستطيع إرجاع الحاجة إلىٰ أصحابها، فإذا أرادت التصدُّق بقيمتها هل تُخرج قيمتها السابقة أم الحالية؟

الجواب: إذا كانت مثليَّة فعليها مثلها، وإن كانت قيميَّة فعليها قيمتها في يوم التلف، ولكن لا يجدي التصدُّق مع إمكان إيصال الحاجة أو بدلها إلىٰ أصحابها بأيِّ صورة ممكنة.

السؤال: ما حكم من سرق وهو صغير في العمر؟

الجواب: إذا كان واثقاً برضا المسروق منه الآن فلا شيء عليه، وإلَّا فهو ضامن بردِّه أو بدله عليه ولو بإلقائه في بيته).

مسموعة، وهكذا دور الوجهاء والشخصيات في أيِّ مجتمع، وهم مشكورون علىٰ جهودهم في ذلك.

ولكن مع الأسف في بعض الأحيان يحدث أن يحابي شيخ العشيرة أو الوجيه في حقِّ غيره، ويُسقِط ما ليس له، ويهب ما لا يملك، وهم بذلك يُفسِدون أكثر ممَّا يُصلِحون.

والحال أنَّ اللازم في ذلك هو:

أ - إذا كان صاحب الحقِّ بالغاً رشيداً، فلا بدَّ من الاتِّفاق بين الوجيه وبينه في كيفية التعامل في حقِّه بإسقاط أو هبة أو غيرها حسب الاتِّفاق.

ب - إذا كان صاحب الحقِّ غير بالغ - كما لو قُتِلَ الأب فاستحقَّ أولاده الدية علىٰ القاتل -، فلا بدَّ أن يكون حقُّهم الشرعي وحصَّتهم من الدية في معزل عن المحاباة والمحسوبيات، بل يكون حقُّهم الشرعي خارج إطار النقاش.

* * *

المفردة التاسعة:

الاستخفاف والتهاون بأحكام الأولاد

- الخطر: الإغماض عن حقوق الأولاد.
- الأثر: ربَّما العقوق، وربَّما الحياة غير المستقرَّة، وربَّما النار.
- التوصية: أعينوا أولادكم علىٰ برِّكم.

كثيراً ما يغفل الناس عن أحكام الأطفال وما لهم وما عليهم وكيفية التصرُّف بأموالهم وغيرها من الأحكام، وهي أحكام كثيرة، بعضها فقهية نتركها لمحلِّها في أبواب الفقه المتفرِّقة، وبعضها أخلاقية وسنحاول تسليط الضوء عليها هنا.

الحقوق الأخلاقية للأولاد:

وهي كثيرة أيضاً، نذكر بعضاً مهمًّا منها:

أ - اختيار الأُمِّ المناسبة لأطفال المستقبل[1]:

كيف تكون الأُمُّ يكون الولد، فهي المربّية الحقيقية للولد، لأنَّ الأب يقضي أغلب نهاره خارج البيت في ترتيب أُمور المعيشة، ومواصلة العلاقات الاجتماعية، والجلوس مع الأصدقاء، وقد يقضي أيّاماً عديدة وهو لا يرىٰ أولاده.

أمَّا الأُمُّ، فهي المدرسة الأُولىٰ للأطفال، وجليستهم، ومربّيتهم، فكيف تكون سيكون أولادك. لذلك لزم علىٰ الأب في أوَّل حقٍّ من حقوق أولاده أن يختار لهم الأُمَّ العفيفة العاقلة المؤدَّبة.

وهو ما نصَّت عليه الروايات الشريفة، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال النبيُّ صلى الله عليه وآله: «اختاروا لنطفكم، فإنَّ الخال أحد الضجيعين»[2].

---

(١) راجع: قطاف شهر رمضان للمؤلِّف (ص ١٥).

(٢) الكافي للشيخ الكليني (ج ٥/ ص ٣٣٢/ باب اختيار الزوجة/ ح ٢).

وقال: «قام رسول الله ﷺ خطيباً، فقال: أيُّها الناس، إيّاكم وخضراء الدمن، قيل: يا رسول الله، وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في منبت السوء»[١].

وعن سعد بن عمر الجلّاب، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «إنَّ الله تعالىٰ خلق الجنَّة طاهرة مطهَّرة، فلا يدخلها إلَّا من طابت ولادته»، وقال أبو عبد الله عليه السلام: «طوبىٰ لمن كانت أُمُّه عفيفة»[٢].

فعلىٰ كلِّ شابٍّ أن يكون واعياً لهذه الحقيقة، وليضع في فكره أنَّ اختياره لفتاة لا بدَّ أن يكون وفق حسابات دقيقة من حيث الدِّين والأخلاق والأدب والمستوىٰ الثقافي المتناسب مع مستواه الثقافي والفكري، حتَّىٰ يتمكَّن من التواصل معها، وبالتالي يتمكَّن معها من بناء أُسرة نموذجية وأولاد يشقُّون أمواج الحياة بثبات.

وعلىٰ المرأة أن لا تنسىٰ، أنَّ عليها أيضاً أن تختار الرجل المناسب ليكون أباً لها ولأولادها!

ب - العمل علىٰ أن تكون مرضعة ولدك وحاضنته هي أُمَّه:

فإنَّ اللبن يُمثِّل الغذاء الروحي والمادّي لولدك، وهو - كما نصَّت الروايات - يُعدي، بمعنىٰ أنَّه ينقل الأخلاق والعواطف والرغبات من المرضعة إلىٰ المرتضع، وربَّما نقل حتَّىٰ الصفات الجسدية، فقد ينقل مرضاً ما إليه. لذا، عليك أن تختار الأُمَّ لرضاعة ولدك.

فعن الحسين بن علوان، عن جعفر، عن أبيه أنَّ عليًّا عليه السلام كان

---

(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ٥/ ص ٣٣٢/ باب اختيار الزوجة/ ح ٤).

(٢) علل الشرائع للشيخ الصدوق (ج ٢/ ص ٥٦٤/ باب ٣٦٣/ ح ١).

يقول: «تخيَّروا للرضاع كما تتخيَّرون للنكاح، فإنَّ الرضاع يُغيِّر الطباع»[١].

وعن طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما من لبن يرضع به الصبيُّ أعظم بركةً عليه من لبن أُمِّه»[٢].

طبعاً، في العديد من مجتمعاتنا الإسلاميَّة يُطبَّق هذا الخُلُق من باب العادة وربَّما العاطفة الجيّاشة، وهو أمر جيِّد، ولكن في العديد من بلداننا الإسلاميَّة أيضاً أخذ هذا الخُلُق يندثر بحجج أُستوردِت من الغرب، فلكي تحافظ المرأة علىٰ رشاقة جسمها وجعله كغصن البان، أخذت تُعطي ولدها للمربّية الهندية - وربَّما الهندوسية -.

والكثير من الأُمَّهات تُفضِّل إرضاع ولدها الحليب الصناعي للسبب السابق.

وربَّما اعتذرت بعض النسوة بأنَّ حضانتها لولدها ستُشغِلها عن عملها، وأنَّها تحتاج إلىٰ وقت لا تملكه.

وهذا من التقصير في حقِّ الولد، وفي الوقت ذاته تضييع للثواب العظيم الذي وعد الدِّين المرأةَ به جزاءً لها علىٰ إرضاعها ولدها.

عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أيُّما امرأة رفعت من بيت زوجها شيئاً من موضع إلىٰ موضع تريد به صلاحاً نظر الله عز وجل إليها، ومن نظر الله إليه لم يُعذِّبْه».

فقالت أُمُّ سَلَمة رضي الله عنها: ذهب الرجال بكلِّ خير، فأيُّ شيء للنساء

---

(١) قرب الإسناد للحميري القمّي (ص ٩٣/ ح ٣١٢)؛ ووسائل الشيعة للحرِّ العاملي (ج ٢١/ ص ٤٦٨).

(٢) الكافي للشيخ الكليني (ج ٦/ ص ٤٠/ باب الرضاع/ ح ١).

المساكين؟ فقال ﷺ: «بلىٰ، إذا حملت المرأة كانت بمنزلة الصائم القائم المجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، فإذا وضعت كان لها من الأجر ما لا تدري ما هو لعظمه، فإذا أرضعت كان لها بكلِّ مصَّة كعِدْلِ عتق محرَّر من ولد إسماعيل، فإذا فرغت من رضاعه ضرب مَلَك علىٰ جنبها وقال: استأنفي العمل فقد غُفِرَ لكِ»[1].

ج - اختيار الاسم الجميل لولدك:

فسيحمل ولدك هذا الاسم معه طوال عمره، وسيُعرَف به، وسيكون أحبَّ الأسماء إليه، وربَّما أبغضها، وستُكنّىٰ أنت به، ويحمله أحفادك من بعدك، فانظر كيف ستختار اسم ولدك.

ومن المفروض تربوياً أن تُسمّي ولدك قبل أن يُولَد، فهو من حقوقه أيضاً.

وقد كان الناس سابقاً يُسمّون أولادهم بأسماء غريبة، بل في بعض الأحيان يُسمّون أولادهم بأسماء حيوانات مصغَّرة، أو بأسماء بعض أدوات الحراثة أو المنزل، أو بأدوات القتل وما شابه، بل بعضها غير مفهومة المعنىٰ اليوم، وقد تضحكون كثيراً لو سمعتموه!

وأمَّا اليوم، فنجد عند الكثير من الشباب حديثي الزواج توجُّهاً نحو التسمية بأسماء غربية، أو غريبة، أو بأسماء غير مفهومة المعنىٰ، أو بأسماء بعض الممثِّلين أو الممثِّلات، بل رأيتُ البعض قد أسمىٰ أولاده بأسماء قادة غربيين لم يعرفهم الناس والتاريخ إلَّا بقتل البشر من دون رحمة!

طبعاً لم نُعدَم - أمسِ ولا اليومَ - من يُسمّون أولادهم بالأسماء

---

(١) أمالي الشيخ الصدوق (ص ٤٩٦ و٤٩٧/ ح ٦٨٧/ ٧).

الحسنة والمستملحة، ولكن بالتالي هناك استخفاف في التسمية عند البعض، لذا اقتضىٰ التنويه.

وقد أشبعت أدبيات روايات أهل البيت عليهم السلام هذا الجانب تماماً، وأعطته أهمّية قصوىٰ في مجال حقوق الأولاد.

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال: «سمُّوا أولادكم قبل أن يُولَدوا، فإن لم تدروا أذكر أم أُنثىٰ فسمّوهم بالأسماء التي تكون للذَّكَر والأُنثىٰ، فإنَّ أسقاطكم إذا لَقَوكم في القيامة ولم تُسمّوهم يقول السقط لأبيه: ألَا سمَّيتني؟!»، وقد سمّىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله محسناً قبل أن يُولَد[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «استحسنوا أسماءكم، فإنَّكم تُدعَون بها يوم القيامة، قم يا فلان بن فلان إلىٰ نورك، وقم يا فلان بن فلان لا نور لك»[2].

وعن جابر: أراد أبو جعفر عليه السلام الركوب إلىٰ بعض شيعته ليعوده، فقال: «يا جابر ألحقني»، فتبعته، فلمَّا انتهىٰ إلىٰ باب الدار خرج علينا ابنٌ له صغير، فقال له أبو جعفر عليه السلام: «ما اسمك؟»، قال: محمّد، قال: «بِمَ تُكنّىٰ؟»، قال: بعليٍّ، فقال أبو جعفر عليه السلام: «لقد احتظرت من الشيطان احتضاراً شديداً، إنَّ الشيطان إذا سمع منادياً ينادي: يا محمّد أو يا عليُّ ذاب كما يذوب الرصاص، حتَّىٰ إذا سمع منادياً ينادي باسم عدوٍّ من أعدائنا اهتزَّ واختال»[3].

وعن يعقوب السرّاج، قال: دخلت علىٰ أبي عبد الله عليه السلام وهو

---

(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ٦/ ص ١٨/ باب الأسماء والكنىٰ/ ح ٢).

(٢) الكافي للشيخ الكليني (ج ٦/ ص ١٨/ باب الأسماء والكنىٰ/ ح ١٠).

(٣) الكافي للشيخ الكليني (ج ٦/ ص ٢٠/ باب الأسماء والكنىٰ/ ح ١٢).

واقف علىٰ رأس أبي الحسن موسىٰ عليه السلام وهو في المهد يسارّه طويلاً، فجلست حتَّىٰ فرغ، فقمت إليه، فقال: «ادن من مولاك فسلِّمْ»، فدنوت منه، فسلَّمت، فردَّ عليَّ بكلام فصيح، ثمّ قال لي: «اذهب فغيِّر اسم ابنتك التي سمَّيتَها أمس، فإنَّه اسم يبغضه الله»، وكانت وُلِدَت لي ابنة فسمَّيتُها بالحميراء، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «انته إلىٰ أمره ترشد»، فغيَّرتُ اسمها[1].

د - تعليم الولد:

فمن مسؤوليتك أن تُعلِّمه القراءة والكتابة والقرآن الكريم، والفرائض الواجبة عليه، وإذا لم تُعلِّمْه أنت فمن سيُعلِّمُه؟!

واحذر، فإنَّ المدارس هذه الأيّام قد اشتملت علىٰ أنواع عديدة من المفاسد، فعليك باختيار المدرسة الجيِّدة وإن بذلت في سبيلها المال.

عن الحلبي، عن أبي عبد الله، عن أبيه عليهما السلام، قال: «إنّا نأمر صبياننا بالصلاة إذا كانوا بني خمس سنين، فمُرُوا صبيانكم بالصلاة إذا كانوا بني سبع سنين. ونحن نأمر صبياننا بالصوم إذا كانوا بني سبع سنين، بما أطاقوا من صيام اليوم، إن كان إلىٰ نصف النهار أو أكثر من ذلك أو أقلّ، فإذا غلبهم العطش والغرث أفطروا حتَّىٰ يتعوَّدوا الصوم ويُطيقوه، فمُرُوا صبيانكم إذا كانوا بني تسع سنين بالصوم ما استطاعوا من صيام اليوم، فإذا غلبهم العطش أفطروا»[2].

وروي عن النبيِّ صلى الله عليه وآله أنَّه نظر إلىٰ بعض الأطفال فقال: «ويلٌ

---

(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ١/ ص ٣١٠/ باب الإشارة والنصّ علىٰ أبي الحسن موسىٰ عليه السلام/ ح ١١).

(٢) الكافي للشيخ الكليني (ج ٣/ ص ٤٠٩/ باب صلاة الصبيان ومتىٰ يُؤخَذون بها/ ح ١).

لأولاد آخر الزمان من آبائهم!»، فقيل: يا رسول الله، من آبائهم المشركين؟ فقال: «لا، من آبائهم المؤمنين! لا يُعلِّمونهم شيئاً من الفرائض، وإذا تعلَّموا أولادهم منعوهم، ورضوا عنهم بعرضٍ يسير من الدنيا، فأنا منهم بريء وهم منّي براء»[1].

هـ - العدل معهم، وبيان المبرِّرات المقنعة عند اختلاف التعامل مع بعضهم:

فالأبُ حاكم في البيت، والأُمُّ وزيرته، وعليهما أن يتوخَّيا العدل والقسط والعطف في تعاملهما مع رعاياهما، وإذا لزم الأمر معاملة بعضٍ منهم بنوع من الاهتمام أكثر من غيره، فليُبرَّرْ ذلك ببيان واضح وبقرارٍ رسمي معلَن، فقد يكون أحدهم مريضاً فيحتاج إلىٰ رعاية أكثر، وقد يحتاج آخر إلىٰ رعاية أكثر لأنَّ دراسته أصبحت أصعب، وقد يمرُّ أحدهم بظرفٍ ما يوجب علىٰ الأبوين الاهتمام به أكثر، وقد يتَّصف بعضهم بصفات تُرغِم الأبوين علىٰ معاملته بصورة تختلف عن غيره من إخوته.

فليكن ذلك، ولكنْ ليُوعَد الجميع بنفس التعامل عند توفُّر المبرِّر ذاته، وعليهما أن يحافظا علىٰ وعودهما مع أولادهما، حتَّىٰ تؤتي التربية ثمرتها.

عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «إنَّ الله تعالىٰ يُحِبُّ أن تعدلوا بين أولادكم حتَّىٰ في القُبَل»[2].

---

(١) مستدرك الوسائل للميرزا النوري (ج ١٥/ ص ١٦٤/ باب استحباب ترك الصبيِّ سبع سنين.../ ح ١٧٨٧١/ ١)، عن جامع الأخبار.

(٢) كنز العُمّال للمتَّقي الهندي (ج ١٦/ ص ٤٤٥/ ح ٤٥٣٥٠).

وروي أنَّـه نظـر رسـول الله ﷺ إلىٰ رجـل لـه ابنـان فقبَّـل أحـدهما وترك الآخر، فقال له النبيُّ ﷺ: «فهلَّا واسيت بينهما»[١].

وروي عنـه ﷺ: «سـاووا بـين أولادكـم في العطيَّـة، فلـو كنـت مفضِّلاً أحداً لفضَّلت النساء»[٢].

و - اللعب مع الطفل والتصابي له:

فـلا شـكَّ أنَّ أغـلىٰ شيء عنـد الطفـل وكنـزه الـذي لا يبادلـه بملـئ الدنيا ذهباً هو اللعب، ولكن مع من يلعب؟

ربَّما سيجد صبيًّا مثلـه يلعـب معـه، وربَّـما سـيلعب لوحـده، ولكنَّـه لا يظهر ضحكه وسروره الحقيقـي إلَّا عنـدما يلعـب معـه أبـوه أو تلاعبـه أُمُّـه، والتجربة أكـبر برهـان. فعليـك بـذلك، ولا تكـن قـاسي القلـب مـع فلـذات كبدك. وقوِّ علاقتك بهم مبتدءاً ذلك باللعب.

قال النبيُّ ﷺ: «من كان عنده صبيٌّ فليتصابَ له»[٣].

وعن أبي هريـرة، قـال: أبصـرت عينـاي وسـمعت أُذُنـاي رسـول الله (صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلَّم) وهـو آخـذ بكفّـي حسـين وقـدماه علىٰ قـدمي رسول الله (صلّىٰ الله عليـه [وآلـه] وسـلَّم) وهـو يقـول: «تـرقَّ، عـين بقَّـة»، قال: فرقىٰ الغلام حتَّىٰ وضـع قدميـه علىٰ صـدر رسـول الله (صلّىٰ الله عليـه [وآلـه] وسـلَّم)، ثـمّ قـال لـه رسـول الله (صلّىٰ الله عليـه [وآلـه] وسـلَّم): «افتح فاك»، ثمّ قبَّله، ثمّ قال: «اللّهمّ إنّي أُحِبُّه فأحبَّه»[٤].

---

(١) مـن لا يحضـره الفقيـه للشـيخ الصـدوق (ج ٣/ ص ٤٨٣/ ح ٤٧٠٤)؛ ورواه العلَّامـة المجلسيُّ في بحار الأنوار (ج ٧١/ ص ٨٤) عن أمير المؤمنين عليه السلام باختلاف يسير.

(٢) الجامع الصغير لجلال الدِّين السيوطي (ج ٢/ ص ٤٠/ ح ٤٦٣٢).

(٣) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق (ج ٣/ ص ٤٨٣ و٤٨٤/ ح ٤٧٠٧).

(٤) ذخائر العقبىٰ لأحمد بن عبد الله الطبري (ص ١٢٢).

ح - تحمُّل مشاقّ التربية:

فالولد لا يخرج متعلِّماً، ولا يعرف (الأتكيت) مع الضيوف، ولا يحسن أن يضع كأس الماء في مكانه، ولا أن يلبس ملابسه بصورة صحيحة. ولذلك سيعبث ويعبث، وستزهق نفوس الأبوين من كثرة الأخطاء، وربَّما سيمرض فيمرض الأبوان معه، وربَّما احتاج الأولاد إلىٰ مصارف إضافية تجهد كاهل الوالد، وربَّما احتاجوا إلىٰ رعاية تنهك قوىٰ الأُمِّ. كلُّ ذلك لا بدَّ أن يكون بالحسبان، وأن يحتسب الأبوان ذلك عند الله تبارك وتعالىٰ.

عن محمّد بن مسلم، قال: كنت جالساً عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل يونس بن يعقوب، فرأيته يئنُّ، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: «ما لي أراك تئنُّ؟»، قال: طفل لي تأذَّيت به الليل أجمع، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: «يا يونس، حدَّثني أبي محمّد بن عليٍّ، عن آبائه عليهم السلام، عن جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّ جبرئيل نزل عليه ورسول الله وعليٌّ (صلوات الله عليهما) يئنّان، فقال جبرئيل عليه السلام: يا حبيب الله، ما لي أراك تئنُّ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: طفلان لنا تأذَّينا ببكائهما، فقال جبرئيل: مَهْ، يا محمّد فإنَّه سيبعث لهؤلاء القوم شيعة إذا بكىٰ أحدهم فبكاؤه لا إله إلَّا الله إلىٰ أن يأتي عليه سبع سنين، فإذا جاز السبع فبكاؤه استغفار لوالديه إلىٰ أن يأتي علىٰ الحدِّ، فإذا جاز الحدَّ فما أتىٰ من حسنة فلوالديه وما أتىٰ من سيِّئة فلا عليهما»[1].



(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ٦/ ص ٥٢ و٥٣/ باب النوادر/ ح ٥).

المفردة العاشرة:

الاستخفاف والتهاون بأعراض الناس

- **الخطر**: هتك أعراض الناس وسُمعتهم.
- **الأثر**: الخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة.
- **التوصية**: اكره لغيرك ما تكرهه لنفسك.

في الإسلام ليس هناك ما يُسمّىٰ بالحُرّية المطلقة، بل المرء إذا كان مسلماً فإنَّ حُرّيته مقيَّدة بالقيود والحدود التي حدَّها الله تبارك وتعالىٰ له، ومن يتجاوز هذه الحدود يكن في مقام مواجهة الله تعالىٰ بالمعصية والجرأة، بل سيكون علىٰ غير خطِّ الإنسانية، حيث نعلم أنَّ الله تعالىٰ إنَّما شرَّع الأحكام من واجبات ومحرَّمات آخذاً بنظر الاعتبار المصلحة الإنسانية الراجعة للبشر لا له جلَّ وعلا، قال عزَّ من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ (فاطر: ١٥).

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّ اللهَ سُبْحَانَه وَتَعَالَىٰ خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيًّا عَنْ طَاعَتِهِمْ، آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ، لأَنَّه لَا تَضُرُّه مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاه، وَلَا تَنْفَعُه طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَه»[1].

ومن الحدود التي حدَّها الله تبارك وتعالىٰ هو حدُّ (حرمة المسلم)، فللمسلم حرمته في دمه وماله وعِرضه وسمعته وجميع ما يرجع إليه، فلا يجوز التعدّي أبداً علىٰ هذه الحرمة، بل إنَّ الله تعالىٰ أوعد من يفعل ذلك بالخزي في الحياة الدنيا والعذاب في الآخرة، كما سنرىٰ ذلك إن شاء الله تعالىٰ بعد قليل.

ولكن - وأبعد الله (لكن) التي يندر أن يخلو منها كلام -، ولكن نجد أنَّ هتك أعراض الناس صار ظاهرة عند كثير من الناس والمجتمعات، وهذه الظاهرة عمَّت وشملت عدَّة حالات، ولا أُريد أن

(١) نهج البلاغة (ج ٢/ ص ١٦٠).

أذكر الحالات التي يستقبحها حتَّىٰ الفاسق كالزنا والعياذ بالله، وإنَّما أذكر بعض الحالات التي كثيراً ما تُبرَّر وتُصحَّح، وقد يعتبرها البعض نجاحاً في عمل أو ظاهرةً إنسانية ربَّما، وهذه بعض تلك الحالات:

الحالة الأُولىٰ: هتك السمعة بالغيبة والاسترسال في الذمِّ وإبراز العيوب من دون مبرِّر، فإنَّ ذلك من هتك العورة المحرَّمة كما نصَّت علىٰ ذلك الروايات الشريفة.

نعم، استُثنيت حالة السؤال عن عفَّة امرأة للزواج منها[1].

الحالة الثانية: التجسُّس علىٰ أعراض الناس ومتابعة النساء في خروجهنَّ أو سرقة صور النساء من الموبايل وما شابه.

الحالة الثالثة: هتك المرأة بوصف جمالها ومحاسنها من زوجة أمام زوجها، أو من شخص اطَّلع عليها بصورة غير رسمية.

الحالة الرابعة: الاطِّلاع علىٰ بيوت الجيران، أو الجلوس في الطُّرُقات مع عدم غضِّ البصر ومتابعة النساء بالنظر.

الحالة الخامسة: قذف المحصنات، كمن يرمي أُمَّ رجل أو أُخته بالزنا والعياذ بالله، وقد يكون ذلك الرمي مزاحاً، وقد يكون في عراك، وقد يكون بين الأطفال علىٰ مسمع من الكبار، وهي حالات وإن كانت ليست كثيرة إن شاء الله تعالىٰ، ولكنَّها علىٰ قلَّتها تُمثِّل حالة مرضية مزرية وخطرة.

هذه بعض الحالات التي يبتلي بها الناس، وعلينا أن نُحذِّر أنفسنا

---

(١) حيث ذكر الفقهاء ذلك من مستثنيات حرمة الغيبة. وقد جاء في منهاج الصالحين للسيِّد السيستاني (ج ١/ ص ١٧ و١٨): (فتجوز الغيبة بقصد النصح، كما لو استشاره شخص في تزويج امرأة، فيجوز نصحه وإن استلزم إظهار عيبها، بل يجوز ذلك ابتداءً بدون استشارة إذا علم بترتُّب مفسدة عظيمة علىٰ ترك النصيحة).

ومن نستطيع أن نُحذِّره من هذه الحالات، فإنَّها حالات أوعد الله عليها العذاب.

وحتَّىٰ تكتمل الصورة أنقل هنا بعض الروايات المتعلِّقة بتلك الحالات.

روي أنَّه قال النبيُّ عيسىٰ (علىٰ نبيِّنا وآله وعليه السلام) لأصحابه: «أرأيتم لو أنَّ أحداً مرَّ بأخيه فرأىٰ ثوبه قد انكشف عن عورته، أكان كاشفاً عنها أم يردُّ علىٰ ما انكشف منها؟».

قالوا: بل يردُّ علىٰ ما انكشف منها.

قال: «كلَّا، بل تكشفون عنها!».

فعرفوا أنَّه مثل ضربه لهم، فقالوا: يا روح الله، وكيف ذاك؟

قال: «ذاك الرجل منكم يطَّلع علىٰ العورة من أخيه فلا يسترها. بحقٍّ أقول لكم: أُعلِّمكم لتعلموا ولا أُعلِّمكم لتعجبوا بأنفسكم، إنَّكم لن تنالوا ما تريدون إلَّا بترك ما تشتهون، ولن تظفروا بما تأملون إلَّا بالصبر علىٰ ما تكرهون، إيّاكم والنظرة فإنَّها تزرع في القلوب الشهوة، وكفىٰ بها لصاحبها فتنة، طوبىٰ لمن جعل بصره في قلبه ولم يجعل بصره في نظر عينه، لا تنظروا في عيوب الناس كالأرباب وانظروا في عيوبهم كهيأة عبيد الناس، إنَّما الناس رجلان: مبتلىٰ ومعافىٰ، فارحموا المبتلىٰ، واحمدوا الله علىٰ العافية»[1].

وعن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «عورة المؤمن علىٰ المؤمن حرام»، وقال: «من أطلع علىٰ مؤمن في منزله فعيناه مباحتان

---

(١) تحف العقول لابن شعبة الحرّاني (ص ٣٠٥)؛ وبحار الأنوار للعلَّامة المجلسي (ج١٤/ ص ٣٠٥ و٣٠٦).

للمؤمن في تلك الحال، ومن دمَّر علىٰ مؤمن في منزلة بغير إذنه فدمه مباح للمؤمن في تلك الحال، ومن جحد نبيًّا مرسَلاً نبوَّتَه وكذَّبه فدمه مباح»(١).

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام: «من أطلع في دار قوم رُجِمَ، فإن تنحّىٰ فلا شيء عليه، فإن وقف فعليه أن يُرجَم، فإن أعماه أو أصمَّه فلا دية له»(٢).

وروي عنه عليه السلام: «من أطلع من مؤمن علىٰ ذنب أو سيِّئة فأفشىٰ ذلك عليه ولم يكتمها ولم يستغفر الله له، كان عند الله كعاملها وعليه وزر ذلك الذي أفشاه عليه، وكان مغفوراً لعاملها، وكان عقابه ما أفشىٰ عليه في الدنيا مستور عليه في الآخرة، ثمّ يجد الله أكرم من أن يُثنّي عليه عقاباً في الآخرة»(٣).

وعن مفضَّل بن عمر، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «من روىٰ علىٰ مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروءته ليسقط من أعين الناس أخرجه الله من ولايته إلىٰ ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان»(٤).

---

(١) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق (ج ٤/ ص ١٠٤/ ح ٥١٩٢).

(٢) فقه الرضا لعليِّ بن بابويه (ص ٣١٠/ باب النوادر في الحدود)؛ وبحار الأنوار للعلَّامة المجلسي (ج ٧٦/ ص ٢٧٩). وقال السيِّد الخوئي قدس سره في منهاج الصالحين (ج ٣/ كتاب الحدود/ مسألة ٢٩٩): (من اطَّلع علىٰ قوم في دارهم لينظر عوراتهم فلهم زجره، فلو توقَّف علىٰ أن يفقأوا عينيه أو يجرحوه فلا دية عليهم. نعم، لو كان المطَّلع محرماً لنساء صاحب المنزل ولم تكن النساء عاريات لم يجز جرحه ولا فقء عينيه).

(٣) الاختصاص للشيخ المفيد (ص ٣٢).

(٤) الكافي للشيخ الكليني (ج ٢/ ص ٣٥٨/ باب الرواية علىٰ المؤمن/ ح ١).

وروي عن رسول الله ﷺ: «من أطلع في بيت جاره فنظر إلىٰ عورة رجل أو شعر امرأة أو شيء من جسدها كان حقيقاً علىٰ الله أن يُدخِله النار مع المنافقين الذين كانوا يتبحَّثون عورات المسلمين في الدنيا، ولم يخرج من الدنيا حتَّىٰ يفضحه الله ويُبدي عوراته للناظرين في الآخرة»[1].

وروي أنَّه قال أبو بصير للإمام الصادق عليه السلام: الرجل تمرُّ به المرأة فينظر إلىٰ خلفها؟ قال: «أيسرُّ أحدكم أن يُنظَر إلىٰ أهله وذات قرابته؟»، قلت: لا، قال: «فارض للناس ما ترضاه لنفسك»[2].

وعن أبي أُمامة، قال: إنَّ فتىً شابًّا أتىٰ النبيَّ (صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلَّم)، فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه، فزجروه، وقالوا: مَهْ، مَهْ. فقال: «ادنه»، فدنا منه قريباً، قال: فجلس، قال: «أتُحِبُّه لأُمِّك؟»، قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يُحِبُّونه لأُمَّهاتهم»، قال: «أفتُحِبُّه لابنتك؟»، قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يُحِبُّونه لبناتهم»، قال: «أفتُحِبُّه لأُختك؟»، قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يُحِبُّونه لأخواتهم»، قال: «أفتُحِبُّه لعمَّتك؟»، قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يُحِبُّونه لعمّاتهم»، قال: «أفتُحِبُّه لخالتك؟»، قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يُحِبُّونه لخالاتهم»، قال: فوضع يده عليه وقال: «اللّهمّ اغفر ذنبه، وطهِّر قلبه، وحصِّن فرجه»، فلم يكن بعد ذلك الفتىٰ يلتفت إلىٰ شيء[3].

---

(١) بحار الأنوار للعلَّامة المجلسي (ج ١٠١/ ص ٣٧ و٣٨).
(٢) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق (ج ٤/ ص ١٩/ ح ٤٩٧٢).
(٣) مسند أحمد بن حنبل (ج ٥/ ص ٢٥٦ و٢٥٧).

وروي أنَّ رسول الله ﷺ قال يوماً لأصحابه: «إيّاكم والجلوس علىٰ الطُّرُقات، فإن أبيتم إلَّا المجالس فأعطوا الطريق حقَّه»، قالوا: وما حقُّ الطريق؟ قال: «غضُّ البصر، وكفُّ الأذىٰ، وردُّ السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر»(١).

وعن عمرو بن نعمان الجعفي، قال: كان لأبي عبد الله عليه السلام صديق لا يكاد يفارقه إذا ذهب مكاناً، فبينما هو يمشي معه في الحذائين ومعه غلام له سندي يمشي خلفهما إذا التفت الرجل يريد غلامه ثلاث مرّات فلم يرَه، فلمّا نظر في الرابعة قال: يا ابن الفاعلة، أين كنت؟ قال: فرفع أبو عبد الله عليه السلام يده فصَّك بها جبهة نفسه، ثمّ قال: «سبحان الله تقذف أُمَّه، قد كنت أرىٰ أنَّ لك ورعاً، فإذا ليس لك ورع»، فقال: جُعلت فداك إنَّ أُمَّه سندية مشركة، فقال: «أمَا علمت أنَّ لكلِّ أُمَّة نكاحاً؟ تنحَّ عنّي»، قال: فما رأيته يمشي معه حتَّىٰ فرَّق الموت بينهما. وفي رواية أُخرىٰ: «إنَّ لكلِّ أُمَّة نكاحاً يحتجزون به من الزنا»(٢).

وعن سماعة، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الرجل يقذف الرجل بالزنىٰ فيعفو عنه ويجعله من ذلك في حلٍّ، ثمّ إنَّه بعد يبدو له في أن يُقدِّمه حتَّىٰ يجلده، قال: فقال: «ليس له حدٌّ بعد العفو»، فقلت له: أرأيت إن هو قال: يا ابن الزانية، فعفا عنه وترك ذلك لله؟ فقال: «إن كانت أُمُّه حيَّة فليس له أن يعفو، العفو إلىٰ أُمِّه متىٰ شاءت أخذت بحقِّها»، قال: «فإن كانت أُمُّه قد ماتت فإنَّه وليُّ أمرها يجوز عفوه»(٣).

---

(١) كنز العُمّال للمتَّقي الهندي (ج ٩/ ص ١٤٦).

(٢) الكافي للشيخ الكليني (ج ٢/ ص ٣٢٤/ باب البذاءة/ ح ٥).

(٣) الكافي للشيخ الكليني (ج ٧/ ص ٢٥٢/ باب العفو عن الحدود/ ح ٦).

وهنا ينبغي الالتفات إلىٰ أمرين - بعد الالتفات إلىٰ أنَّ كلَّ واحدٍ من البشر معرَّض للخطأ والوقوع فيما وقع به غيره -:

الأمر الأوَّل: أنَّ الذي يطَّلع علىٰ عيب - بقصد أو بدون قصد - ويستره، فإنَّ الله تعالىٰ سيجازيه أيّما جزاء. وقد رتَّبت الروايات الشريفة الآثار الإيجابية العظيمة علىٰ ذلك، مثل: أنَّ ثواب ذلك ثواب إحياء موؤودة، وأنَّ الله تعالىٰ سيبادله بستر عيوبه.

عن رسول الله ﷺ: «من ستر علىٰ مؤمن فاحشة (وفي رواية: خزية) فكأنَّما أحيا موؤودة (من قبرها)»[١].

وعنه ﷺ: «من علم من أخيه سيِّئة فسترها، ستر الله عليه يوم القيامة»[٢].

الأمر الثاني: وفي المقابل أوعد الله تعالىٰ من يتتبَّع عيوب الناس ويعمل علىٰ فضحهم بالخزي والعذاب، فإنَّ تتبُّع عورات المؤمنين يعقبه التالي:

١ - **الحرمان من مودّات القلوب**، قال الإمام عليٌّ عليه السلام: «من تتبَّع خفيّات العيوب حرمه الله مودّات القلوب»[٣].

٢ - **إنَّ الله تعالىٰ سيفضحه كما يفضح هو الناس**، فعن رسول الله ﷺ: «من كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتَّىٰ يفضحه بها في بيته...»[٤].

---

(١) كنز العُمّال للمتَّقي الهندي (ج ٣/ ص ٢٤٩ / ح ٦٣٨٨).
(٢) كنز العُمّال للمتَّقي الهندي (ج ٣/ ص ٢٥٠/ ح ٦٣٩١).
(٣) عيون الحِكَم والمواعظ لعليِّ بن محمّد الليثي الواسطي (ص ٤٣٦).
(٤) كنز العُمّال للمتَّقي الهندي (ج ٣/ ص ٢٤٨/ ح ٦٣٨١).

وعن الإمام عليٍّ عليه السلام: «من بحث عن أسرار غيره أظهر الله أسراره، ومن تتبَّع عورات الناس كشف الله عورته»[(١)].

٣ - أنَّ ذلك ربَّما يرجع علىٰ الفرد نفسه، فإنَّ القاعدة الفيزيائية التي تقول: (لكلِّ فعل ردٌّ فعل مساوٍ له بالقوَّة ومعاكس له بالاتِّجاه)، ربَّما تجري هنا، فعن حمَّاد بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّه قال: «ما يأمن الذين ينظرون في أدبار النساء أن يبتلوا بذلك في نسائهم»[(٢)].

وفي رواية إبراهيم بن أبي البلاد، قال: كانت امرأة علىٰ عهد داود عليه السلام يأتيها رجل يستكرهها علىٰ نفسها، فألقىٰ الله عزَّ وجلَّ في قلبها، فقالت له: إنَّك لا تأتيني مرَّة إلَّا وعند أهلك من يأتيهم، قال: فذهب إلىٰ أهله فوجد عند أهله رجلاً، فأتىٰ به داود عليه السلام، فقال: يا نبيَّ الله، أتىٰ إليَّ ما لم يؤتَ إلىٰ أحد، قال: «وما ذاك؟»، قال: وجدت هذا الرجل عند أهلي، فأوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ داود عليه السلام قل له: «كما تَدين تُدان»[(٣)].

وعن الفضل بن أبي قرة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «لـمَّا أقام العالم الجدار أوحىٰ الله إلىٰ موسىٰ عليه السلام: إنِّي مجازي الأبناء بسعي الآباء إن خير فخير وإن شرٌّ فشرٌّ، لا تزنوا فتزني نساؤكم، ومن وطئ فراش امرئ مسلم وُطِئَ فراشه، كما تَدين تُدان»[(٤)].

وعن عبد الحميد، عن أبي إبراهيم عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «تزوَّجوا إلىٰ آل فلان فإنَّهم عفوا فعفت نساؤهم، ولا تُزوِّجوا إلىٰ

---

(١) عيون الحِكَم والمواعظ لعليٍّ بن محمّد الليثي الواسطي (ص ٤٣٦).

(٢) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق (ج ٤/ ص ١٩/ ح ٤٩٧٣).

(٣) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق (ج ٤/ ص ٢١ و٢٢/ ح ٤٩٨٦).

(٤) المحاسن لأحمد بن محمّد بن خالد البرقي (ج ١/ ص ١٠٧/ عقاب الزاني/ ح ٩٤).

آل فلان فإنَّهم بغوا فبغت نساؤهم»، وقال: «مكتوب في التوراة: أنا الله قاتل القاتلين ومفقر الزانين. أيُّها الناس، لا تزنوا فتزني نساؤكم، كما تَدين تُدان»[1].

* * *

(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ٥/ ص ٥٥٤/ باب أنَّ من عَفَّ عن حرم الناس عُفَّ عن حرمه/ ح ٤).

المفردة الحادية عشرة:

الاستخفاف والتهاون بالعفاف

- الخطر: انفراط عقد الثقة.
- الأثر: ضياع النفس والأهل.
- التوصية: احبس جوارحك إلَّا من حلال.

هنـاك صـفات تخـتصُّ بالرجـال، وهنـاك صـفات تخـتصُّ بالنسـاء، وهنـاك صـفات مشـتركة بيـنهما. فهنـاك صـفات تكـون لائقـة بالرجـل، وإذا اتَّصفت بها المرأة تكون غـير لائقـة بهـا، وهنـاك صـفات بعكـس ذلـك، قـال أمـير البلاغـة والبيـان عليه السلام: «خِيَـارُ خِصَـالِ النِّسَـاءِ شِرَارُ خِصَـالِ الرِّجَـالِ: الزَّهْوُ والْجُـبْنُ والْبُخْـلُ، فَـإِذَا كَانَـتِ الْمَـرْأَةُ مَزْهُـوَّةً لَمْ تُمَكِّـنْ مِـنْ نَفْسِـهَا، وَإِذَا كَانَتْ بَخِيلَةً حَفِظَـتْ مَالَهَـا وَمَـالَ بَعْلِهَـا، وَإِذَا كَانَـتْ جَبَانَـةً فَرِقَـتْ مِـنْ كُـلِّ شَيْءٍ يَعْرِضُ لَهَا»[1].

وهنـــاك صـــفات تكـــون لائقـــة بـــالاثنين معـــاً، وســـيحكي عـــدم الاتِّصاف بها من الاثنين معاً عـن نقـص أخلاقـي، ومـا أكثـر هـذه الصـفات، كالصدق والبرِّ بالوالدِّين وأداء الحقوق وغيرها.

ففي أيِّ خانة نضع صفة (العفَّة) و(العفاف)؟

يعتقد كثير من سـواد النـاس أنَّهـا صـفة خاصَّـة بالنسـاء، فالنسـاء هـنَّ من يجب أن يكـنَّ عفيفـات، وربَّـما ينكـرون هـذا الادِّعـاء بألسـنتهم، ولكـن السلوك العملي شـاهد صـدق عـلىٰ اعتقـادهم ذاك، وهـذا لـه شـواهد كثـيرة، ربَّما يكون ذكر بعضها مؤلماً للقلب.

لـو أنَّ امـرأة ضـحكت بصـوت عـالٍ وبقهقهـة ملفتـة للنظـر في سـوق عـامٍّ، سـينتقدها الكثـير مـن النـاس، وسـيعتبرونها قـد تعـدَّت وتجـاوزت حدود العفَّة، ولا يرون ذلك أبداً من الرجل.

---

(١) نهج البلاغة (ص ٥٠٩ و٥١٠/ ح ٢٣٤).

انظر لو أنَّ امرأة خرجت من دون حجاب وقد برز بعض شعرها، سيعتبرها المجتمع المسلم مخترقة لحجاب العفَّة، بينما لو خرج رجل بملابس قصيرة بحيث يظهر أكثر ظهره لو انحنىٰ قليلاً، وبحيث تظهر سيقانه إلىٰ الركب، وبحيث يظهر القسم الأكبر من صدره...، إنَّه لا بأس بكلِّ ذلك، لأنَّه رجل.

والشواهد من هذا القبيل كثيرة.

ولكن الحقيقة في الإسلام غير ذلك.

إنَّ العفاف صفة مشتركة بين الرجال والنساء، فكما هو مطلوب من النساء أن يكنَّ عفيفات، كذلك مطلوب من الرجال أن يكونوا عفيفين.

والخلاصة:

أنَّ العفاف يعني الشرف، والشرف مطلوب من الاثنين معاً[١].

ولذلك لم يُفرِّق القرآن بينهما من هذه الناحية. نعم، لا ننكر أنَّ متطلِّبات العفَّة في المرأة أشدّ منها في الرجل، ولكن بالتالي فإنَّ العفاف مطلوب من الاثنين بالحدود التي رسمها الشارع المقدَّس.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذلِكَ أَزْكىٰ لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِما يَصْنَعُونَ ۝٣٠ وَقُلْ لِلْمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا ما ظَهَرَ مِنْها وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبائِهِنَّ أَوْ آباءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنائِهِنَّ أَوْ أَبْناءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَواتِهِنَّ أَوْ نِسائِهِنَّ أَوْ ما مَلَكَتْ

---

(١) قطاف شهر رمضان للمؤلِّف (ص ١٦).

أَيْمانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلىٰ عَوْراتِ النِّساءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ ما يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ (النور: ٣٠ و٣١).

عن سعد الإسكاف، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «استقبل شابٌّ من الأنصار امرأة بالمدينة، وكان النساء يتقنعْنَ خلف آذانهنَّ، فنظر إليها وهي مقبلة، فلمَّا جازت نظر إليها ودخل في زقاق قد سمّاه ببني فلان، فجعل ينظر خلفها، واعترض وجهه عظم في الحائط أو زجاجة فشقَّ وجهه، فلمَّا مضت المرأة فإذا الدماء تسيل علىٰ صدره وثوبه! فقال: والله لآتينَّ رسول الله صلى الله عليه وآله ولأُخبرنَّه، قال: فأتاه، فلمَّا رآه رسول الله صلى الله عليه وآله قال له: ما هذا؟ فأخبره، فهبط جبرئيل عليه السلام بهذه الآية: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذٰلِكَ أَزْكىٰ لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِما يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [النور: ٣٠]»[١].

وهذه الصفة هي أيضاً ممَّا نجد تهاوناً مؤسفاً فيها، ففي كثير من الحالات نجد السلوك مناوئاً للعفَّة وبعيداً عنها، والناس - علىٰ الأقلِّ بعض منهم - تهاونوا في تلك الحالات حتَّىٰ كأنَّ العفَّة لم تكن مطلوبة منهم أبداً، ولمعرفة حقيقة هذه الحال نلفت الأنظار إلىٰ جهات العفَّة.

جهات العفَّة:

تتوزَّع العفَّة - في كلٍّ من الرجل والمرأة - علىٰ جهات متعدِّدة، نذكر منها:

---

(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ٥/ ص ٥٢١/ باب ما يحلُّ النظر إليه من المرأة/ ح ٥).

الجهة الأُولىٰ: عفَّة اليد:

ويُقصَد منها أن يكون المسلم - وسنُعبِّر بالمسلم ليعمَّ المرأة والرجل - عفيفاً في ما يقع تحت يده من أموال وأمانات وودائع وغيرها، فلا يأخذ شيئاً إلَّا من حِلِّه، ويحافظ علىٰ الودائع والأمانات بقدر طاقته، ويتعامل مع شيء استعاره كما يتعامل مع أمواله من دون تعدٍّ ولا تفريط، ولا يسرق مالاً قلَّ أو كثر.

ولكن اليوم نجد خرقاً لهذه العفَّة بشكل مريع!

فأخٌ أكبر متسلِّط يمنع أخواته - وربَّما حتَّىٰ إخوته - من إرث أبيهم.

أخٌ مجرم يمنع زوجة أخيه من إرثها من زوجها.

أمين يخون.

بائع يبخس في الميزان.

غنيٌّ يرتشي.

مسؤول مقصِّر في أداء ما عليه.

موظَّف يحتال في سرقة وقت العمل.

وغيرها كثير.

إنَّها العفَّة الميِّتة، والقلب المنكوس، وراء الابتعاد عن عفَّة اليد.

الجهة الثانية: عفَّة اللسان:

راعني يوماً طفلٌ اشتكىٰ لأبيه أنَّ آخر ضَرَبَه، وما راعني الضرب، إنَّما راعني لسان ذلك الأب وهو يُنزِل الشتائم والفحش من الكلام كالوابل علىٰ هشيم في يوم عاصف علىٰ أهل ذلك الطفل - أُؤكِّد الطفل - الذي ضرب ابنه.

قلت في نفسي: إذا كان هذا الرجل بهذا السقط من الألفاظ في

الشارع، فكيف يكون وهو في بيته؟ وكيف سيكون ولده وزوجته وابنته في ألسنتهم؟!

كثير من الناس تناسوا هذه الجهة من العفَّة، فتجد شباباً ومن أجل أن يُضحِك بعضهم بعضاً يأتون بطرائف مملوءة بالفحش من القول، وقد تصل الجرأة إلىٰ تأليف بعض منها علىٰ الخالق جلَّ وعلا أو علىٰ أنبيائه والعلماء.

إنَّك ربَّما تجد بعضاً من أصناف الناس صار إلقاء الفحش علىٰ الأُخت أو العِرض عموماً من ألفاظهم العادية المستملحة.

ربَّما نجد بعض الآباء وهم يستمتعون بكلام فاحش يصدر من أطفالهم، معتبرين ذلك لا ضير فيه ما دام قد صَدَرَ من طفل.

ليس هذا فقط، بل نجد كثيراً من الناس يتقبَّلون (الغيبة) و(النميمة) بقبول حسن!

والحال أنَّ الكلمة لها أثر خطر جدًّا، فالإسلام الذي به يُحصَن الدم والمال والفرج هي كلمة، والكفر الذي يبيح تلك الأُمور كلمة أيضاً.

إنَّ الكلمة هي التي تكشف عن حجم الإنسان، «تَكَلَّمُوا تُعْرَفُوا، فَإِنَّ المَرْءَ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ»[1].

والكلمة هي رسول العقل، «يُستَدَلُّ علىٰ عقل الرجل بحسن مقاله»[2].

والكلمة تجعل صاحبها أميراً علىٰ قومه، ولكن في الوقت نفسه فالكلمة ربَّما أهلكت إنساناً.

---

(١) نهج البلاغة (ج ٤/ ص ٩٣).

(٢) عيون الحِكَم والمواعظ لعليِّ بن محمّد الليثي الواسطي (ص ٥٥٠).

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «من علم لسانه أمَّره قومه، المرء يعثر برجله فيبرىٰ، ويعثر بلسانه فيقطع رأسه، احفظ لسانك فإنَّ الكلمة أسيرة في وثاق الرجل، فإن أطلقها صار أسيراً في وثاقها»[١].

وربَّما سقطت بصاحبها في نار جهنَّم، وربَّما قطعت رزقاً، وربَّما سلبت نعمة. لذلك، وجب حبس اللسان وسجنه إلَّا عن خير.

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يُعذِّبُ الله اللسان بعذاب لا يُعذِّب به شيئاً من الجوارح! فيقول: أي ربِّ، عذَّبتني بعذاب لم تُعذِّب به شيئاً؟ فيقال له: خرجتْ منك كلمة فبلغت مشارق الأرض ومغاربها، فسُفِكَ بها الدم الحرام وانتُهِبَ بها المال الحرام وانتُهِكَ بها الفرج الحرام، وعزَّتي وجلالي لأُعذِّبنَّك بعذاب لا أُعذِّب به شيئاً من جوارحك»[٢]، ولذلك وجب أن يكون الإنسان عفيفاً في لسانه.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في وصيَّته لولده محمّد بن الحنفية: «... ما خلق الله عزَّ وجلَّ شيئا أحسن من الكلام ولا أقبح منه، بالكلام ابيضَّت الوجوه، وبالكلام اسودَّت الوجوه، واعلم أنَّ الكلام في وثاقك ما لم تتكلَّم به، فإذا تكلَّمت به صرت في وثاقه، فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك ووَرِقَك، فإنَّ اللسان كلب عقور فإن أنت خلَّيته عقر، ورُبَّ كلمة سلبت نعمة...»[٣].

ويقول عليه السلام: «احبس لسانك قبل أن يُطيل حبسَك ويُردي نفسَك، فلا شيء أولىٰ بطول سجن من لسان يعدل عن الصواب ويتسرَّع إلىٰ الجواب»[٤].

---

(١) بحار الأنوار للعلَّامة المجلسي (ج ٦٨/ ص ٢٩٣).
(٢) الكافي للشيخ الكليني (ج ٢/ ص ١١٥/ باب الصمت وحفظ اللسان/ ح ١٦).
(٣) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق (ج ٤/ ص ٣٨٧ و٣٨٨/ ح ٥٨٣٤).
(٤) عيون الحِكَم والمواعظ لعليِّ بن محمّد الليثي الواسطي (ص ٨١).

ملاحظة:

من عفَّة اللسان هو عدم التعميم في الحكم، فكثيراً ما نجد أُناساً يُعمِّمون الأحكام علىٰ بعض الأصناف من الناس أو علىٰ بعض الشعوب، فتجد شخصاً يقول: (كلُّ أعضاء البرلمان سارقون)، أو آخر يقول: (الشعب الفلاني كلُّهم أغبياء)، وثالث يقول: (العشيرة الفلانية كلُّها همج رعاع).

والحال أنَّ هذا الحكم فيه ظلم كبير لكثير من الأفراد، وليكن الحكم علىٰ نحو الجزئية، التي تصدق ولو بفرد واحد، أو يكون الحكم علىٰ الأكثرية مع التأكُّد من صحَّة إطلاقه علىٰ الأكثرية، تماماً كما فعل القرآن الكريم: ﴿وَما أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ (يوسف: ١٠٣).

الجهة الثالثة: عفَّة الفرج:

كثيرة هي غرائز الإنسان التي بها عاش علىٰ هذه الأرض، وهي مختلفة من حيث القوَّة والضعف، وكونها ضرورية جدًّا أو بين بين. ولكن ليس هناك أهمّ ولا أخطر ولا أقوىٰ من الغريزة الجنسية لديه، فهي عندما تبدأ بالظهور عند الإنسان فإنَّها تجرُّ معها الكثير من التغيُّرات الفسيولوجية والنفسية، بل والعقلية عليه. ولو لم تُقيَّد من البداية وتُكبَّل فإنَّها ستكون أشبه بسيّارة بلا مكابح تنزل من جبل وسائقها يضغط دوّاسة البنزين بكلِّ قوَّته!

وقد تساهل بعض الناس في تقييدها وكبحها، إن في أنفسهم أو في مَنْ هم مسؤولون عنهم، فتجد الأب يسمح لولده بالخروج إلىٰ أماكن الريبة، ولا يعارض أن تلبس ابنته ملابس زاهية وملفتة للأنظار، وقد يتسامح البعض في مقاربة أهله علىٰ مسمع - وربَّما منظر - من أولاده بحجَّة أنَّهم صغار، وغيرها من التصرُّفات.

لا بـدَّ عـلىٰ الفـرد العفيـف أن يُهيِّـئ المصـدّات القويَّـة والترسـانات الضـخمة التـي تقـي مـن مصـارع التهتُّـك، والتـي تحفـظ للمـؤمن عفَّتـه، خصوصـاً وإنَّنـا في زمـن صـار كثـير مـن النـاس يعتـبر العفيـف متخلِّفـاً، والعفيفـة معقَّـدة ومريضـة نفسـياً، وأنَّ العفَّـة علامـة فارقـة تسـتدعي العرض علىٰ طبيب نفسـي يعـالج العفيـف حتَّـىٰ يـتمكَّن مـن أن يزيـل تلـك الصفة منه، ليستوي مع أبناء جلدته، ويكون معهم سواءً وإمَّعة.

وحتَّـىٰ نكـون عـلىٰ بيِّنـة مـن أمرنـا، نُلفِـت النظـر إلىٰ أنَّ هـذه التهيئـة المطلوبة في هذه الجهة من العفَّة تعني التالي:

١ - **الابتعاد عـن الفاحشـة الممقوتـة**، قـال تعـالىٰ: ﴿وَلا تَقْرَبُـوا الـزِّنىٰ إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَساءَ سَبِيلاً ﴿٣٢﴾﴾ (الإسراء: ٣٢).

٢ - **الابتعـاد عـن مهيِّجـات تلـك الفاحشـة**، والمهيِّجـات والـدواعي لها عديدة، نذكر منها:

أوَّلاً: النظرة المحرَّمة:

لا يغرُّك مـا تسـمع مـن أنَّ النظـرة الأُولىٰ لـك والثانيـة عليـك، فلـيس هكذا تُؤكَل الكتف، فـإنَّ معنـىٰ النظـرة الأُولىٰ هـي النظـرة غـير المقصـودة أو التي قُصِدَ منها شيء غير الريبة والتلذُّذ، وإلَّا فهي محرَّمة[1].

---

(١) في فقـه الحضـارة (ص ١٨٥ و١٨٦): (مـا المقصـود بـالقول المـأثور: (النظـرة الأُولىٰ لـك والثانية عليك)؟ وهل يجـوز إطالـة النظـرة الأُولىٰ للمـرأة والـتمعُّن بهـا بحجَّـة أنَّهـا لا زالـت نظرة أُولىٰ جائزة كما يدَّعي البعض؟

ج - الظاهر أنَّ المقصود بالقول المذكور هو التفريق بين النظرتين من حيث الأُولىٰ اتِّفاقيـة عـابرة فتكون بريئة، ولا يُقصَد بها التلذُّذ الشهوي، بخلاف الثانية فإنَّها تكون مقصودة وهادفـة طبعـاً، فتقترن بنوع من التلذُّذ، وبذلك تكون خسارة. ومن هنا ورد في بعض النصوص عن أبي عبـد الله الصادق عليه السلام أنَّه قال: «النظرة بعد النظرة تزرع في القلب الشهوة، وكفىٰ بها لصاحبها فتنة». ⇦

روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّه قال: «النظر سهم من سهام إبليس مسموم، وكم من نظرة أورثت حسرة طويلة»[١].

وروي أنَّه قال عيسىٰ بن مريم عليه السلام: «إيّاكم والنظرة فإنَّها تزرع في القلب الشهوة، وكفىٰ بها لصاحبها فتنة»[٢].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «اشتدَّ غضب الله علىٰ امرأة ذات بعل ملأت عينها من غير زوجها أو ذي محرم منها، فإنَّها إن فعلت ذلك أحبط الله كلَّ عمل عملته، فإن أوطأت فراش غيره كان حقًّا علىٰ الله تعالىٰ أن يُحرقها بالنار بعد أن يُعذِّبها في قبرها»[٣].

وينبغي الالتفات إلىٰ عدم جواز نظر المرأة إلىٰ ما لا يتعارف كشفه عند الرجال (علىٰ الأحوط وجوباً)[٤]، فنُنبِّه علىٰ حرمة مشاهدة المرأة لما يُسمّىٰ بالمصارعة الحُرَّة، حيث يظهر كلُّ جسم الرجل إلَّا العورة بالمعنىٰ

⇦ وكيفما كان، فمن الواضح أنَّ القول المذكور ليس في مقام تحديد النظر السائغ علىٰ أساس العدد بحيث يعني تجويز النظرة الأُولىٰ وإن كانت هادفة وغير بريئة في أوَّل حدوثها، أو انقلبت إلىٰ ذلك في حالة بقائها واستمرارها، لأنَّ الناظر لا تطاوعه نفسه من غمض النظر عن المنظور إليها. وتحريم النظرة الثانية وإن كانت للحظة واحدة بلا تلذُّذ أصلاً).

(١) المحاسن لأحمد بن محمّد بن خالد البرقي (ج ١/ ص ١٠٩ و١١٠/ باب عقاب النظر إلىٰ النساء/ ح ١٠١).

(٢) المصدر السابق؛ وتحف العقول لابن شعبة الحرّاني (ص ٣٠٥).

(٣) ثواب الأعمال للشيخ الصدوق (ص ٢٨٦ و٢٨٧).

(٤) في منهاج الصالحين للسيِّد السيستاني (ج ٣/ مسألة ١٥): (يحرم علىٰ المرأة النظر إلىٰ بدن الرجل الأجنبي بتلذُّذ شهوي أو مع الريبة، بل الأحوط لزوماً أن لا تنظر إلىٰ غير ما جرت السيرة علىٰ عدم الالتزام بستره كالرأس واليدين والقدمين ونحوها وإن كان بلا تلذُّذ شهوي ولا ريبة، وأمَّا نظرها إلىٰ هذه المواضع من بدنه من دون ريبة ولا تلذُّذ شهوي فهو جائز، وإن كان الأحوط استحباباً تركه أيضاً).

الأخصِّ. وهكذا بعض الألعاب الرياضية التي يكشف فيها اللاعب عن الأعضاء التي يحرم احتياطاً علىٰ المرأة مشاهدتها.

ومن هذا المنطلق ينبغي تنبيه الرجال أن يحترموا مشاعر المرأة وحرمتها، فلا يمشِ أخو الزوج أمام زوجة أخيه بالسروال الداخلي أو بقميص يُظهِر صدره وكتفيه.

ثانياً: المصافحة المحرَّمة:

بعض المجتمعات والأفراد اعتبروا مصافحة المرأة علامة علىٰ التحضُّر والانفتاح الثقافي وعدم التعقيد النفسي، والحال أنَّ أيَّ أمر فِيه تجاوز علىٰ الحدود الشرعية فهو في قعر التخلُّف وعند نهاية ركب الثقافة.

عن سماعة بن مهران، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن مصافحة الرجل المرأة، قال: «لا يحلُّ للرجل أن يصافح المرأة إلَّا امرأة يحرم عليه أن يتزوَّجها: أُختاً أو بنتاً أو عمَّةً أو خالةً أو ابنة أُخت أو نحوها، فأمَّا المرأة التي يحلُّ له أن يتزوَّجها فلا يصافِحْها إلَّا من وراء الثوب، ولا يغمِزْ كفَّها»[1].

ثالثاً: المزاح المحرَّم:

وهذا المثير، كثيراً ما يقع بين الذَّكَر والأُنثىٰ ويقوم باستثارة دفائن النفس الأمّارة بالسوء من حيث لا يشعران، وهو أمر تعارف عند كثير من شرائح المجتمع، سواء في السوق أو في دائرة العمل بين الموظَّفين أو في الجامعات المختلطة وغيرها، فبنت لا تمازح رجلاً تُعتَبر معقَّدة، ورجل يرنو بعفَّته عن مزاح أُنثىٰ خارج عن طبيعة البشر، هكذا صارت الأحكام مقلوبة، والموازين مختلَّة.

---

(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ٥/ ص ٥٢٥/ باب مصافحة النساء/ ح ١).

عن الحسين بن المختار، عن أبي بصير، قال: كنت أُقرئ امرأة كنت أُعلِّمها القرآن، فمازحتها بشيء، فقدمت علىٰ أبي جعفر عليه السلام، فقال لي: «أيّ شيء قلت للمرأة؟»، فغطَّيت وجهي، فقال: «لا تعودنَّ إليها»[١].

رابعاً: الخلوة بالأجنبية:

والخلوة تعني أن ينفرد رجلٌ بامرأة ليست من محارمه، في مكان من دون أن يكون معهما ثالث. وهذا الأمر من شأنه أن يُولِّد في النفس أحاسيس غير محمودة، ومن شأنه أن يُحدِث ما لا تُحمَد عقباه، لذلك حرَّمه الشارع المقدس - إذا لم يأمنا علىٰ نفسيهما من الحرام - ليقطع فرصة الشيطان في إغواء المؤمنين. نعم يجوز ذلك (مع اليقين أو الاطمئنان بعدم الوقوع في الحرام)[٢].

عن مسمع أبي سيار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «فيما أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله من البيعة علىٰ النساء أن ... لا يَقْعُدْنَ مع الرجال في الخلاء»[٣].

وروي أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله نهىٰ عن محادثة النساء - يعني غير ذوات المحارم -، وقال: «لا يخلونَّ رجل بامرأة، فما من رجلٍ خلا بامرأة إلَّا كان الشيطان ثالثهما»[٤].

خامساً: وصف محاسن المرأة:

للمرأة كيانها المستقلُّ في الإسلام، وحرمتها محفوظة في الإسلام

---

(١) اختيار معرفة الرجال للشيخ الطوسي (ج ١/ ص ٤٠٤/ ح ٢٩٥)؛ ووسائل الشيعة للحرِّ العاملي (ج ٢٠/ ص ١٩٨).

(٢) استفتاء من موقع السيِّد السيستاني (https://www.sistani.org/arabic/qa/0464).

(٣) الكافي للشيخ الكليني (ج ٥/ ص ٥١٩/ باب التستُّر/ ح ٦).

(٤) دعائم الإسلام للقاضي النعمان المغربي (ج ٢/ ص ٢١٤/ ح ٧٨٨)؛ وجامع أحاديث الشيعة للسيِّد البروجردي (ج ٢٠/ ص ٣٠٩).

كأشدّ ما تكون الحرمة، ولذلك عاقب الإسلام من يرمي امرأة بفاحشة من دون بيِّنة شرعية، بأن جلده ثمانين جلدة وحَكَمَ عليه بالفسق.

ومن حرمتها في الإسلام هو عدم جواز وصف الرجل محاسنها وجمالها أمام الرجال، فإنَّ ذلك هتكاً لها، وهو أمر محرَّم. وهو يجرُّ إلىٰ الحرام، وما لا يرتضيه العقل ولا الشرع.

فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله في ما خطبه بالمسلمين قبل وفاته: «... من وصف امرأة لرجل وذكر جمالها له فافتتن بها الرجل فأصاب منها فاحشة لم يخرج من الدنيا حتَّىٰ يغضب الله عليه، ومن غضب الله عليه غضبت عليه السماوات السبع والأرضون السبع، وكان عليه من الوزر مثل الذي أصابها...»[1].

سادساً: تزيُّن المرأة لغير زوجها بعطر وما شابه:

كثيراً ما تقع النساء في هذا الخطأ، وكثيراً ما يسمح الأب أو الأخ أو حتَّىٰ الزوج به لنسائهم، بحجَّة أنَّه من التجمُّل أو النظافة أو الثقافة، والحال أنَّ هذا الأمر من شأنه أن يُوقِع الشابَّ في الريبة المحرَّمة، وقد يستثير فيه ما كان كامناً من غرائز فتّاكة، فضلاً عن أنَّه يكشف عن ضعف في شخصية تلك المرأة التي تريد أن تُبرز جمالها أو تبثَّ عطرها بين رجال لا تعرف منهم سوىٰ أنَّهم يسترقون النظرات المريبة منها!

عن سعد بن أبي عمرو الجلاب، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «أيُّما امرأة باتت وزوجها عليها ساخط في حقٍّ لم تُقبَل منها صلاة حتَّىٰ يرضىٰ عنها، وأيُّما امرأة تطيَّبت لغير زوجها لم تُقبَل منها صلاة حتَّىٰ تغتسل من طيبها كغُسلها من جنابتها»[2].

---

(١) ثواب الأعمال للشيخ الصدوق (ص ٢٨٦)؛ وجامع أحاديث الشيعة للسيِّد البروجردي (ج ٢٠/ ص ٣٠٠).

(٢) الكافي للشيخ الكليني (ج ٥/ ص ٥٠٧/ باب حقّ الزوج علىٰ المرأة/ ح ٢).

وعن الإمام جعفر بن محمّد، عن آبائه عليهم السلام - في حديث المناهي -، قال: «نهىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله أن تخرج المرأة من بيتها بغير إذن زوجها، فإن خرجت لعنها كلُّ مَلَك في السماء وكلُّ شيء تمرُّ عليه من الجنِّ والإنس حتَّىٰ ترجع إلىٰ بيتها، ونهى أن تتزيَّن لغير زوجها، فإن فعلت كان حقًّا علىٰ الله أن يُحرقها بالنار»(١).

سابعاً: مقاربة الأهل علىٰ منظر ومسمع من الأطفال:

إنَّ الأطفال وإن كانوا لا يملكون القدرة الكافية للتعبير عمَّا يرونه وعمَّا في داخلهم، ولكنَّهم يملكون من الذاكرة ما يحتفظون بها بما يسمعونه ويرونه طول حياتهم، وربَّما سيتحوَّل مخزونهم الذهني إلىٰ سلوك عملي في المستقبل، وبالتالي علىٰ الأبوين أن يتعاملا مع هذه الخصّيصة في الأطفال بحذر شديد، ومن ذلك الحذر من أن يحصل التقارب علىٰ منظر ومسمع من الأطفال وإن كانوا صغاراً، ومن هنا حَكَمَ الفقهاء بكراهة ذلك.

عن ابن راشد، عن أبيه، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لا يجامع الرجل امرأته ولا جاريته وفي البيت صبيٌّ، فإنَّ ذلك ممَّا يورث الزنا»(٢).

وعن عبد الله بن الحسين بن زيد، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: والذي نفسي بيده لو أنَّ رجلاً غشي امرأته وفي البيت

---

(١) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق (ج ٤/ ص ٦/ باب ذكر جُمَل من مناهي النبيِّ صلى الله عليه وآله/ ح ١/ ٤٩٦٨).

(٢) الكافي للشيخ الكليني (ج ٥/ ص ٤٩٩ و٥٠٠/ باب كراهية أن يواقع الرجل أهله وفي البيت صبيٌّ/ ح ١).

صبيٌّ مستيقظ يراهما ويسمع كلامهما ونفسهما ما أفلح أبداً، إذا كان غلاماً كان زانياً أو جاريةً كانت زانية. وكان عليُّ بن الحسين عليهما السلام إذا أراد أن يغشىٰ أهله أغلق الباب وأرخىٰ الستور وأخرج الخدم»[١].

ثامناً: بعض السلوكيات التي يمكن أن تُهيِّج الرجل أو المرأة:

كالسلام علىٰ الشابّات ابتداءً، والمبيت قريباً من امرأة ليست محرمة، والجلوس في مجلس المرأة قبل أن يبرد، وتقبيل الرجل الفتاة الصغيرة، أو تقبيل الولد الصغير المرأة، وغيرها.

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يُسلِّم علىٰ النساء ويرددْنَ عليه، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يُسلِّم علىٰ النساء، وكان يكره أن يُسلِّم علىٰ الشابَّة منهنَّ، ويقول: أتخوَّف أن يعجبني صوتها[٢] فيدخل عليَّ أكثر ممَّا طلبت من الأجر»[٣].

وعن أبي جميلة، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، قالا: «ما من أحد إلَّا وهو يصيب حظًّا من الزنا، فزنا العينين النظر، وزنا الفم القبلة، وزنا اليدين اللمس، صدَّق الفرج ذلك أم كذَّب»[٤].

عن موسىٰ بن إبراهيم، عن موسىٰ بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يبت في موضع يسمع نفس امرأة ليست له بمحرم»[٥].

---

(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ٥/ ص ٥٠٠/ باب كراهية أن يواقع الرجل أهله وفي البيت صبيٌّ/ ح ٢).

(٢) واضح جدًّا أنَّ هذا منه عليه السلام من باب: (إيّاك أعني واسمعي يا جارة).

(٣) الكافي للشيخ الكليني (ج ٥/ ص ٥٣٥/ باب التسليم علىٰ النساء/ ح ٣).

(٤) الكافي للشيخ الكليني (ج ٥/ ص ٥٥٩/ باب نوادر/ ح ٣٨).

(٥) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق (ج ٣/ ص ٤٣٧ / ح ٤٥١٠).

وعن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا جلست المرأة مجلساً فقامت عنه فلا يجلس في مجلسها رجل حتَّىٰ يبرد»[١].

وروي أنَّه كان أبو الحسن الماضي عليه السلام عند محمّد بن إبراهيم والي مكَّة وهو زوج فاطمة بنت أبي عبد الله عليه السلام، وكانت لمحمّد بن إبراهيم بنت يُلبِسها الثياب وتجيء إلىٰ الرجل فيأخذها ويضمُّها إليه، فلمَّا تناهت إلىٰ أبي الحسن عليه السلام أمسكها بيديه ممدودتين، وقال: «إذا أتت علىٰ الجارية ستّ سنين لم يجز أن يُقبِّلها رجل ليست هي بمحرم له ولا يضمُّها إليه»[٢].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «إذا بلغت الجارية ستّ سنين فلا يُقبِّلها الغلام، والغلام لا يُقبِّل المرأة إذا جاز سبع سنين»[٣].

ملاحظة: عفَّة المظهر:

يدخل تحت هذه الجهة من العفَّة عفَّة المظهر الخارجي عموماً، فقصَّة الشعر لا بدَّ أن تكون بكيفية موافقة للمروءة، وليس فيها تشبُّهٌ بالغرب، ولا غريبة بحيث تكون ملفتة للنظر.

وعلىٰ الرجل أن لا يضع علىٰ وجهه المساحيق الخاصَّة بالنساء!

والمرأة لا تضع تلك المساحيق لأجل أن تظهر جميلة أمام الرجال الأجانب، فإنَّ المفروض أن يكون الهدف الرئيسي لتجمّل المرأة هو تجمّلها لزوجها فقط، ولا تكون كسيّارة الأُجرة يُقلِّبها كلُّ من هبَّ ودبَّ.

---

(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ٥/ ص ٥٦٤).

(٢) وسائل الشيعة للحرِّ العاملي (ج ٢٠/ ص ٢٣٠ و٢٣١).

(٣) وسائل الشيعة للحرِّ العاملي (ج ٢٠/ ص ٢٣٠).

ويدخل تحته أيضاً عفَّة الملابس، فينبغي أن تكون الملابس لائقة ومتناسبة مع العرف الإسلامي، ولا تكون مكشوفة، إن في الرجل وإن في المرأة، ولا أن تكون بحيث يكون لابسها متشبِّهاً بالغرب الكافر، ولا تكون منافية للمروءة، ولا تكون ملابس شهرة.

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «أُتي النبيُّ صلى الله عليه وآله بصبيٍّ يدعو له وله قَنازع[1]، فأبىٰ أن يدعو له، وأمر بحلق رأسه، وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بحلق شعر البطن»[2].

وعن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «أوحىٰ الله عزَّ وجلَّ إلىٰ نبيٍّ من أنبيائه: قل للمؤمنين: لا تلبسوا لباس أعدائي، ولا تطعموا طعام أعدائي، ولا تسلكوا مسالك أعدائي؛ فتكونوا أعدائي كما هم أعدائي»[3].

ولذلك حَكَمَ الفقهاء بأنَّه (يحرم لبس لباس الشهرة، وهو اللباس الذي يُظهِر المؤمن في شنعة وقباحة وفظاعة عند الناس، لحرمة هتك المؤمن نفسه وإذلاله إيّاها)[4].

* * *

(١) في هامش مستدرك الوسائل للميرزا النوري (ج ١/ هامش ص ٤٤٠): (وهي أن يُحلَق الرأس إلَّا قليلاً ويُترَك وسط الرأس. (مجمع البحرين: ج ٤/ ص ٣٧٩)).

(٢) الكافي للشيخ الكليني (ج ٦/ ص ٤٠/ باب كراهية القَنازع/ ح ٣).

(٣) علل الشرائع للشيخ الصدوق (ج ٢/ ص ٣٤٨/ باب ٥٧/ ح ٦).

(٤) موقع السيِّد السيستاني (https://www.sistani.org/arabic/qa/02169).

المفردة الثانية عشرة:

الاستخفاف والتهاون بالكذب

- **الخطر**: فقدان الثقة بين الناس.
- **الأثر**: فتح أبواب الشرور.
- **التوصية**: كن صادقاً مع ربِّك ونفسك لتكون صادقاً مع الناس.

كثيرة هي الصفات التي يجب أن تتوفَّر في المؤمن، والتي تكشف عن إيمانه ودرجته الكمالية، وقد سطرتها الآيات الكريمة والروايات الشريفة. وفي المقابل، هناك العديد من الصفات التي تُخرج المرء عن صفة الإيمان، أو تزاحم الإيمان وتُبعِده ولو قليلاً عن الإنسان.

هناك صفات لها القابلية علىٰ أن تزيل الإيمان بمقدار وقوعها، ثمّ إذا زالت رجع الإيمان، فعن صباح بن سيابة، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فقال له محمّد بن عبده: يزني الزاني وهو مؤمن؟ قال: «لا، إذا كان علىٰ بطنها سُلِبَ الإيمان منه، فإذا قام رُدَّ عليه»، قلت: فإنَّه أراد أن يعود؟ قال: «ما أكثر ما يهمُّ أن يعود ثمّ لا يعود»[1].

وعن ابن بُكير، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام في قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا زنىٰ الرجل فارقه روح الإيمان»؟ قال: «هو قوله: ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، ذاك الذي يفارقه»[2].

ولكن الروايات الشريفة تُحذِّر جدًّا من صفة لها قابلية علىٰ هدم الإيمان من أساسه، وهي تُخرج الفرد عن الإيمان، وربَّما لا يعود إليه إلَّا بشقِّ الأنفس، تلك هي الصفة التي اعتبرتها الروايات شرٌّ من مفتاح الشرور الذي هو: (شرب الخمر)، وهي التي إذا صدرت من العبد تباعد عنه المَلَك مسيرة ميل من نُتن ما جاء به، وهي باب من أبواب

---

(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ٢/ ص ٢٨١/ باب الكبائر/ ح ١٣).

(٢) الكافي للشيخ الكليني (ج ٢/ ص ٢٨٠/ باب الكبائر/ ح ١١).

النفاق، وهي شعبة من الخيانة، وهي صفة تُنقِص الرزق وتورث الفقر، وتؤدّي إلىٰ النفاق، وتُسبِّب النسيان، إنَّها صفة (**الكذب**).

روي أنَّه قال رجل للنبيِّ الأكرم ﷺ: المؤمن يزني؟ قال: «قد يكون ذلك»، قال: المؤمن يسرق؟ قال ﷺ: «قد يكون ذلك»، قال: يا رسول الله، المؤمن يكذب؟ قال: «لا، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ١٠٥]»[1].

إنَّها صفة لو تركها العبد لانغلقت عليه كلُّ أبواب المعاصي والشرور، فقد روي أنَّه أتىٰ رسول الله ﷺ رجل فقال: إنّي رجل لا أُصلي وأنا أزني وأكذب، فمن أيِّ شيء أتوب؟ قال: «من الكذب»، فاستقبله، فعهد أن لا يكذب، فلمّا انصرف وأراد الزنا، فقال في نفسه: إن قال لي رسول الله ﷺ: هل زنيت بعدما عاهدت؟ فإن قلت: لا كذبت، وإن قلت: نعم يضربني الحدَّ. ثمّ أراد أن يتوانىٰ في الصلاة فقال: إن سألني رسول الله ﷺ منها، فإن قلت: صلَّيت كذبت، وإن قلت: لا يعاقبني، فتاب من الثلاثة[2].

وهي أيضاً صفة تهاون الناس فيها، وبنىٰ كثير منهم حياته الأُسرية أو التجارية أو الوظيفية عليها، حتَّىٰ نجد أنَّ الأب يكذب علىٰ ولده، فيعده ولا يفي له، والمرأة تكذب علىٰ زوجها، فتخرج من دون إذنه، والبائع يحلف كاذباً، وطالب الحاجة يكذب ويكذب حتَّىٰ يصل إلىٰ مبتغاه...

---

(١) الدعوات لقطب الدِّين الراوندي (ص ١١٨/ ح ٢٧٥).

(٢) مستدرك الوسائل للميرزا النوري (ج ٩/ ص ٨٩/ باب تحريم الكذب/ ح ١٠٣٠٤/ ٢٨)؛ وجامع أحاديث الشيعة للسيِّد البروجردي (ج ١٣/ ص ٥٦٦).

إنَّها حالات يعيشها كثير من الناس، وحتَّىٰ تكون الصورة واضحة نذكر بعضاً من الصُّوَر البشعة للكذب ضمن النقاط التالية، لنكون علىٰ بيِّنة منها، ونعمل علىٰ اجتنابها بعون الله تعالىٰ وتوفيقه:

النقطة الأولى: الكذب بالإخبار:

فمثلاً تسأله عن حالته المادّية فيقول: أنا لا أملك حتَّىٰ قوت يومي!

أو تسأله: هل أنت في البيت؟ فيقول لك: أنا في القطب الشمالي!

وثالث تسأله عن حاجة تريد أن تستعيرها منه فيحلف لك أنَّها كُسِرَت!

ورابع يحلف أنَّه اشترىٰ سلعته بكذا مبلغ وهو لم يربح عليها إلَّا دريهمات قليلة!

وخامس وسادس وعاشر وألف...

أنا متأكِّد أنَّ الكثير منّا قد واجه مثل هذه الحالات أو غيرها، وهي حالات متفشِّية في المجتمع، ولا نجد من ينهىٰ عنها إلَّا كمطر الصحراء في القيظ.

علىٰ المرء أن يكون حذراً من الكذب في إخباره، فإنَّه يمحق الدِّين.

عن أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام، قال: «إنَّ الكذب يهدي إلىٰ الفجور، والفجور يهدي إلىٰ النار، وما يزال أحدكم يكذب حتَّىٰ يقال: كذب وفجر، وما يزال أحدكم يكذب حتَّىٰ لا يبقىٰ في قلبه موضع إبرة صدق، فيُسمّىٰ عند الله كذّاباً»[1].

---

(١) أمالي الشيخ الصدوق (ص ٥٠٥/ ح ٦٩٦/ ٩).

النقطة الثانية: خُلف الوعد:

عادة سيِّئة، يمقتها الجميع، ولكن قد يبتلي بها الكثير مع الأسف.

هناك رجل يخرج صباحاً إلىٰ عمله، سيتعلَّق به ولده يريده أن يأخذه معه، فيعده بأنَّه إذا بقي سيجلب له كرة قدم أو لعبة يُحِبُّها، ويرجع الولد بخُفَّي حُنين! فلا يرىٰ من أبيه إلَّا الكذب وخُلف الوعد.

قد يعد رجل صاحبه بأنَّه سيزوره في بيته إذا وصل إلىٰ المدينة التي يسكنها، ولكنَّه سيمرُّ علىٰ بيته وكأنَّ شيئاً لم يكن.

المرأة وحتَّىٰ تُسكت ولدها تقول له: دعني أنم قليلاً وعندما أستيقظ سأُعطيك حلوىٰ! وتنام وتستيقظ، والولد يغفو علىٰ زيف الوعود المداف في عسل الكلام!

عن عبد الله بن عامر أنَّه قال: أتانا رسول الله (صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلَّم) في بيتنا وأنا صبيٌّ، قال: فذهبت أخرج لألعب، فقالت أُمّي: يا عبد الله، تعالَ أُعطك. فقال رسول الله (صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلَّم): «وما أردتِ أن تُعطيه؟»، قالت: أُعطيه تمراً، قال: فقال رسول الله (صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلَّم): «أمَا إنَّك لو لم تفعلي كُتِبَت عليكِ كذبة»[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أحبُّوا الصبيان وارحموهم، وإذا وعدتموهم شيئاً ففوا لهم، فإنَّهم لا يدرون إلَّا أنَّكم ترزقونهم»[2].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «المنع الجميل أحسن من الوعد الطويل»..

---

(١) مسند أحمد بن حنبل (ج ٣/ ص ٤٤٧).

(٢) الكافي للشيخ الكليني (ج ٦/ ص ٤٩/ باب برّ الأولاد/ ح ٣).

وعنه عليه السلام: «ملاك الوعد إنجازه».

وعنه عليه السلام: «لا تعد بما تعجز عن الوفاء به».

وعنه عليه السلام: «لا تعدنَّ عِدة لا تثق من نفسك بإنجازها»[١].

النقطة الثالثة: اليمين الغموس:

فُسِّر اليمين الغموس بتفسيرين:

الأوَّل: اليمين الكاذبة في مقام فصل الدعوىٰ[٢].

الثاني: القسم كاذباً علىٰ شيء مضىٰ أو الإخبار بشيء في الحال، كأن يقول: والله لقد فعلت كذا، مع أنَّه لم يفعله، أو يقول: أُقسم بالله أنَّ المال الفلاني هو لي، مع أنَّه يعلم أنه ليس ماله. وقد سُمّي هذا القسم في الروايات باليمين الغموس، أي اليمين التي تأخذ صاحبها إلىٰ جهنَّم، وتُسمّىٰ أيضاً: اليمين الكاذبة، واليمين الحالقة، فكما أنَّ الشفرة تقتلع الشعر عن البدن، فهذا القسم يقتلع الدِّين عن صاحبه[٣].

قد يأخذ المرء شيئاً ليس له بيمين كاذبة، وقد يتخلَّص من موقف

---

(١) موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام للشيخ هادي النجفي (ج ١٢/ ص ٢٠٢ و٢٠٣/ ح ١٥٢٨٦ - ١٥٢٨٩).

(٢) منهاج الصالحين للسيِّد السيستاني (ج ٣/ مسألة ٦٨٣)، وتكملة المسألة: (ويُستثنىٰ منها اليمين الكاذبة التي يقصد بها الشخص دفع الظلم عنه أو عن سائر المؤمنين، بل قد تجب فيما إذا كان الظالم يُهدِّد نفسه أو عِرضه أو نفس مؤمن آخر أو عِرضه، ولكن إذا كان ملتفتاً إلىٰ إمكان التورية وكان عارفاً بها ومتيسِّرة له فالأحوط وجوباً أن يُورّي في كلامه بأن يقصد بالكلام معنىً غير معناه الظاهر بدون قرينة موضِّحة لقصده، فمثلاً إذا حاول الظالم الاعتداء علىٰ مؤمن فسأله عن مكانه وأين هو؟ يقول: (ما رايته)، فيما إذا كان قد رآه قبل ساعة ويقصد به أنَّه لم يرَه منذ دقائق).

(٣) الذنوب الكبيرة للسيِّد عبد الحسين دستغيب (ج ١/ ص ٢٦١).

محرج بها، وقد يُمرِّر خديعة علىٰ مغفَّل بها، وقد يُثبِّت قوله من دون دليل بها، ولكنَّه لا يعلم أنَّه بذلك يخسر دينه وإيمانه!

روي عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «من حلف علىٰ يمين وهو يعلم أنَّه كاذب فقد بارز الله بالمحاربة، وإنَّ اليمين الكاذبة تذر الديار بلاقع من أهلها، وتورث الفقر في العقب، وإنَّه لا يعرف عظمة الله من يحلف به كاذباً»[(١)].

روي أنَّه اختصم امرؤ القيس ورجل من حضرموت إلىٰ رسول الله ﷺ في أرض فقال: «ألك بيِّنة؟»، قال: لا، قال: «فيمينه؟»، قال: إذاً والله يذهب بأرضي! قال: «إن ذهب بأرضك بيمينه، كان ممَّن لا ينظر الله إليه يوم القيامة ولا يُزكِّيه وله عذاب أليم»، قال: ففزع الرجل وردَّها إليه[(٢)].

فابتعد عن اليمين، صادقه وكاذبه، فإنَّ الله تعالىٰ يقول: ﴿وَلا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لِأَيْمانِكُمْ﴾ (البقرة: ٢٢٤).

هذا وقد ورد الثواب العظيم علىٰ ترك اليمين حتَّىٰ إذا أمكن استنقاذ الحقِّ به وهو صادق فيه، فقد روي عن أبي بصير، قال: حدَّثني أبو جعفر عليه السلام «أنَّ أباه كان تحته امرأة من الخوارج أظنُّها كانت من بني حنيفة، فقال له مولىٰ له: يا ابن رسول الله، إنَّ عندك امرأة تتبرَّأ من جدِّك، قال: فعقر، فعلمت أنَّه طالقها، فادَّعت عليه صداقها، فجاءت به إلىٰ أمير المدينة تستعديه عليه، فقالت: لي عليه صداقي أربعمائة دينار، فقال الوالي: ألكِ بيِّنة؟ فقالت: لا، ولكن خذ يمينه. فقال والي المدينة: يا

---

(١) بحار الأنوار للعلَّامة المجلسي (ج ١٠١/ ص ٢٨٣).

(٢) أمالي الشيخ الطوسي (ص ٣٥٨/ ح ٧٤٤/ ٨٤).

عليَّ، إمَّا أن تحلف وإمَّا أن تعطيها. فقال لي: يا بُنَيَّ، قم فأعطها أربعمائة دينار، فقلت: يا أبه جُعلت فداك ألستَ محقًّا؟ فقال: بلىٰ يا بُنَيَّ، ولكنّي أجللت الله أن أحلف به يمين صبر»(١).

وهكذا ورد الفضل علىٰ من يترك استحلاف غريمه إذا علم أنَّه يحلف ولو كاذباً، فقد روي عن النبيِّ ﷺ: «من قدَّم غريماً إلىٰ السلطان يستحلفه، وهو يعلم أنَّه يحلف، ثمّ تركه تعظيماً لله ﷻ، لم يرضَ الله له بمنزلة يوم القيامة إلَّا منزلة إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام»(٢).

النقطة الرابعة: الكذبة البيضاء أو الكذيبة(٣):

يشتهي البعض أن يُقسِّم الكذب إلىٰ كذب أبيض وآخر أسود، وأنَّ الكذبة البيضاء لا ضير فيها، وقد يُقسِّمه إلىٰ كذب وكُذيبة، والكُذيبة لا ضير فيها، مستنداً في ذلك إلىٰ أنَّ بعض الكلمات التي تصدر كذباً ليس وراءها ضرر، أو أنَّه كذب عفواً ومن دون قصد، أو أنَّه تعود الكذب في حالة ما، وما شابه هذه الأعذار. ويدخل ضمن هذا السياق ما يُسمّىٰ بـ (**كذبة نيسان**)، التي يُروِّج لها الإعلام كلَّ عام، ومن دون مبرِّر عقلائي سوىٰ تقليد الغرب في تلك الكذبة!

ولكنَّه تقسيم تبرُّعي لا تشهد له آية ولا رواية، وعموم أدلَّة تحريم الكذب يشمل ما يُسمّىٰ بالكذبة البيضاء أو الكُذيبة.

روي عن أسماء بنت عميس أنَّها قالت: كنت صاحبة عائشة التي هيَّأتها وأدخلتها علىٰ رسول الله (صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلَّم) ومعي

---

(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ٧/ ص ٤٣٥/ باب كراهية اليمين/ ح ٥).

(٢) ثواب الأعمال للشيخ الصدوق (ص ١٣٠).

(٣) قطاف شهر رمضان للمؤلِّف (ص ٦٠).

نسوة، قالت: فوَالله ما وجدنا عنده قرىٰ إلَّا قدحاً من لبن، قالت: فشرب ثمّ ناوله عائشة، فاستحيت الجارية، فقلنا: لا تردّي يدَّ رسول الله (صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلَّم) خذي منه، فأخذته علىٰ حياء، فشربت منه، ثمّ قال: «ناولي صواحبكِ»، فقلنا: لا نشتهيه، فقال: «لا تجمعنَّ جوعاً وكذباً»، قالت: فقلت: يا رسول الله، إن قالت إحدانا لشيء تشتهيه: لا أشتهيه يُعَدُّ ذلك كذّاباً؟ قال: «إنَّ الكذب ليُكتَب كذباً حتَّىٰ تُكتَب الكُذيبة كُذيبة»[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنَّه أتاه مولىٰ له فسلَّم عليه ومعه ابنه إسماعيل فسلَّم عليه وجلس، فلمَّا انصرف أبو عبد الله عليه السلام انصرف معه الرجل، فلمَّا انتهىٰ أبو عبد الله عليه السلام إلىٰ باب داره دخل وترك الرجل، وقال له ابنه إسماعيل: يا أبه، ألَا كنت عرضت عليه الدخول؟ فقال: «لم يكن من شأني إدخاله»، قال: فهو لم يكن يدخل، قال: «يا بُنَيَّ، إنّي أكره أن يكتبني الله عرّاضاً»[٢].

ملحق: موارد جواز الكذب:

ينبغي أن نُنبِّه هنا إلىٰ أنَّ الكذب وإن كان قبيحاً، ولكن الإسلام جوَّز للمرء أن يكذب في حالات خاصَّة، تكون عاقبة الكذب فيها خيراً لا شرًّا. وهذه الحالات هي: (دفع الضرر عن نفسه أو عن المؤمن، بل يجوز الحلف كاذباً، ويجوز الكذب أيضاً للإصلاح بين المؤمنين، والأحوط وجوباً الاقتصار فيها علىٰ صورة عدم تيسُّر التورية)[٣].

---

(١) مسند أحمد بن حنبل (ج ٦/ ص ٤٣٨).

(٢) المحاسن لأحمد بن محمّد بن خالد البرقي (ج ٢/ ص ٤١٧/ ح ١٨٠).

(٣) موقع استفتاءات السيِّد السيستاني (https://www.sistani.org/arabic/qa/0653).

روي عن رسول الله ﷺ في حديث أنَّه قال: «والكذب كلُّه إثم، إلَّا ما نفعتَ به مؤمناً، أو دفعتَ به عن دِين»[١].

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: «الكذب مذموم إلَّا في أمرين: دفع شرِّ الظلمة، وإصلاح ذات البين»[٢].



(١) مستدرك الوسائل للميرزا النوري (ج ٩/ ص ٩٥ و٩٦/ باب جواز الكذب في الإصلاح.../ ح ١٠٣٢٢/ ٧).

(٢) مستدرك الوسائل للميرزا النوري (ج ٩/ ص ٩٥ و٩٦/ باب جواز الكذب في الإصلاح.../ ح ١٠٣٢٣/ ٨).

المفردة الثالثة عشرة:

الاستخفاف والتهاون

بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

- **الخطر**: الانفلات الفردي والاجتماعي.
- **الأثر**: ولاية الأشرار، وعدم استجابة الدعاء.
- **التوصية**: إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يُنقِصان من رزق ولا يُدنِيان من أجل.

متعدِّدة هي الركائز التي استند إليها الإسلام، والتي جعلت منه الدِّين الخاتم، وجعلت المسلمين خير الأُمَم، ولكن مهما عظمت تلك الركائز فلا أعظم من ركيزة ومبدأ (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، إذ اعتبره القرآن الكريم مبدأً مقدَّماً علىٰ مبدأ (الإيمان)، قال تعالىٰ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ (آل عمران: ١١٠).

كيف لا، وإنَّما الطريق إلىٰ الإيمان هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟!

وهل بدأ الإسلام إلَّا به، ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ (الشعراء: ٢١٤)؟

وهل نُشِرَ الإسلام إلَّا به، «أُمرت أن أُقاتل الناس حتَّىٰ يقولوا: لا إله إلَّا الله، فإذا قالوها فقد حرم عليَّ دماؤهم وأموالهم»[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «وَمَا أَعْمَالُ الْبِرِّ كُلُّهَا والْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله عِنْدَ الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ والنَّهْيِ عَنْ المُنْكَرِ إِلَّا كَنَفْثَةٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ، وَإِنَّ الأَمْرَ بِالمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ لَا يُقَرِّبَانِ مِنْ أَجَلٍ، وَلَا يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ، وَأَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّه كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ إِمَامٍ جَائِرٍ»[2].

---

(١) بحار الأنوار للعلَّامة المجلسي (ج ٦٥/ ص ٢٤٢): عن عليٍّ عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله...

(٢) نهج البلاغة (ج ٤/ ص ٨٩ و٩٠).

وروي عنه عليه السلام أنّه قال: «قوام الشريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقام الحدود»[1].

هذا، ولكن اليوم - وربّما منذ الأمس - نجد أنّ الكثير من الناس تركوا هذا المبدأ وكأنّه لم يُولَد، فتجد أنّ كثيراً من الحالات تمرُّ علىٰ المرء وهي تستدعي منه موقفاً للأمر بالمعروف أو للنهي عن المنكر، ولكن لا مجيب.

هل امتنعت عن تقبيل زوجة عمِّك أو زوجة خالك رغم أنّها تعتبرك كابنها وسيُحزنها عدم تقبيلك وسوف يعتبرونك آنذاك (معقَّداً)؟!

هل أخذ أحدهم عندك غيبة فلم تنهه عن الغيبة باعتبار أنّه صديقك وأنت خجول؟!

هل صعدت في سيّارة أحدهم وكان أن جاملك وأخذ منك أُجرة قليلة وسامحك في الباقي وقد فتح الراديو أو المسجّل علىٰ أُغنية أو موسيقىٰ محرَّمة فاستحييت أن تقول له: أطفئ المذياع؟!

هل جاءك ضيف عزيز قد اشتقت إلىٰ رؤيته، وكان قد جلب معه الهدايا للأطفال، ولم ينسَ زوجتك بثوب جميل، ولم يدعك تنتظر كثيراً حتّىٰ أخرج لك هديتك الخاصَّة، وأثناء ما أنت منشغل بغمرة السرور وبهجة الهدايا وإذا بـ (هاتفه المحمول) يرنُّ هاتفاً بصوت أحد المغنّين أو المغنّيات؟! فماذا فعلت حينها؟

وهل مررتَ يوماً في شارع فرأيت صِبْية متوحِّشين قد اجتمعوا علىٰ افتراس صبيٍّ وديع لا يستطيع أن يدفع الضيم عن نفسه، وكانت

(١) عيون الحِكَم والمواعظ لعليِّ بن محمّد الليثي الواسطي (ص ٣٧٠).

نصـرته متوقِّفـة علىٰ أن تتنـازل قلـيلاً عـن هيبتـك ووقـارك وربَّـما سيسـقط بعـض ردائـك أو ربَّـما ستضطـرُّ إلىٰ الـتخلّي عـن منظـرك الجذّاب ولـربَّما تعرَّض حذاؤك للأوساخ رغم أنَّـك قـد قمت بتلميعه قبل قليل؟! ماذا فعلتَ حينها؟!

وهل وهل وهل...

إنَّها حالات لا تُعَدُّ، ويصعب إحصاؤها، تُوجِب علينا إقامة هذا المبدأ. ولكن - وللأسف - مات هذا المبدأ في قلوب الكثيرين إلَّا من قليلٍ منهم.

خطر ترك هذه الفريضة:

ربَّما يسهل علىٰ البعض التهاون بهذه الفريضة، وربَّما ينام ليله مطمئنًّا مرتاح البال بأنَّه لم يؤذِ أحداً في يومه السابق أو حياته كلِّها، ولا يهمُّه أنَّه ترك أمراً إلهيًّا، والحال أنَّ ترك هذا المبدأ له آثار وخيمة علىٰ الفرد والمجتمع، وقد ذكرت الروايات الشريفة عدَّة آثار سلبية علىٰ تركه، ويكفي أنَّ تركه هو مبدأ كلِّ الويلات علىٰ المجتمع، فقد روي عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله (صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلَّم): «إنَّ أوَّل ما دخل النقص علىٰ بني إسرائيل كان الرجل يلقىٰ الرجل فيقول: يا هذا اتَّق الله ودع ما تصنع فإنَّه لا يحلُّ لك، ثمّ يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلـمَّا فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض...»[1].

ومن تلك الآثار هي التالي:

---

(١) كنز العُمّال للمتَّقي الهندي (ج ٣/ ص ٦٧/ ح ٥٥٢٧)؛ وسنن أبي داود (ج ٢/ ص ٣٢٢).

١ - تسلُّط الأشرار.

٢ - عدم استجابة الدعاء.

٣ - نزول العذاب واللعن الإلهي.

٤ - اختلاف القلوب وعدم انسجامها.

٥ - ذهاب البركة.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «لَا تَتْرُكُوا الأَمْرَ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ فَيُوَلَّىٰ عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ...»[1].

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يزال الناس بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا علىٰ البرِّ، فإذا لم يفعلوا ذلك نُزِعَت منهم البركات، وسُلِّط بعضهم علىٰ بعض، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء»[2].

وعنه صلى الله عليه وآله: «ولقد أوحىٰ الله فيما مضىٰ قبلكم إلىٰ جبرئيل، وأمره أن يخسف ببلد يشتمل علىٰ الكفّار والفجّار! فقال جبرئيل: يا ربِّ، أخسف بهم إلَّا بفلان الزاهد؟ ليعرف ماذا يأمر الله به. فقال الله عزَّ وجلَّ: بل اخسف بفلان قبلهم، فسأل ربَّه، فقال: يا ربِّ، عرِّفني لِمَ ذلك وهو زاهد عابد؟ قال: مكَّنت له وأقدرته، فهو لا يأمر بالمعروف، ولا ينهىٰ عن المنكر، وكان يتوفَّر علىٰ حبِّهم في غضبي لهم»، فقالوا: يا رسول الله، وكيف بنا ونحن لا نقدر علىٰ إنكار ما نشاهده من منكر؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لتأمرُنَّ بالمعروف ولتنهُنَّ عن المنكر، أو ليعُمَّنَّكم

---

(١) نهج البلاغة (ج ٣/ ص ٧٧).

(٢) تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي (ج ٦/ ص ١٨١/ باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر/ ح ٣٧٣/ ٢٢).

عقاب الله»، ثمّ قال: «من رأىٰ منكم منكراً فليُنكره بيده إن استطاع، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، فحسبُه أن يعلم اللهُ من قلبه أنَّه لذلك كاره»[١].

اعتذارات واهية:

واضح أنَّ الدِّين الإسلامي عندما أمر بإقامة هذه الفريضة فإنَّه جعلها ضمن إطار محدَّد إذا توفَّر وجب إقامتها، وهو ما ذكره الفقهاء في رسائلهم العملية في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٢].

---

(١) التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام (ص ٤٨٠/ في ذمِّ ترك الأمر بالمعروف/ ح٣٠٧).

(٢) لإتمام الفائدة أنقل هنا ما جاء في منهاج الصالحين للسيِّد السيستاني (ج ١/ ص ٤٦٤ - ٤٦٦)، ونصُّه:

(يُشتَرَط في وجوب الأمر بالمعروف الواجب، وفي النهي عن المنكر أُمور:

الأوَّل: معرفة المعروف والمنكر ولو إجمالاً، فلا يجب الأمر بالمعروف علىٰ الجاهل بالمعروف، كما لا يجب النهي عن المنكر علىٰ الجاهل بالمنكر، نعم، قد يجب التعلُّم مقدّمة للأمر بالأوَّل والنهي عن الثاني.

الثاني: احتمال ائتمار المأمور بالمعروف بالأمر، وانتهاء المنهي عن المنكر بالنهي، فإذا لم يحتمل ذلك وعلم أنَّه لا يبالي بالأمر أو النهي ولا يكترث بهما، فالمشهور بين الفقهاء (رضوان الله تعالى عليهم) أنَّه لا يجب عليه شيء تجاهه، ولكن لا يُترَك الاحتياط بإظهار الكراهة فعلاً أو قولاً ولو مع عدم احتمال الارتداع به.

الثالث: أن يكون تارك المعروف أو فاعل المنكر بصدد الاستمرار في ترك المعروف وارتكاب المنكر، فإذا كانت أمارة علىٰ ارتداع العاصي عن عصيانه لم يجب شيء، بل لا يجب بمجرَّد احتمال ذلك احتمالاً معتدًّا به، فمن ترك واجباً أو فعل حراماً واحتمل كونه منصرفاً عنه أو نادماً عليه لم يجب شيء تجاهه. ولو عرف من الشخص عزمه علىٰ ارتكاب المنكر أو ترك المعروف ولو لمرَّة واحدة، وجب أمره أو نهيه قبل ذلك.

⇦

ولكن ربَّما تمسَّك بعضٌ من الناس ببعض الأعذار التي توهَّموا أنَّها تُبيح لهم ترك هذه الفريضة، وهي في الحقيقة ليست كذلك، نذكر منها عذرين يدوران علىٰ ألسنة البعض:

العذر الأوَّل[1]: أنَّ تغيير الآخر أمر مستحيل، خصوصاً إذا تعوَّد أمراً ما.

في يوم من الأيّام بعث الرسولُ الأكرم ﷺ أميرَ المؤمنين عليه السلام إلىٰ

⇦ **الرابع**: أن يكون المعروف والمنكر منجَّزاً في حقِّ الفاعل، فإن كان معذوراً في فعله المنكر أو تركه المعروف لاعتقاد أنَّ ما فعله مباح وليس بحرام، أو أنَّ ما تركه ليس بواجب، وكان معذوراً في ذلك للاشتباه في الموضوع أو الحكم اجتهاداً أو تقليداً لم يجب شيء تجاهه، وكذا إذا لم يكن معذوراً في فعله في بعض الموارد كما إذا عجز عن الجمع بين امتثال تكليفين بسوء اختياره وصرف قدرته في امتثال الأهمّ منهما، فإنَّه لا يكون معذوراً في ترك المهمِّ وإن كانت وظيفته عقلاً الإتيان بالأهمِّ انتخاباً لأخفِّ القبيحين بل والمحرَّمين.

هذا ولو كان المنكر ممَّا لا يرضىٰ الشارع بوجوده مطلقاً كالإفساد في الأرض وقتل النفس المحترمة ونحو ذلك فلا بدَّ من الردع عنه ولو لم يكن المباشر مكلَّفاً فضلاً عمَّا إذا كان جاهلاً بالموضوع أو بالحكم.

الخامس: أن لا يلزم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضرر علىٰ الآمر في نفسه أو عِرضه أو ماله بالمقدار المعتدِّ به، وكذا لا يلزم منه وقوعه في حرج لا يتحمَّله عادة، فإذا لزم الضرر أو الحرج لم يجب عليه ذلك إلَّا إذا أحرز كونه بمثابة من الأهمّية عند الشارع المقدَّس يهون دونه تحمُّل الضرر أو الحرج. ولا فرق فيما ذُكِرَ بين العلم بلزوم الضرر أو الظنِّ به أو الاحتمال المعتدِّ به عند العقلاء الموجب لصدق الخوف.

وإذا كان في الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر خوف الإضرار ببعض المسلمين في نفسه أو عِرضه أو ماله المعتدِّ به سقط وجوبه، نعم إذا كان المعروف والمنكر من الأُمور المهمَّة شرعاً فلا بدَّ من الموازنة بين الجانبين بلحاظ قوَّة الاحتمال وأهمّية المحتمل، فربَّما لا يُحكَم بسقوط الوجوب به.

(١) راجع: الهدىٰ والضلال في القرآن الكريم للمؤلِّف (ص ١١٨ - ١٢٤)، ونقلته هنا أيضاً لأهمّيته.

اليمن، فقال له آنذاك: «يا عليُّ، لا تقاتلن أحداً حتَّىٰ تدعوه، وأيم الله، لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك ممَّا طلعت عليه الشمس وغربت، ولك ولاؤه يا عليُّ»[١].

لا يحتاج أحد بعد سماع هذا الحديث والأحاديث السابقة أن يتساءل عن عظمة ثواب هداية الناس، ولكن المشكلة تكمن في دعوىٰ، يُطبِّل لها البعض بأفعالهم وأقوالهم، إذ يقولون: إنَّ الأخلاق والطباع والعقائد غير قابلة للتغيير، فمن كانت ذاته ملوَّثة في الأصل يكون مجبولاً علىٰ الشرِّ، فهو يُولَد شرّيراً ويبقىٰ شرّيراً، ولسان حاله يقول:

إذا كان الطباعُ طباعَ سوءٍ   فلا أدبٌ يفيدُ ولا أديبُ[٢]

وأنت إذا تأمَّلت في هذه المقولة لوجدتها تدعو بصراحة إلىٰ توقيف وإلغاء مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإلىٰ إلغاء مبدأ التناصح بين المؤمنين، وتدعو إلىٰ مبدأ (عيسىٰ بدينه وموسىٰ بدينه) كما يُعبِّر العرف العامُّ!

وهذه الدعوة تلغي أهمَّ هدف من أهداف البعثات السماوية للأنبياء والمرسَلين، وهي هداية الناس المنحرفين وإرجاعهم إلىٰ طريق القويم.

أدلَّة إمكان التغيير:

وعلىٰ كلِّ حالٍ فهذه الشبهة باطلة، وهناك الكثير من الأدلَّة علىٰ إمكانية التغيير، نذكر منها:

---

(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ٥/ ص ٢٨/ باب وصيَّة رسول الله ﷺ.../ ح ٤).

(٢) راجع: المستطرف في كلِّ فنٍّ مستظرف للأبشيهي (ج ١/ ص ٣٤٥).

١ - لقد بات واضحاً أنَّ الإنسان استطاع بطريقة وبأُخرىٰ ترويض الحيوانات الوحشية لتطيع أوامره ولتؤدّي أعمالاً هي غاية في الأُلفة والسلام، بحيث إنَّها بعيدة جدًّا عن التصرُّفات التي جُبِلَت عليها تلك الحيوانات.

أفهل الحيوان عديم العقل أفضل حالاً من الإنسان صاحب جوهرة العقل الملكوتية؟!

وأكثر من ذلك، نجد الإنسان قد عالج بعض النباتات المثمرة بعملية تُسمّىٰ علمياً بالتطعيم، لينتج شجرة من نوع جديد تُعطي ثمراً يختلف عن ثمرة الشجرة الأصل! أفلا يكون قادراً علىٰ تغيير الإنسان من الأسوأ إلىٰ الأحسن؟!

٢ - إنَّ التاريخ والواقع شاهدان علىٰ أنَّ كثيراً من الأفراد الذين كانوا لا يرعون إلَّا ولا ذمَّةً، عتاة مردة، لا يعيرون للأخلاق أيَّ أهمّية، وإذا بهم وعلىٰ إثر حادث ما تنقلب أحوالهم ليكونوا من الزُهّاد والعُبّاد، وليس بعيداً عنك قصَّة بشر الحافي، ولا توبة الفضيل بن عياض، ولا أوبة مالك بن دينار.

وقَصص التوّابين أكثر من أن يُذكر لها شاهد واحد.

وهذا إن دلَّ علىٰ شيء، فإنَّما يدلُّ علىٰ إمكانية تغيير الأخلاق، إذ الوقوع أدلُّ دليل علىٰ الإمكان.

٣ - إنَّ من أهمِّ أهداف الأنبياء هي تزكية أخلاق الناس وهدايتهم، ولو كانت الأخلاق لا تتغيَّر، فهل تتوقَّع من الله تعالىٰ - وهو الحكيم - أن يُرسِل الأنبياء عبثاً لتغيير أخلاق الناس؟! حاشا وكلَّا.

وما حال العرب قبل مجيء النبيِّ الأكرم ﷺ وتغيُّره إلىٰ ما بعد

مجيئه ﷺ إلَّا دليل علىٰ ذلك. وما ألطف ما تكلَّم به جعفر بن أبي طالب (رضوان الله تعالىٰ عليه) مع مَلِك الحبشة في ذلك، حيث قال له:

(أيُّها الملك، كنّا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل القويُّ منّا الضعيفَ، فكنّا علىٰ ذلك حتَّىٰ بعث الله إلينا رسولاً منّا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلىٰ الله لنُوحِّده ونعبده، ونخلع ما كنّا نحن نعبد وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكفِّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نُشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام...، فصدَّقناه، وآمنا به، واتَّبعناه علىٰ ما جاء به، فعبدنا الله وحده فلم نُشرك به شيئاً، وحرَّمنا ما حرَّم علينا، وأحللنا ما أحلَّ لنا)[1].

وهذا ما بيَّنته الزهراء عليها السلام في خطبتها حيث قالت: «... وكنتم علىٰ شفا حفرة من النار، مذقة[2] الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام، تشربون الطرق[3]، وتقتاتون القدَّ[4]، أذلَّة خاسئين، تخافون أن يتخطَّفكم الناس من حولكم...»[5].

٤ - هناك الكثير من الآيات القرآنية الدالَّة علىٰ أنَّ الإنسان قادر علىٰ تغيير خصاله واختيار الأخلاق الحسنة، يقول تعالىٰ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا

---

(١) مسند أحمد بن حنبل (ج ١/ ص ٢٠٢).

(٢) المذقة: اللبن الممزوج بالماء، كناية عن سهولة شربه.

(٣) الطرق: الماء الذي خوَّضته الإبل وبركت فيه.

(٤) القدُّ: قطعة جلد غير مدبوغة.

(٥) الاحتجاج للطبرسي (ج ١/ ١٣٥ و١٣٦).

سَوَّاها ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها ﴿٩﴾ وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها ﴿١٠﴾﴾ (الشمس: ٧ - ١٠).

(... فالتعبير بكلمة ﴿دَسَّاها﴾ والتي هي في الأصل بمعنىٰ خلط الشيء بشيء آخر غير مرغوب فيه من غير جنسه، مثل دسِّ الحنطة بالتراب، يُبيِّن لنا أنَّ الطبيعة الإنسانية مجبولة علىٰ الصفاء والنقاوة والتقوىٰ، والتلويث والرذائل تعرض عليها من الخارج وتنفذ إليها، والاثنان قابلان للتغيير والتبدُّل...)[1].

٥ - الروايات الكثيرة الدالَّة علىٰ إمكانية تغيير الأخلاق، كقول النبيِّ الأكرم ﷺ: «إنَّما بُعثت لأُتمِّم مكارم الأخلاق»[2]، وقوله لجرير بن عبد الله: «إنَّك امرؤٌ قد أحسن الله خَلْقك فأحسن خُلُقك»[3].

العذر الثاني: أنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يُسبِّب في حالات كثيرة إحراج الآخر وإدخال الحزن علىٰ قلبه، وقد يُؤدّي إلىٰ قطع العلاقات الاجتماعية والتنفُّر من القائم به، فإنَّ الناس يبغضون الذي يُنغِّص عليهم عيشتهم، وهو يُعتَبر تدخُّلاً في الأُمور الشخصية، وهو ما لا يرضاه أيُّ أحد، والإسلام لا يرضىٰ بذلك.

عجباً، ما أكثر من يحفظ شيئاً وتغيب عنه أشياء كثيرة.

ومتىٰ كان تصحيح مسار الآخر إحراجاً له؟!

ومتىٰ كان العمل علىٰ بناء الآخر هدماً للعلاقة معه؟!

ومتىٰ كان إرشاد التائه تدخُّلاً في أُموره الشخصية غير المسموح به؟!

---

(١) الأخلاق في القرآن للشيخ ناصر مكارم الشيرازي (ج ١/ ص ٢٥).

(٢) مكارم الأخلاق للطبرسي (ص ٨)؛ وبحار الأنوار للعلَّامة المجلسي (ج ١٦/ ص ٢١٠).

(٣) تنبيه الخواطر (مجموعة ورّام) (ص ٩٨).

إنَّ الإسلام لم يغفل عن الحالة النفسية المقابل، بل أمر الفرد الآمر بالمعروف أن يتقصّىٰ الطُّرُق المناسبة واللبقة مع المقابل، وأدبيات الأحاديث الشريفة ذكرت عدَّة أُطر لا بدَّ أن تُؤطَّر بها تلك الفريضة، كأُطُر أخلاقية تزيد من احتمالية التأثير، وتُقلِّل من نسبة المقاومة السلبية للموعظة، وأهمُّ تلك الأُطُر هي:

أوَّلاً: الرفق بالآخر[1]:

إنَّ من أهمِّ الصفات الأخلاقية التي ينبغي للمؤمن أن يلتزم بها هي صفة الرفق، تلك الصفة التي تجذب الآخر رغم أنَّك تقرعه علىٰ خطئه لكن برفق، وتلك التي تجعل حتَّىٰ العدوّ يعترف لك بالفضيلة إذا كنت رفيقاً به في ساعة العسرة.

إنَّها من أهمّ الصفات التي علينا التزامها إذا ما أردنا أن نعظ غيرنا بموعظة، أو ننهاه عن خطأ يمارسه، أو عن سلوك سلبي يقوم به.

تخيَّل لو رأيت شخصاً لم يقم للصلاة، وجئت له وقلت له: يا كافر، يا فاجر، أنت من كلاب جهنَّم، أنت أشبه باليهود والنصارىٰ، أنت أنجس من الخنزير...

يا لله، لا أستطيع أن أتصوَّر ردَّة الفعل التي سيواجهك بها، وأعتقد أنَّه سيرحمك كثيراً إذا اكتفىٰ منك بضربة كفٍّ مضمومة الأصابع كوكزة موسىٰ للقبطي!

ولكن تخيَّل معي لو جئت له وقلت: أنت تعلم يا أخي أنَّ الصلاة عمود الدِّين، إن قُبِلَت قُبِلَ ما سواها وإن رُدَّت رُدَّ ما سواها، وهي قربان كلِّ تقي، وأنا أتوسَّم فيك خيراً كثيراً، وأرىٰ ملامح التقىٰ بادية

---

(١) راجع: قطاف شهر رمضان للمؤلِّف (ص ٦٦).

علىٰ وجهك، فهلَّا قمت معي لنُصلّي هذه الركيعات التي ستجيئك نوراً يضيء لك قبرك، والتي ستعبر بك الصراط كالبرق الخاطف...

أنا متأكد أنَّه حتَّىٰ لو لم يقم ليُصلّي معك، فإنَّه سيردُّ عليك ردًّا رفيقاً، وستبقىٰ كلماتك ناقوساً يدقُّ في قلبه، وستبقىٰ محترماً وكبيراً في عينه، وسيُظهِر لك الاحترام في أيِّ مكان يراك فيه.

إذن، كما أنَّ من المهمِّ أمر الآخر بالمعروف، كذلك هو مهمٌّ الأُسلوب المناسب الذي تتَّخذه معه.

عن عبد العزيز القراطيسي، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «يا عبد العزيز، إنَّ الإيمان عشر درجات بمنزلة السُّلَّم يُصعَد منه مرقاة بعد مرقاة، فلا يقولنَّ صاحب الاثنين لصاحب الواحد: لست علىٰ شيء، حتَّىٰ ينتهي إلىٰ العاشر، فلا تُسقِط من هو دونك فيُسقِطك من هو فوقك، **وإذا رأيت من هو أسفل منك بدرجة فارفعه إليك برفق، ولا تحملنَّ عليه ما لا يطيق فتكسره، فإنَّ من كسر مؤمناً فعليه جبره**»[1].

وفي رواية أُخرىٰ: «... وكان سلمان في العاشرة، وأبو ذرٍّ في التاسعة، والمقداد في الثامنة. يا عبد العزيز، لا تُسقِط من هو دونك فيُسقِطك من هو فوقك، **إذا رأيت الذي هو دونك فقدرت أن ترفعه إلىٰ درجتك رفعاً رفيقاً فافعل، ولا تحملنَّ عليه ما لا يطيقه فتكسره، فإنَّه من كسر مؤمناً فعليه جبره، لأنَّك إذا ذهبت تحمل الفصيل حمل البازل[2] فسخته**»[3].

---

(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ٢/ ص ٤٥/ باب آخر من درجات الإيمان/ ح ٢).

(٢) الفصيل ولد الناقة أو البقر إذا فُصِلَ عن اللبن، والبازل من الإبل الذي تمَّ ثماني سنين ودخل في التاسعة. (من المصدر).

(٣) الخصال للشيخ الصدوق (ص ٤٤٨/ ح ٤٩).

نعم، لا نُنكر أنَّ الإسلام أمرنا أن نلقىٰ أصحاب المعاصي بوجوه مكفهرَّة، ولكن من الواضح جدًّا أنَّ المقصود من لا يأتمر بمعروف ولا يتناه عن منكر بالتجربة والشواهد المتكرِّرة، وإلَّا هل يُعقَل أنَّ الإسلام يريد منّا هذا الأُسلوب مع كلِّ أحدٍ رأيناه علىٰ خطأ حتَّىٰ إذا كان يسمع الكلام ويتَّعظ منه؟!

ولذلك كان من أهمِّ صفات رسولنا الأعظم ﷺ هي الرفق، يقول تعالىٰ: ﴿فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ (آل عمران: ١٥٩).

ولنتذكَّر: نحن نُحِبُّ أن يعاملنا الله تعالىٰ برفق، فلنتعامل بالرفق مع خلق الله ﷻ.

وأنَّ الرسول الأعظم ﷺ يقول: «إنَّ الرفق لم يُوضَع علىٰ شيء إلَّا زانه، ولا نُزِعَ من شيء إلَّا شانه»[1].

ثانياً: تحيُّن الظرف الملائم:

إنَّ الظروف المختلفة التي تمرُّ بالإنسان لا تجعله علىٰ حال واحدة من حيث التلقّي، فقد يمرُّ به ظرف يجعله يُحِبُّ أن يسمع من الآخر بكلِّ رحابة صدر، ولكنَّه قد يمرُّ بظرف يجعله يصيح حتَّىٰ بمن يُلقي التحيَّة عليه.

حتَّىٰ في الدعاء، هناك أوقات مناسبة للإجابة، وهناك ظروف إذا هيَّأها الفرد فربَّما يكون أقرب إلىٰ الإجابة، عندما يكون متوجِّهاً بقلبه وبروحه إلىٰ ربِّه، فهذا نبيُّ الله موسىٰ عليه السلام بعد تعب المسير وخوف

---

(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ٢/ ص ١١٩/ باب الرفق/ ح ٦).

الهرب ونصب السقي لابنتي شعيب، يستظلُّ بظلِّ شجرة ليُوفِّر لنفسه ظرفاً ملائماً ليدعو ربَّه، يقول تعالىٰ: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ (القَصص: ٢٤).

والإسلام أخذ هذه القضيَّة بعين الاعتبار في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فحتَّىٰ يكون لكلامك وقع في قلب الآخر، وحتَّىٰ يقرب احتمال جني الثمرة من قولك، عليك أن تتحيَّن الظرف الملائم للإدلاء بالنصيحة والموعظة.

فعن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «إنّي لأتخوَّلكم بالموعظة تخوُّلاً، مخافة السأمة عليكم»[(١)].

وعن قيس بن أبي حازم، عن أبيه: رآني النبيُّ ﷺ وهو يخطب وأنا في الشمس، فأمرني فحوَّلت إلىٰ الظلِّ[(٢)].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تتكلَّمَنَّ إذا لم تجد للكلام موقعاً»[(٣)].

وعنه عليه السلام: «كن كالطبيب الرفيق، الذي يضع الدواء بحيث ينفع»[(٤)].

ثالثاً: الكناية أبلغ من التصريح[(٥)]:

كرامة الإنسان محفوظة في الإسلام في كلِّ الحالات، فلا ينبغي

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي (ص ٤٩١/ ح ١٠٧٧/ ٤٦).

(٢) مسند أحمد بن حنبل (ج ٤/ ص ٢٦٢)، نقله عنه الشيخ محمّد الريشهري في التبليغ في الكتاب والسُّنَّة (ص ١٧٢).

(٣) عيون الحِكَم والمواعظ لعليِّ بن محمّد الليثي الواسطي (ص ٥٢٢).

(٤) مصباح الشريعة المنسوب للإمام الصادق عليه السلام (ص ٢١)، نقله عنه الشيخ محمّد الريشهري في التبليغ في الكتاب والسُّنَّة (ص ١٧٣).

(٥) قطاف شهر رمضان للمؤلِّف (ص ٦٨).

لمؤمن أن يُذِلَّ آخر أبداً، ولذلك فمن المبادئ الأخلاقية لفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو اتِّخاذ طريق الكناية ما وجدت إليه سبيلاً، فإنَّه في الوقت الذي يحفظ كرامة الآخر سيكون أكثر وقعاً في قلبه، وسوف لن تخسر مكانتك في قلبه، ممَّا يعني زيادة قوَّة احتمال تأثيرك فيه.

روي أنَّه كان النبيُّ ﷺ إذا بلغه عن الرجل الشيء لم يقل: ما بال فلان يقول؟ ولكن يقول: «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا؟»[1].

ففي الوقت الذي يخالفون فيه أمر رسول الله ﷺ فإنَّه ﷺ يُنبِّههم علىٰ خطئهم لكن بأُسلوب كنائي لطيف.

عن خوات بن جبير، قال: نزلنا مع رسول الله (صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلَّم) مر الظهران، قال: فخرجت من خبائي، فإذا أنا بنسوة يتحدَّثن، فأعجبنني، فرجعت، فاستخرجت عيبتي، فاستخرجت منها حلَّة، فلبستها وجئت، فجلست معهنَّ، وخرج رسول الله (صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلَّم) من قبَّته، فقال: «أبا عبد الله، ما يُجلِسك معهنَّ؟»، فلـمَّا رأيت رسول الله (صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلَّم) هبته واختلطت، قلت: يا رسول الله، جمل لي شرد، فأنا أبتغي له قيداً، فمضىٰ...، وتوضَّأ، فأقبل والماء يسيل من لحيته علىٰ صدره - أو قال: يقطر من لحيته علىٰ صدره -، فقال: «أبا عبد الله، ما فعل شراد جملك؟»، ثمّ ارتحلنا، فجعل لا يلحقني في المسير إلَّا قال: «السلام عليك أبا عبد الله، ما فعل شراد ذلك الجمل؟»، فلـمَّا رأيت ذلك تعجَّلت إلىٰ المدينة واجتنبت المسجد والمجالسة إلىٰ النبيِّ (صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلَّم)، فلـمَّا طال

---

(١) سنن أبي داود (ج ٢/ ص ٤٣٤/ ح ٤٧٨٨).

ذلك تحيَّنت ساعة خلوة المسجد، فأتيت المسجد، فقمت أُصلّي، وخرج رسول الله (صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلَّم) من بعض حجره فجأةً، فصلّىٰ ركعتين خفيفتين، وطوَّلت رجاءً أن يذهب ويدعني، فقال: «المريض أبا عبد الله، ما شئت أن تُطوِّل فلست قائماً حتَّىٰ تنصرف»، فقلت في نفسي: والله لأعتذرنَّ إلىٰ رسول الله (صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلَّم) ولأُبرِّئَنَّ صدره. فلمَّا قال: «السلام عليك أبا عبد الله، ما فعل شراد ذلك الجمل؟»، فقلت: والذي بعثك بالحقِّ، ما شرد ذلك الجمل منذ أسلم، فقال: «رحمك الله» ثلاثاً، ثمّ لم يعد لشيء ممَّا كان[1].

وعن عبد الله بن أبي بكر، قال: قمت إلىٰ متوضَّأ لي، فسمعت جارية لجارٍ لي تُغنّي وتضرب، فبقيت ساعة أسمع، قال: ثمّ خرجت، فلمَّا أن كان الليل دخلت علىٰ أبي عبد الله عليه السلام، فحين استقبلني قال: «الغناء اجتنبوا، الغناء اجتنبوا، الغناء اجتنبوا، اجتنبوا قول الزور»، قال: فما زال يقول: «الغناء اجتنبوا، الغناء اجتنبوا»، قال: فضاق بي المجلس وعلمت أنَّه يعنيني...[2].

* * *

---

(١) المعجم الكبير للطبراني (ج ٤/ ص ٢٠٣ و٢٠٤).

(٢) أمالي الشيخ الطوسي (ص ٧٢٠ و٧٢١/ ح ١٥١٩/ ٣).

المفردة الرابعة عشرة:

الاستخفاف والتهاون بالوقت

- **الخطر**: خسران رأس مال الإنسان.
- **الأثر**: اللّاهدفية، والتشويش والتعب المستمرّ.
- **التوصية**: إنّما أنت عدد أيّام، فكلُّ يوم يمضي عليك يمضي ببعضك.

هل تعلم؟

إذا عمَّر شخص ما **ستّين سنة** - وهو المعدّل الطبيعي للأعمار -، فتقسيم عمره كالتالي[1]:

١ - **خمس سنوات** طفولة.

٢ - إذا درس بجدٍّ ومن دون رسوب ولا غياب إلىٰ أن تخرَّج من الجامعة، سيكون قد قضىٰ **سنتين ونصف** في المدرسة.

٣ - إذا بدأ العمل بعمر الاثنين والعشرين، واشتغل بجدٍّ واجتهاد بتواصل ودون انقطاع ودون إجازات مرضية **لثمان ساعات** في اليوم، يكون قد قضىٰ **سبع سنوات ونصف** من عمره في العمل.

٤ - وإن كان يقضي **ساعة واحدة** علىٰ التلفزيون يكون قد قضىٰ عليه **سنتين كاملتين** من عمره.

٥ - وإذا كان ينام ثمان ساعات يومياً، فهو يقضي **عشرين سنة** من عمره في النوم!

٦ - **ساعة** علىٰ الانترنت تعني **سنتين كاملتين** من عمره.

٧ - في المعدّل يقضي الإنسان **نصف ساعة** يومياً في الحمّام بين قضاء الحاجة وبين الاستحمام، **ممَّا** يعني **سنة وربع** من عمره في الحمّام.

٨ - معدّل المكث في السيّارة **ساعة** يومياً علىٰ الأقلّ، **ممَّا** يعني **سنتين كاملتين** في السيّارة. هذا في الدول والمُدُن غير المزدحمة.

---

(١) برنامج (خواطر) لأحمد الشقيري/ الموسم الثالث/ الحلقة الخاصّة بالوقت.

٩ - الانتظار عند الحلّاق والطبيب، وزيارة المريض، والأُمور الاجتماعية الأُخرىٰ ستأخذ من حياته **سبع سنوات** تقريباً.

١٠ - الصلاة لا تأخذ من يومه سوىٰ **نصف ساعة** بالمعدّل، ممَّا يعني **سنة واحدة** فقط في الصلاة.

١١ - الأكل يأخذ **ساعة** يومياً بالمعدَّل، ممَّا يعني **سنتين كاملتين** من عمره.

١٢ - الجوّال والاتِّصالات الأُخرىٰ تأخذ **نصف ساعة** يومياً ممَّا يعني **سنة كاملة** من عمره.

١٣ - زيارة الأصدقاء والمزاح وغيرها من الأُمور ستأخذ **ساعة** يومياً، ممَّا يعني **سنتين كاملتين** من عمره.

١٤ - إذا كان له إجازة **شهر واحد** في السنة، فهذا يعني **أربع سنوات ونصف** من عمره.

كثيراً ما نسمع الشكاوىٰ المستمرَّة من السواد الأعظم للناس بأنَّهم لا يملكون الوقت الكافي، وكثيراً ما نرىٰ أُناساً حياتهم مضطربة ومشوَّشة، وعادةً ما نرىٰ المتذمِّرين من الزمن.

هناك الكثير من الناس لا يجد وقتاً ليجلس فيه مع أفراد عائلته، ليلاطف زوجته، ويلاعب ابنه، ويضاحك ابنته، ويعطف علىٰ أبويه.

إنَّ صلة الرحم ماتت في النفوس يوم فقد الناس الوقت الكافي لها في زحمة المشاغل التي لا تنتهي.

إنَّ قراءة الكُتُب والمطالعات الثقافية صارت من سقط الزمان.

إنَّ الخروج مع العائلة في سفرة ترفيهية لمنطقة أثرية أو لحديقة غنّاء أو لمكان عبادة صارت ترفاً محرَّماً وضياعاً للعمر.

بل نجد الكثير منهم لا يجد وقتاً ليُصلّي صلاة جعفر الطيّار ولو مرّةً واحدةً في حياته!

ولو سألت بعضاً من الناس: متىٰ كانت آخر مرَّة ختمت بها القرآن الكريم؟ لقال لك: وهل ختمته في حياتي مرَّة؟! هذا إذا كان قد قرأ ولو بعضاً من القرآن!

إنَّه لا يجد الوقت المناسب ليُصلّي الصلاة في وقتها، فضلاً عن أنَّه لم يُعِر لتعلُّم مسائله الفقهية الابتلائية أيَّ أهمّية، ولم يُعطِه أيَّ جزء من وقته!

فلماذا حصل ذلك كلُّه؟

كلُّ ذلك لأنَّ الوقت غير كافٍ، وأنا مشغول علىٰ طول الخطِّ، ولا أجد وقتاً لتلك الأُمور التي يعتبر العديد منها من الترُّهات.

والمفارقة هنا، أنَّنا نجد الكثير من الناس يشكون من وقت الفراغ الذي يحيط بهم!

فكثير منهم يقضي النهار يذرع الشوارع.

وآخرون يقضون ساعات طويلة سارحي البال من دون هدف.

والعديد منهم يقضون الساعات الطوال جالسين يتناقلون الأحاديث اللّامسؤولة، والتي لا تُسمن ولا تُغني من جوع.

لقد صارت الغيبة والنميمة فاكهة الكثير من المجالس.

لقد صار الكثير من الشباب البطّالين يقضون الساعات الطوال في قاعات الألعاب السخيفة، خاسرين بذلك وقتهم وجهدهم ومالهم، وربَّما سمعتهم.

ويأتي الطرفان - من لا يملك الوقت الكافي، ومن يعيش ما

يُسمّىٰ بوقت الفراغ - ليلقوا اللوم علىٰ الزمان الفاسد، الذي تغيَّر، وهجم علىٰ الناس وشتَّتهم...، إنَّه الزمن، فسد فأفسد الناس، وتغيَّر فتغيَّروا، وتلوَّن فتلوَّنوا، وضاع فضاعوا.

فهل هذا الأمر صحيح؟

إنَّ كلَّ عاقل - وبأدنىٰ تأمُّل - يرىٰ أنَّ الزمن ما هو إلَّا دقائق وثواني وساعات وأيّام وشهور وليل ونهار، وهذه الحقيقة كانت وما زالت علىٰ حالها، فالساعة ستُّون دقيقة، والدقيقة ستُّون ثانية، مذ خلق الله الكون وإلىٰ اليوم. والشتاء بارد، والصيف حارٌّ، مذ كان الشتاء شتاءً والصيف صيفاً.

إنَّه هو هو، لم يتغيَّر ولم يتلوَّن، وليس من شأنه أن يفسد هو أو يُفسِد غيره، وإنَّما هو مجرَّد وعاء لما يقع فيه، فأيُّ شيء يقع فيه فهو يقع من دون أن يتغيَّر نفس الزمن.

إذن، أين الخلل؟

عن الريّان بن الصلت، قال: أنشدني الرضا عليه السلام لعبد المطَّلب:

يعيب الناس كلُّهم زمانا ... وما لزماننا عيب سوانا
نعيب زماننا والعيب فينا ... ولو نطق الزمان بنا هجانا
وإن الذئب يترك لحم ذئب ... ويأكل بعضنا بعضاً عيانا
لبسنا للخداع مسوك طيب ... فويل للغريب إذا أتانا[1]

وروي عن أبي موسىٰ الأشعري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق (ج ١/ ص ١٩٠)؛ وبحار الأنوار للعلَّامة المجلسي (ج ٤٩/ ص ١١١).

تسبُّوا الدنيا فنعمت مطيَّة المؤمن، فعليها يَبْلُغ الخير، وبها ينجو من الشرِّ، إنَّه إذا قال العبد: لعن الله الدنيا، قالت الدنيا: لعن الله أعصانا لربِّه».

فأخذ الشريف الرضي رحمه الله هذا المعنىٰ فنظمه بيتاً:

يقولون الزمان به فساد   فهم فسدوا وما فسد الزمان[1]

يقول أبو جعفر الشيباني: أتانا يوماً أبو مياس الشاعر، ونحن في جماعة، فقال: ما أنتم وما تذكرون؟ قلنا: نذكر الزمان وفساده (أي يعتبرون الزمان هو الفاسد وهو المسؤول عن الفساد)، قال: كلَّا! إنَّما الزمن وعاء، وما أُلقي فيه من خير أو من شرٍّ كان علىٰ حاله، ثمّ أنشأ يقول:

أرىٰ حُللاً تُصان علىٰ رجالٍ   وأعراضاً تُهان ولا تُصَانُ

يقولون الزمان به فسادٌ   وهم فسدوا وما فسد الزمانُ[2]

وهذه هي الحقيقة.

فالذي تغيَّر، والذي لا يجد وقتاً كافياً، والذي يعيش وقت فراغ أو ضياع، إنَّما هو الإنسان، وليس للزمن أيُّ دخل في ذلك.

ولكن، ما هو السبب الذي جعل الناس صنفين: صنفاً لا يجد وقتاً ليحكَّ رأسه، وصنفاً يعيش فراغاً لا متناهياً؟

إنَّ السبب هو:

عدم إدارة الوقت بصورة صحيحة.

---

(١) أعلام الدِّين في صفات المؤمنين للديلمي (ص ٣٣٥).

(٢) وقتك حياتك للسيِّد محمّد العلوي (ص ١٦ و١٧).

إنَّه التهاون في التعامل مع الوقت بصورة صحيحة.

ففي الوقت الذي تاه الصنف الأوَّل في زحمة العمل اللّامتناهي، لم يستغلّ الصنف الثاني وقت فراغه في أُمور نافعة لدنياه أو آخرته.

لقد تهاون الكثير من الناس بمسألة الوقت، ولم يعيروه أيَّ أهمّية، ولذلك ضاع الصنفان المتقدِّمان، وبقي من أدار وقته بصورة صحيحة يعيش السعادة والراحة - ولو النسبية وبالقياس إلىٰ الصنفين الأوَّلين -، فهو إلىٰ جانب عمله في كسب عيشه المستمرّ، لم يغفل عن عباداته في أوقاتها المناسبة، وتجده قريباً من عائلته، واصلاً لرحمه، مسافراً في نزهة محلَّلة، قاضياً وقتاً كافياً مع أصدقائه.

وليس عنده وقت فراغ بمعنىٰ الكلمة، لأنَّه في الحقيقة لا وجود لوقت الفراغ في الحياة، إنَّما هناك وقت ضائع، ولكن المدير الجيِّد للوقت يستغلُّ كلَّ لحظات حياته، فما أن ينتهي من عمل حتَّىٰ يبدأ بعمل آخر، حتَّىٰ ولو كان ذلك العمل الآخر هو النوم! لأنَّه لا ينام إلَّا إذا احتاج إليه.

ولمن يسأل عن حياة المدير الناجح للوقت، فله أن يطالع الكلمات التالية ضمن نقطتين فقط:

النقطة الأولى: المدير الناجح للوقت يُقسِّم وقته بصورة صحيحة:

فهو هادف في حياته، فليس عنده لهوٌ باطل، وليس عنده لغوٌ من دون هدف عنده، فالحياة عنده مخلوقة لهدف، وقد أخذ علىٰ نفسه أن يصل إلىٰ الهدف، مهما كانت الظروف.

فهو ناجح، وعندما لم يجد الظرف الملائم لنجاحه، قام هو بصنعه.

ولذلك، قام هو بتقسيم أوقات يومه بصورة دقيقة وممنهجة، أخذ فيها الأوقات الخاصَّة بالعمل، ولم ينسَ وقت العبادة، ولم يهمل وقت العائلة، ولا أعرض عن أصدقائه، ولا كَبَتَ نفسه عن اللذائذ المحلَّلة.

وحتَّىٰ تنجح في ذاك، عليك أن تأخذ بنظر الاعتبار الحاجات الضرورية وغير الضرورية في حياتك، وتُقسِّم وقتك من خلالها.

والحمد لله، فقد رفدتنا الروايات الشريفة بمبادئ مهمَّة في هذا المجال، أغنتنا عن تجشُّم الدخول في علوم الإدارة والتنمية - التي ينبغي مطالعتها علىٰ الأقلّ -، فإنَّ ما ذكرته هذه العلوم هو موجود في تراثنا الحديثي.

وعلىٰ كلِّ حالٍ ينبغي أن يلاحظ المرء في تقسيمه لوقته العلاقات التالية:

أوَّلاً: ملاحظة العلاقة مع الدِّين:

فيُلاحِظ أوقات العبادة التي حدَّدها الشرع، فإنَّ لها الأولوية في حياة المسلم.

فنظِّم عملك بحيث لا يفوتك وقت فضيلة صلاة، وإن اضطررت فبحيث لا يفوت وقتها، وهكذا.

علىٰ المسلم أن يُنظِّم عمله بما يتوافق مع صوم شهر رمضان مثلاً، فإذا كان ممَّن لا يقوىٰ علىٰ الصوم مع العمل، فعليه أن يدَّخر ما يكفيه أيّام الصوم[1].

---

(١) في جواب استفتاء لسماحة السيِّد السيستاني جاء فيه: (من يمنعه الصيام من ممارسة عمله الذي يرتزق منه كأن يُسبِّب له ضعفاً لا يطيق معه العمل، أو يُعرِّضه لعطش لا يطيق معه الإمساك عن شرب الماء أو لغير ذلك. ففي هذه الحالة إذا كان بإمكانه تبديل عمله أو التوقُّف عنه مع الاعتماد في رزقه في أيّام التوقُّف علىٰ مال موفَّر أو دَين أو نحو ذلك وجب عليه الصيام، وإلَّا سقط عنه وجوبه، ولكن الأحوط وجوباً - في هذه الصورة - أن يقتصر في الأكل والشرب علىٰ الحدِّ الأدنىٰ الذي يفرضه عليه عمله ويدفع به الحرج والمشقَّة عن نفسه، ويجب عليه أن يقضي ما يفوته من الصوم بعد ذلك إن تيسَّر له). (https://www.sistani.org/arabic/qa/**02341**).

وهكـذا عليـه أن يُعطـي للتفقُّـه في الـدِّين أهمّيـة لا تقـلُّ عـن طلـب الرزق، ويكفي في هـذا أن يأخـذ علىٰ نفسـه أن يـتعلَّم مسـألة فقهيـة واحـدة يومياً علىٰ الأقلّ، بقراءة أو سؤال وما شابه.

كـذلك عليـه أن لا ينسـىٰ أن يُخصِّـص وقتـاً لقـراءة القـرآن، ولـو خمسين آية علىٰ الأقلّ يومياً، فـالقرآن عهـد الله وميثاقـه إلىٰ المسـلم، فينبغـي علىٰ المسلم أن يقرأ في عهده يومياً[١]. وحبَّـذا لـو جعـل آخـر كلامـه في يومـه هو قراءة القرآن[٢].

وينبغـي أن لا ينسـىٰ الصـلاة، فإنَّهـا قربـان كـلِّ تقـي، ولا أعنـي الصلاة اليومية، بل أعنـي الصـلوات المستحبَّة التـي رتَّبـت عليهـا الروايـات الشـريفة الأجـر العظـيم، فعـلىٰ المسـلم أن يُجهِـد نفسـه أن يُصـلّي تلـك الصلوات ولو مرَّة واحدة في عمره لكلِّ صلاة واردة.

ثانياً: ملاحظة العلاقة مع الأُسرة[٣]:

تخصـيص جـزء مـن وقـت الفـراغ لقضـائه مـع الأُسرة، فـالأُسرة مؤسَّسـة تربويـة، فيهـا تـتمُّ تنميـة طُـرُق التفكـير والتعبـير، وفيهـا يُكتَسـب الـدِّين، واللغـة، والتقاليـد، والعـادات، وطريقـة الكـلام. فـلا بـدَّ أن يشـعر

---

(١) في الكـافي للشـيخ الكلينـي (ج ٢/ ص ٦٠٩/ بـاب في قراءتـه/ ح ١): عـن حريـز، عـن أبي عبـد الله عليه السلام، قـال: «القـرآن عهـد الله إلىٰ خلقـه فقـد ينبغـي للمـرء المسـلم أن ينظـر في عهده وأن يقرأ منه في كلِّ يوم خمسين آية».

(٢) في الكـافي للشـيخ الكلينـي (ج ٢/ ص ٦١١/ بـاب ثـواب قـراءة القـرآن/ ح ٢): عـن الفضيل بن يسـار، عـن أبي عبـد الله عليه السلام، قـال: «مـا يمنـع التـاجر مـنكم المشغول في سـوقه إذا رجـع إلىٰ منزلـه أن لا ينـام حتَّـىٰ يقـرأ سـورة مـن القـرآن، فتُكتَـب لـه مكـان كـلِّ آيـة يقرؤها عشر حسنات، ويُمحىٰ عنه عشر سيِّئات».

(٣) الهدىٰ والضلال في القرآن الكريم للمؤلِّف (ص٨١ و٨٢).

الجميع بروح التعاون والتآلف، ويساعد علىٰ ذلك أن يقضوا معاً أوقات فراغهم بشكل منظَّم، وأن يشمل ذلك مختلف الأنشطة التي يُحِبُّها الأبناء ويُفضِّلونها من أنشطة رياضية وفنّية وألعاب ومسابقات ثقافية، ويكون ذلك كالتالي:

- استغلال فترة الغذاء وتجمُّع الأُسرة وتبادل الأحاديث والمواقف التي تعرَّض لها الأب والأُمُّ، وشرح طريقة تصرُّف كلٍّ منهما تجاه كلِّ موقفٍ.

- الاستفادة من المسافات الطويلة التي يقطعها أفراد الأُسرة معاً في السيّارة بسرد قَصص شيِّقة من الواقع تشرح تجارب الآخرين، وكذلك بالاستماع للأشرطة المفيدة.

- اصطحاب الأُسرة لزيارة المعالم الأثرية والثقافية.

- اقتناء مكتبة تضمُّ المراجع المختلفة وبعض الكُتُب النافعة.

- اقتناء أُسطوانات الكمبيوتر التي تضمُّ القيم والمعلومات المفيدة.

- قراءة القرآن بالمنزل وتعليمه أهل بيتك، فعن رسول الله ﷺ: «من علَّم ولداً له القرآن، قلَّده الله قلادة يعجب منها الأوَّلون والآخرون يوم القيامة»[1].

ثالثاً: ملاحظة العلاقة مع المجتمع:

فالإنسان كائن اجتماعي، عليه أن يختلط بالناس، ولكن في حدود رسمها العقل والشرع، فاجعل قسماً من وقتك لتجلس مع أصدقائك، تؤانسهم ويؤانسونك، وتقوّي علاقتك بهم، وتتواصل معهم، تسأل عن مريضهم فتعوده، وعن محتاجهم فتساعده، وعن غائبهم فتفتقده، لكن

---

(١) كنز العُمّال للمتَّقي الهندي (ج ١/ ص ٥٣٣/ ح ٢٣٨٦).

عليك بالحذر في نفس الوقت أن تجعل هذه العلاقة تسلب جُلَّ وقتك، أو في أُمور تافهة وغير نافعة، أو علىٰ حساب راحتك وراحة عائلتك.

عليك أن تُعْلِمَ أصدقاءك بالأوقات المناسبة التي بإمكانك أن تجالسهم بها، وأن تُعْلِمَهم بأوقات عملك الخاصِّ الذي لا تُحِبُّ أن يزعجك به أحد.

وعلىٰ كلِّ حال، كن ضنيناً بوقتك في هذه الحال، وتذكَّر ما قاله الإمام الصادق عليه السلام لعنوان البصري عندما أكمل نصيحته له: «قم عنّي يا أبا عبد الله، فقد نصحت لك، ولا تُفسِد عليَّ وردي، **فإنّي امرؤ ضنين بنفسي**»[1].

رابعاً: ملاحظة العلاقة مع العمل:

أنت مسؤول عن نفسك وعائلتك، فعليك أن تعمل حتَّىٰ تسدَّ احتياجاتك المالية، ولا تكن كلًّا علىٰ غيرك، فيكون غيرك أعبد منك عند الله تعالىٰ، وأوجه منك عند المجتمع، وأقوىٰ شخصيةً منك في نفسك.

ولكن عليك أن تحاول أن تختار العمل المناسب لك، من حيث المكان والزمان والتخصُّص.

وحتَّىٰ تنجح في هذا الجانب عليك أن تعمل علىٰ تطوير نفسك باستمرار، عليك أن تُحِبَّ عملك، وأن تخلص فيه، وأن تُتقِنه، حتَّىٰ يؤتي عملك ثماره.

عليك بتعلُّم المهارات الجديدة، التي من شأنها أن تقضي علىٰ وقت الفراغ من جانب، وتزيد من إبداع الشخص ومدخوله المادّي من جانب آخر.

---

(١) مشكاة الأنوار لعليٍّ الطبرسي (ص ٥٦٤ و٥٦٥).

فيمكن للفرد أن يتعلَّم قراءة القرآن الكريم وأحكامه، أو علوم الحاسوب المتنوِّعة، أو فنَّ التصوير، أو السياقة، أو الحدادة، أو النجارة.

ويمكن للمرأة أن تتعلَّم الحياكة والخياطة، يمكنها أن تأخذ كتاباً لتتعلَّم طبخ أنواع جديدة من الأكل.

يمكن لنا أن نتعلَّم أُسلوب الإسعافات الأوَّلية، أو أن نتعلَّم لغة جديدة، أو ندرس في معهد ما، يمكن للمرء أن يُطوِّر نفسه في ألف فرع وفرع من فروع الحياة، وبذا يمكنه أن يملأ وقته بالنافع المفيد. وليتذكَّر أنَّ: «قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُه»[1]، وليضع نصب عينيه أنَّ: **التمرين يُؤدّي إلىٰ الكمال**.

خامساً: ملاحظة العلاقة مع النفس:

فبعد ملاحظة كلِّ تلك العلاقات، عليك أن تلاحظ نفسك - روحك وبدنك - فهي أحبُّ الأنفس إليك، فعليك أن تُعطيها حقَّها، فتُعطي للجسد راحته، وتُعطي للنفس راحتها. وراحة النفس تكون بملاحظة العلاقة الأُولىٰ المتقدِّمة، وراحة الجسد تتمثَّل بإعطائه الوقت الكافي للراحة، حتَّىٰ يقوىٰ علىٰ مداراة تلك العلاقات المهمَّة التي تحيط به.

فعليك أن تُعطي جسمك القدر الكافي من النوم، فهو أفضل راحة له، وعليك أن تُعطيه حقَّه من الطعام، فتتخيَّر الأطعمة الغنيَّة بالفوائد، وتبتعد عن الأكلات التي تمنع أكلات كثيرة، حاول أن تُبقي جسمك بمستوىٰ بعيد عن خطر التعرُّض لأمراض الضغط والسُّكري.

ابتعد عن العادات السيِّئة في الطعام، كالأكل بشراهة، وأكل اللحوم بصورة مستمرَّة.

---

(١) نهج البلاغة (ص ٤٨٢/ ح ٨١)، وعلَّق الشريف الرضي رحمه الله علىٰ هذه الكلمة بقوله: (وهذه الكلمة التي لا تُصاب لها قيمة، ولا تُوزَن بها حكمة، ولا تُقرَن إليها كلمة).

عليك أن تتناول الخضروات والفواكه بصورة مستمرَّة.

وحاول قدر الإمكان الابتعاد عن المعلَّبات الصناعية والمشروبات الغازية، وابتعد عن التدخين فهو يهدم الجسم هدماً.

عليك أن تقضي بعض الوقت في الترفيه والترويح، (بشرط خلوِّه من المفاسد والمحرَّمات، ومن الإسراف والتبذير، والحذر من أن يأخذ الترفيه كلَّ الوقت، بل لا بدَّ أن يُحدَّد له وقتٌ لا يزيد ولا ينقص إلَّا بمقدار الضرورة. ويمكن إعطاء قائمة متنوِّعة من أساليب الترويح عن النفس، منها التالي:

أ - **الترويح الرياضي**، ككرة القدم، وألعاب القوىٰ، وفنِّ الاسترخاء، والتنفُّس الصحيح للأُوكسجين، والسباحة، والرماية، والسياقة، وركوب الخيل، وغيرها. يقول رسول الله ﷺ: «علِّموا أولادكم السباحة والرماية»[١].

ب - **الترويح الفنّي**، كممارسة هواية الرسم، والخطِّ، والنقش، والتخريم، والأشغال اليدوية من حياكة، وتطريز، وصناعة الورد، وتزيين البيوت.

ج - **الترويح الاجتماعي**، كالتزاور الذي حثَّ الإسلام عليه كثيراً، ومنه المراسلة والمهاتفة وإحياء مناسبات عيد الميلاد والزواج، وغيرها ممَّا له أثر في تقوية أواصر المحبَّة، وفي نفس الوقت يملأ بعضاً من وقت الفراغ.

د - **الترويح السياحي**، كزيارة المراقد المقدَّسة والمناطق الأثرية والتاريخية والسياحية، ممَّا له فوائد نفسية وثقافية وبدنية.

---

(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ٦/ ص ٤٧/ باب تأديب الولد/ ح ٤).

وفي كلِّ أنواع الترويح ينبغي اصطحاب الأهل من زوجة وأطفال ووالدين مهما أمكن، ليكون الترويح شاملاً لأفراد العائلة عموماً، ممَّا يرجع بالفائدة للعائلة عموماً)[1].

الملاحظة المهمَّة هنا:

أنَّ إعطاء هذه العلاقة حقَّها المشروع يُقوّي الإنسان ويُعينه علىٰ إعطاء العلاقات السابقة حقوقها، فهي علاقة تعين علىٰ تلك العلاقات.

روايات تقسيم الوقت:

وبعد هذه الملاحظات، لنقرأ معاً بعض الروايات الواردة في تقسيم الوقت بصورة ناجحة.

عن محمّد بن مروان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنَّ في حكمة آل داود: ينبغي للمسلم العاقل أن لا يرىٰ ظاعناً إلَّا في ثلاث: مرمَّة لمعاش، أو تزوُّد لمعاد، أو لذَّة في غير ذات محرَّم. وينبغي للمسلم العاقل أن يكون له ساعة يفضي بها إلىٰ عمله فيما بينه وبين الله عزَّ وجلَّ، وساعة يلاقي إخوانه الذين يفاوضهم ويفاوضونه في أمر آخرته، وساعة يخلي بين نفسه ولذّاتها في غير محرَّم، فإنَّها عون علىٰ تلك الساعتين»[2].

وفي المسائل التي سأل عنها أبو ذرٍّ الغفاري رحمه الله رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: قلت: يا رسول الله، فما كانت صُحُف إبراهيم؟ قال: «كانت أمثالاً كلَّها، وكان فيها: أيُّها المَلِك المبتلىٰ المغرور إنّي لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها إلىٰ بعض ولكن بعثتك لتردَّ عنّي دعوة المظلوم، فإنّي لا أردُّها

---

(١) الهدىٰ والضلال في القرآن الكريم للمؤلِّف (ص ٨٢ و٨٣).

(٢) الكافي للشيخ الكليني (ج ٥/ ص ٨٧/ باب إصلاح المال وتقدير المعيشة/ ح ١).

وإن كانت من كافر، وعلىٰ العاقل ما لم يكن مغلوباً علىٰ عقله أن يكون له ساعات: ساعة يناجي فيها ربَّه عَجَّلَ، وساعة يحاسب نفسه، وساعة يتفكَّر فيما صنع الله عَجَّلَ إليه، وساعة يخلو فيها بحظِّ نفسه من الحلال، فإنَّ هذه الساعة عون لتلك الساعات واستجمام للقلوب، وتوزيع (وتفريغ) لها...»[1].

وعن رسول الله ﷺ: «ينبغي للعاقل إذا كان عاقلاً أن يكون له أربع ساعات من النهار: ساعة يناجي فيها ربَّه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يأتي أهل العلم الذين يُبصِّرونه أمر دينه وينصحونه، وساعة يخلي بين نفسه ولذَّتها من أمر الدنيا فيما يحلُّ ويجمل»[2].

وقال الإمام الكاظم عليه السلام: «اجتهدوا في أن يكون زمانكم أربع ساعات: ساعة لمناجاة الله، وساعة لأمر المعاش، وساعة لمعاشرة الإخوان والثقات الذين يُعرِّفونكم عيوبكم ويُخلِصون لكم في الباطن، وساعة تخلون فيها للذّاتكم في غير محرَّم، وبهذه الساعة تقدرون علىٰ الثلاث ساعات. لا تُحدِّثوا أنفسكم بفقر ولا بطول عمر، فإنَّه من حدَّث نفسه بالفقر بخل، ومن حدَّثها بطول العمر يحرص، اجعلوا لأنفسكم حظًّا من الدنيا بإعطائها ما تشتهي من الحلال وما لا يثلم المروَّة وما لا سرف فيه. واستعينوا بذلك علىٰ أُمور الدِّين، فإنَّه روي: ليس منّا من ترك دنياه لدينه أو ترك دينه لدنياه»[3].

---

(١) الخصال للشيخ الصدوق (ص ٥٢٥).

(٢) روضة الواعظين للفتّال النيسابوري (ص ٤)، ونقله أيضاً الشيخ محمّد الريشهري في العقل والجهل في الكتاب والسُّنَّة (ص ١٥٨).

(٣) تحف العقول لابن شعبة الحرّاني (ص ٤٠٩ و٤١٠).

النقطة الثانية: المدير الناجح للوقت، ليس عنده وقت ضائع:

كثيراً ما كنت أسأل الشباب: ماذا يعني وقت الفراغ؟ فكانوا يذكرون مصاديق لما يعتقدون أنَّه وقت فراغ، ولكن الحقيقة أنَّ ما كانوا يذكرونه من أمثلة لا تُمثِّل وقت فراغ، إذ إنَّه لا فراغ في الحقيقة. نعم، ما ذكروه - وهو الواقع - يُمثِّل أوقاتاً ضائعة، لم يستفد منها المرء لا لدنياه ولا لآخرته.

وأمثلة الأوقات الضائعة كثيرة جدًّا، نذكر منها:

١ - **أوقات الانتظار**، كانتظار دورك عند طبيب الأسنان، أو في الدوائر الرسمية، أو في المطار، أو عند الحلّاق، أو عند انتظار أن يُكمِل الميكانيكي تصليح سيّارتك، وكانتظار إشارة المرور، وحتّىٰ انتظار أن يجيئك النادل بالطعام عندما تُقرِّر الأكل في مطعم.

٢ - **اللعب غير المبرمج**، فاللعب مطلوب وضروري خصوصاً للأطفال، ولكن في بعض الأحيان يتحوَّل وقت اللعب إلىٰ وقت ضائع، كالجلوس ساعات طويلة عند ألعاب الكمبيوتر وألعاب البلي ستيشن، وكقضاء أوقات طويلة في لعب كرة القدم، أو الجلوس في النوادي والمقاهي الرياضية لفترات طويلة، وغيرها كثير.

٣ - **الاجتماعات الفارغة**، فأنت لا بدَّ أن تجلس مع أصدقائك، ولكن عادةً ما تكون الأحاديث غير مسؤولة ولاهية، قد يتكلَّم الأصدقاء لساعات طويلة ولكن لا فائدة يرجونها سوىٰ قضاء - والأصحّ هدر وقتل - الوقت.

وهكذا يجلس الرجل مع ضيفه لأوقات طويلة، وربَّما قضوا جُلَّ وقتهم في (الصفنات).

٤ - **المشي غير المبرَّر**، فكثيراً ما تجد بعض الشباب وبحجَّة رياضة المشي يقضون أوقات كثيرة في (قياس مسافات الشوارع) وأنظارهم تتساقط علىٰ أشياء من دون فكر.

٥ - **أوقات السفر**، فمثلاً قد تقود السيّارة أنت لمسافات طويلة، أو قد تسافر لمسافات طويلة، وقد يكون السفر لمسافة قليلة تقضي فيه ربع ساعة مثلاً، هناك أُناس يسافرون بواسطة البواخر ليخوضوا غمار البحار لأيّام عديدة، وعادةً ما يقضي المرء السفر من دون فائدة، فتجد عيونه تنظر بلا اعتبار، وسمعه غير مشغول إلَّا بصوت حفيف الهواء وضجيج مكائن وسيلة النقل، أو يقضيها - في أفضل الحالات - نائماً، أو غيرها من الأُمور التي لا ترجع بفائدة للمرء - إذا استثنينا النوم فقد يرجع بالراحة للمرء -.

٦ - **الاتِّصالات الهاتفية**، وهذه الأُخرىٰ قد تأخذ منك وقتاً كثيراً من دون أن تشعر، ولا أقصد كلَّ الاتِّصالات، بل إنَّ كثيراً منها يأخذ وقتاً أكثر من الوقت اللازم، وهكذا قد يتَّصل عليك شخص في وقت راحتك، أو في وقت انهماكك بعمل مهمٍّ، والحال أنَّ الاتِّصالات غير المبرَّرة تأخذ وقتك وجهدك ومالك.

٧ - **مشاهدة التلفاز**، وهذا أيضاً من أكبر مضيعات الوقت في العصر الراهن. لا مانع أن يشاهد أحدهم التلفاز، كأن يشاهد مباراة كرة قدم، أو فيلماً ما، أو برنامجاً ما، لا مانع منه، وقد لا يكون في ذلك مضيعة للوقت، ولكنّي أُلفت النظر إلىٰ حالات يضيع فيها الوقت باعتراف الجميع.

فمثلاً قد يكون أحد ما قد شاهد فيلماً عشرين مرَّة! إنَّه حفظ كلَّ

أحداثه، ولكنَّه مع ذلك يشاهده للمرَّة الواحدة والعشرين! وقد يجلس بعضهم يشاهد مباراة كرة قدم لساعة متأخِّرة من الليل، رغم أنَّ امتحانات نهاية السنة تبدأ غداً، أو رغم أنَّه سيخرج للعمل باكراً، أو رغم أنَّه مريض ومحتاج إلىٰ النوم ليرتاح، إنَّه يُضيِّع وقته وجهده وراحته من دون مبرِّر.

هناك الكثير من البرامج التي لا تُسمِن ولا تُغني من جوع، ولم يُقصَد منها حين إنتاجها إلَّا إشغال الناس عن المهمِّ من عمرهم، عليك أن تنتبه لمثل هذه البرامج، وعليك أن تُميِّز، فكم هناك من أفلام أُنتجت من نسج الخيال، وكم هناك من مسلسلات بُذِلَ فيها ملايين الدولارات، وليس فيها إلَّا العنف، والهمجية باسم الحُرِّية، وإطلاق العنان للغرائز، وتبرير الجريمة والسلوك المنحرف، وغيرها كثير.

لاحظ، هل بإمكانك أن تغلق التلفاز ليوم كامل؟! ولو مرَّة واحدة في الشهر!

جرِّب ذلك، وسترىٰ كيف سيعمُّ الهدوء البيت ذلك اليوم، من ضجيج التلفاز الذي صارت أدمغتنا مشوَّشة بسببه!

جرِّب، وسترىٰ الفرق، أعدك بذلك.

٨ - **في بعض الأحيان**، يقوم الإنسان بعمل ما، وكان باستطاعته أن يستغلَّ نفس وقت العمل بأداء عمل آخر مفيد، ولكنَّه لا يستغلُّ ذلك، فمثلاً قد تقضي المرأة وقتاً طويلاً كلَّ يوم في مطبخها، وهي بذلك تُؤدّي عملاً عظيماً عندما يأكل من يدها أفراد عائلتها، ولكن كان لها أن تستغلَّ ساعات الطبخ بعمل آخر مفيد لها، كما لو كانت قد وضعت جهاز راديو قريباً منها لتستمع إلىٰ برامج مفيدة، أو كان بإمكانها أن

تجري اتِّصالاً هاتفياً أثناء الطبخ، فلا يأخذ وقتاً آخر من وقتها، أو غيرها من الأُمور.

هل تعلم كم تقضي من وقتك في بيت الأدب (بيت الخلاء)؟ ربَّما تقضي كلَّ يوم خمس دقائق علىٰ أقلّ التقديرات، أنت تقوم بعمل مهمٍّ لجسمك، ولكن هل تعلم أنَّ بإمكانك أن تستغلَّ هذه الدقائق في عمل مفيد! **لا تستغرب**، فقد نقل بعضهم أنَّهم في اليابان قد وضعوا مكتبة تحوي كُتيِّبات صغيرة لمن يجلس في بيت الأدب، فله أن يستغلَّ هذه الدقائق في قراءة صفحتين أو ثلاثة من كُتيِّب! وقد نقل أحدهم ممَّن نجحوا في إدارة وقتهم أنَّه كثيراً ما استطاع أن يقرأ الكُتُب خلال فترات قضاء الحاجة.

لاحظ، أنَّ هناك أوقاتاً صغيرة في حجمها، نحن نغفلها ولا نلتفت إليها، ولكنَّها لو جُمِعَت لكانت وقتاً كبيراً سيتحسَّر المرء في يوم ما علىٰ هدره من دون مبرِّر[1].

ولكن المدير الناجح للوقت، كان ملتفتاً إلىٰ كلِّ هذه الأوقات الضائعة، وعمل منذ زمن طويل في استغلال تلك اللحظات الكثيرة جدًّا.

ولك أن تسأل: كيف ذاك؟

فأُجيبك:

- إنَّه طالما اصطحب معه كُتيِّب جيب، واستغلَّ أوقات الانتظار في قراءته.

- ولم ينسَ أبداً أن يحمل معه قلماً ودفتر ملاحظات، ليكتب فكرة

(١) قطاف شهر رمضان للمؤلِّف (ص ٧٠).

جميلة وردت إلىٰ خاطره، أو معلومة مفيدة شاهدها وهو يمشي، أو عنوان صديق مهمٍّ.

- ولطالما استغلَّ تلك الأوقات في تلاوة القرآن الكريم، حيث كان يحمل معه علىٰ الدوام نسخة من المصحف صغيرة الحجم، أو كان قد أدخل المصحف الرقمي في هاتفه الذكي.

وإلَّا، فقد كان يستغلُّ تلك الأوقات في ترديد كلمة الإخلاص (لا إله إلَّا الله) ألف مرَّة!

- وإن تعب شغل فكره في المفيد، فكان يضع رأسه علىٰ وسادته في بيته، أو علىٰ كرسي السيّارة، ويأخذ يُفكِّر في النِّعَم التي أنعمها الله تعالىٰ عليه، وكيف كان وكيف أصبح، وكثيراً ما كان يُفكِّر في قدرة الله تعالىٰ، وكيف خلق الخلق ورزقهم علىٰ كثرتهم، وأحصاهم وأحصىٰ أنفاسهم وأفكارهم، فيخشع قلبه لذكر ربِّه ويخبت له، وكثيراً ما كان يشكر الله تعالىٰ علىٰ نِعَمه، ويستغفره من ذنوبه التي صدرت منه.

أو كان يُفكِّر في مشروع لدنياه أو آخرته، وكان يُفكِّر في طريقة ما ليصالح بها صديقه الذي اختلف معه في مسألة تجارية أو غيرها.

وكان إذا قاد سيّارته يستغلُّ وقته في استماع الأشرطة المفيدة، فكان يستمع إلىٰ الكثير من المحاضرات ضمن تخصُّصه، وكان إذا ملَّ عقله منها غيَّر الشريط ليستمع تلاوة القرآن وينعش بها روحه، أو يستمع لشيء محلَّل تأنس به نفسُهُ.

وكان إذا جلس مع عائلته فتح المواضيع المفيدة معهم، فبعد أن يضاحك الصغار ويُبدي احترامه للكبار، يسأل عن مشاكلهم وما واجهوه اليوم من أُمور الحياة المختلفة، فكان ينصح هذا ويعظ ذاك، وكان يقصُّ عليهم قصَّة جميلة فيها عبرة وتجربة.

وهكذا تستطيع أنت أن تتنبَّأ بما كان يعمله أيّ واحد منّا لو كان مديراً ناجحاً للوقت.

قد يكون ما ذكرته هنا مثالياً عند بعض، وقد يكون من نسج الخيال في تصوُّر بعض آخر، ولكن لكلِّ أحدٍ أن يعمل علىٰ استغلال أوقاته بالطريقة المناسبة التي يراها، وأقول: المهمُّ أن تستغلَّ وقتك ولا تُضيِّعه، استغله في أيِّ شيء، حتَّىٰ لو كان النوم، لكن بشرط أن تكون محتاجاً له من دون أن تخدع نفسك.

وأقول لك: لا تُضيِّع عمرك في ما لا ينفعك غداً في الدنيا.

ولا تُضيِّعه في ما لا ينفعك في قبرك.

ولا تُشغِل نفسك بالفضول من الكلام والنظر والاستماع لكلِّ شيء من دون اعتبار.

واعمل بالأهمِّ قبل المهمِّ.

واعلم أنَّ ما فاتك من عمرك لا يعود لك أبداً، ومهما حاولت أن تسترجع لحظة واحدة من عمرك فلن تستطيع، ولو بذلتَ في ذلك كلَّ أموال الدنيا.

وإن أبيت، فتذكَّر معي هذه الكلمات التي صدرت من أهل بيت العصمة، والتي بيَّنوا من خلالها أهمّية كلِّ لحظة من لحظات عمر الإنسان، وأنَّه عندما تضيع أيُّ لحظة منها فإنَّ المرء سيندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«إنَّه لن يستقبل أحدكم يوماً من عمره إلَّا بفراق آخر من أجله»[1].

---

(١) تنبيه الخواطر (مجموعة ورّام) (ج ٢/ ص ٥٣٧).

«إنَّما أنت عدد أيّام، فكلُّ يوم يمضي عليك يمضي ببعضك، فخفِّض في الطلب وأجمل في المكتسب»(١).

«إنَّ الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما، ويأخذان منك فخذ منهما»(٢).

«مَا أَسْرَعَ السَّاعَاتِ فِي الْيَوْمِ، وَأَسْرَعَ الأَيَّامَ فِي الشَّهْرِ، وَأَسْرَعَ الشُّهُورَ فِي السَّنَةِ، وَأَسْرَعَ السِّنِينَ فِي الْعُمُرِ!»(٣).

«الساعات تخترم الأعمار، وتُدني من البوار»(٤).

وعن رسول الله ﷺ: «يُفتَح للعبد يوم القيامة علىٰ كلِّ يوم من أيّام عمره أربعة وعشرون خزانة عدد ساعات الليل والنهار:

فخزانة يجدها مملوءة نوراً وسروراً، فيناله عند مشاهدتها من الفرح والسرور ما لو وُزِّع علىٰ أهل النار لأدهشهم عن الإحساس بألم النار، وهي الساعة التي أطاع فيها ربَّه.

ثمّ يُفتَح له خزانة أُخرىٰ، فيراها مظلمة منتنة مفزعة، فيناله عند مشاهدتها من الفزع والجزع ما لو قُسِّم علىٰ أهل الجنَّة لنغَّص عليهم نعيمها، وهي الساعة التي عصىٰ فيها ربَّه.

ثمّ يُفتَح له خزانة أُخرىٰ، فيراها فارغة ليس فيها ما يسرُّه ولا ما يسوؤه، وهي الساعة التي نام فيها أو اشتغل فيها بشيء من مباحات الدنيا، فيناله من الغبن والأسف علىٰ فواتها - حيث كان متمكِّناً من أن

---

(١) عيون الحِكَم والمواعظ لعليِّ بن محمّد الليثي الواسطي (ص ١٧٨).

(٢) عيون الحِكَم والمواعظ لعليِّ بن محمّد الليثي الواسطي (ص ١٤٤).

(٣) نهج البلاغة (ج ٢/ ص ١٢٨).

(٤) عيون الحِكَم والمواعظ لعليِّ بن محمّد الليثي الواسطي (ص ٦٢).

يملأها حسنات - ما لا يُوصَف، ومن هذا قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩]»[1].

* * *

(١) عدَّة الداعي لابن فهد الحلّي (ص ١٠٣).

المصادر والمراجع

١ - **القرآن الكريم**.

٢ - **الاحتجاج**: الطبرسي/ تحقيق: محمّد باقر الخرسان/ دار النعمان/ ١٣٨٦هـ.

٣ - **الاختصاص**: الشيخ المفيد/ ط ٢/ ١٤١٤هـ/ دار المفيد/ بيروت.

٤ - **اختيار معرفة الرجال**: الشيخ الطوسي/ مطبعة بعثت/ مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام/ ١٤٠٤هـ/ قم.

٥ - **الأخلاق في القرآن**: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي/

٦ - **الأُصول الستَّة عشر**: عدَّة محدِّثين/ تحقيق: ضياء الدين المحمودي/ ط ١/ ١٤٢٣هـ/ دار الحديث.

٧ - **أعلام الدِّين في صفات المؤمنين**: الحسن بن محمّد الديلمي/ مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام/ قم.

٨ - **إقبال الأعمال**: ابن طاووس/ تحقيق: جواد القيّومي/ ط ١/ ١٤١٤هـ/ مكتب الإعلام الإسلامي.

٩ - **الإلهيّات**: الشيخ جعفر السبحاني/ ط ١/ ١٤٠٩هـ/ الدار الإسلاميَّة للطباعة والنشر/ بيروت.

١٠ - **الأمالي**: الشيخ الصدوق/ تحقيق: قسم الدراسات/ ط ١/ ١٤١٧هـ/ مؤسَّسة البعثة.

١١ - **الأمـالي**: الشـيخ الطـوسي/ تحقيـق: مؤسَّسـة البعثـة/ ط ١/ ١٤١٤هـ/ دار الثقافة/ قم.

١٢ - **الأمالي**: الشيخ المفيد/ تحقيق: الأُستادولي، عليّ أكبر الغفـاري/ ط ٢/ ١٤١٤هـ/ دار المفيد/ بيروت.

١٣ - **أوائل المقالات**: الشيخ المفيد/ تحقيق: الشيخ إبراهيم الأنصاري/ ط ٢/ ١٤١٤هـ/ دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع/ بيروت.

١٤ - **بحار الأنوار**: العلَّامة المجلسـي/ ط ٢ المصحَّحة/ ١٤٠٣هـ/ مؤسَّسة الوفاء/ بيروت.

١٥ - **برنامج (خواطر)**: أحمد الشقيري/ الموسم الثالث/ الحلقة الخاصَّة بالوقت.

١٦ - **البرنامج اليومي في محاسبة النفس**: السيِّد عبد الله الغريفي/ المعارف للمطبوعات/ ط ١/ ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

١٧ - **بصائر الدرجات**: محمّد بن الحسن الصفّار/ تحقيق: كوچه باغي/ ١٤٠٤هـ/ مطبعة الأحمدي/ منشورات الأعلمي/ طهران.

١٨ - **تاريخ بغداد**: الخطيب البغدادي/ تحقيـق: مصـطفىٰ عبـد القـادر عطا/ ط ١/ ١٤١٧هـ/ دار الكُتُب العلمية/ بيروت.

١٩ - **التبليـغ في الكتـاب والسُّـنَّة**: الشـيخ محمّـد الريشـهري/ ط ١/ ١٣٧٩هـ/ دار الحديث/ مطبعة ستاره/ قم.

٢٠ - **تحف العقول**: ابن شعبة الحرّاني/ تحقيق: عليّ أكـبر الغفّـاري/ ط ٢/ ١٤٠٤هـ/ مؤسَّسة النشر الإسلامي/ قم.

٢١ - **تفسير الإمـام العسـكري** عليه السلام: المنسـوب إلىٰ الإمـام العسـكري عليه السلام/ ط ١ محقَّقة/ ١٤٠٩هـ/ مدرسة الإمام المهدي عليه السلام/ قم.

٢٢ - **تفسير الأمثل**: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.

٢٣ - **تفسير العيّاشي**: العيّاشي/ تحقيق: هاشم الرسولي المحلّاتي/ المكتبة العلمية الإسلاميَّة/ طهران.

٢٤ - **تفسير القمّي**: عليُّ بن إبراهيم القمّي/ تحقيق: طيِّب الجزائري/ ط ٣/ ١٤٠٤هـ/ مؤسَّسة دار الكتاب/ قم.

٢٥ - **تفسير مجمع البيان**: الطبرسي/ تحقيق: لجنة من العلماء/ ط ١/ ١٤١٥هـ/ مؤسَّسة الأعلمي/ بيروت.

٢٦ - **تفسير نور الثقلين**: الحويزي/ تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي/ ط ٤/ ١٤١٢هـ/ مؤسَّسة إسماعيليان/ قم.

٢٧ - **تنبيه الخواطر (مجموعة ورّام)**: ورّام بن أبي فراس المالكي الأشتري/ ط ٢/ ١٣٦٨ش/ مطبعة حيدري/ دار الكُتُب الإسلاميَّة/ طهران.

٢٨ - **تهذيب الأحكام**: الشيخ الطوسي/ تحقيق: حسن الخرسان/ ط ٣/ ١٣٦٤ش/ مطبعة خورشيد/ دار الكُتُب الإسلاميَّة/ طهران.

٢٩ - **التوحيد**: الشيخ الصدوق/ تحقيق: هاشم الحسيني الطهراني/ جماعة المدرِّسين/ قم.

٣٠ - **ثواب الأعمال**: الشيخ الصدوق/ تحقيق: محمّد مهدي الخرسان/ ط ٢/ ١٣٦٨ش/ مطبعة أمير/ منشورات الشريف الرضي/ قم.

٣١ - **جامع أحاديث الشيعة**: السيِّد البروجردي/ ١٣٩٩هـ/ المطبعة العلمية/ قم.

٣٢ - **الجامع الصغير**: السيوطي/ ط ١/ ١٤٠١هـ/ دار الفكر/ بيروت.

٣٣ - **الحقُّ المبين**: الفيض الكاشاني/ تصحيح: مير جلال الدِّين الحسيني الأرموي/ سازمان چاپ دانشگاه.

٣٤ - **الخصال**: الشيخ الصدوق/ تحقيق: عليّ أكبر الغفّاري/ ١٤٠٣هـ/ جماعة المدرِّسين/ قم.

٣٥ - **الدُّرُّ المنثور**: جلال الدِّين السيوطي/ دار المعرفة/ بيروت.

٣٦ - **دعائم الإسلام**: القاضي النعمان المغربي/ تحقيق: آصف فيضي/ ١٣٨٣هـ/ دار المعارف/ القاهرة.

٣٧ - **الدعوات**: قطب الدِّين الراوندي/ ط ١/ ١٤٠٧هـ/ مطبعة أمير/ مؤسَّسة الإمام المهدي عليه السلام/ قم.

٣٨ - **ديوان روضة الورد (گلستان)**: سعدي الشيرازي/ ترجمة: محمّد الفراتي/ مطبعة فجر الإسلام/ ط ١/ ١٤٢٥ هـ/ المشرق للثقافة والنشر.

٣٩ - **ذخائر العقبىٰ**: أحمد بن عبد الله الطبري/ ١٣٥٦هـ/ مكتبة القدسي/ القاهرة.

٤٠ - **الذنوب الكبيرة**: السيِّد عبد الحسين دستغيب/ تعريب: عليّ محمّد زين/ ط ١/ ١٤٢١هـ/ دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع.

٤١ - **روضة الواعظين**: الفتّال النيسابوري/ تحقيق: محمّد مهدي الخرسان/ منشورات الشريف الرضي/ قم.

٤٢ - **سنن أبي داود**: ابن الأشعث السجستاني/ تحقيق: محمّد اللحّام/ ط ١/ ١٤١٠هـ/ دار الفكر/ بيروت.

٤٣ - **شرح أصول الكافي**: المازندراني/ تحقيق: الشعراني/ ط ١/ ١٤٢١هـ/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت.

٤٤ - **شرح نهج البلاغة**: ابن أبي الحديد/ تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم/ ظ ١/ ١٣٧٨هـ/ دار إحياء الكُتُب العربية/ بيروت.

٤٥ - **الصحاح** : الجوهري/ تحقيق: أحمد عبد الغفور العطّار/ ط ٤/ ١٤٠٧هـ/ دار العلم للملايين/ بيروت.

٤٦ – **صحيح البخاري**: البخاري/ ١٤٠١هـ/ دار الفكر/ بيروت.

٤٧ – **صحيح مسلم**: مسلم النيسابوري/ دار الفكر/ بيروت.

٤٨ – **الصحيفة السجّادية**: تحقيق: محمّد باقر الأبطحي/ ط١/ ١٤١١هـ/ مطبعة نمونه/ مؤسَّسة الإمام المهدي عليه السلام، مؤسَّسة الأنصاريان/ قم.

٤٩ – **صفات الشيعة**: الشيخ الصدوق/ كانون انتشارات عابدي/ طهران.

٥٠ – **الصواعق المحرقة**: ابن حجر الهيتمي/ ط ١/ ١٩٩٧م/ مؤسَّسة الرسالة/ بيروت.

٥١ – **عدَّة الداعي**: ابن فهد الحلّي/ تحقيق: أحمد الموحِّدي القمّي/ مكتبة وجداني/ قم.

٥٢ – **علل الشرائع**: الشيخ الصدوق/ تحقيق: محمّد صادق بحر العلوم/ ١٣٨٥هـ/ منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها/ النجف الأشرف.

٥٣ – **عوالي اللئالي**: ابن أبي جمهور الأحسائي/ تحقيق: مجتبىٰ العراقي/ ط ١/ ١٤٠٣هـ/ مطبعة سيِّد الشهداء/ قم.

٥٤ – **عيون أخبار الرضا عليه السلام**: الشيخ الصدوق/ ت حسين الأعلمي/ ١٤٠٤هـ/ مؤسَّسة الأعلمي/ بيروت.

٥٥ – **عيون الحِكَم والمواعظ**: عليّ الليثي الواسطي/ تحقيق: حسين البيرجندي/ ط ١/ دار الحديث.

٥٦ – **الفتاوىٰ الميسَّرة للسيِّد السيستاني**: محمّد تقي الحكيم/ ط ٣/ ١٤١٧هـ/ مطبعة الفائق الملوَّنة.

٥٧ – **الفصول المختارة**: الشيخ المفيد/ ط ٢/ ١٤١٤هـ/ دار المفيد/ بيروت.

٥٨ - **فقه الحضارة**: السيِّد السيستاني/ دار المؤرِّخ العربي/ بيروت.

٥٩ - **فقه الرضا**: عليُّ بن بابويه/ ط ١/ ١٤٠٦هـ/ المؤتمر العالمي للإمام الرضا/ مشهد.

٦٠ - **فنون النجاح**: السيِّد هادي المدرِّسي/ دار العربية للعلوم/ مؤسَّسة أحمد للمطبوعات/ ط ٣/ ٢٠٠٧م/ بيروت.

٦١ - **قرب الإسناد**: الحميري القمّي/ ط ١/ ١٤١٣هـ/ مطبعة مهر/ مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام/ قم.

٦٢ - **قَصص الأنبياء**: قطب الدِّين الراوندي/ تحقيق: غلام رضا عرفانيان/ ط ١/ ١٤١٨هـ/ الهادي.

٦٣ - **قطاف شهر رمضان**: الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي/ تقديم: معهد تراث الأنبياء للدراسات الحوزوية الإلكترونية/ ط ١/ ١٤٣٨هـ.

٦٤ - **الكافي**: الشيخ الكليني/ تحقيق: عليّ أكبر الغفّاري/ ط ٥/ ١٣٦٣ش/ مطبعة حيدري/ دار الكُتُب الإسلاميَّة/ طهران.

٦٥ - **كتاب الزهد**: حسين بن سعيد الكوفي/ ١٣٩٩هـ/ مطبعة العلمية/ قم.

٦٦ - **كتاب الطهارة**: السيِّد الخوئي/ ط ٢/ مطبعة بهرام/ مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام/ قم.

٦٧ - **كشف الغمَّة**: ابن أبي الفتح الإربلي/ ط ٢/ ١٤٠٥هـ/ دار الأضواء/ بيروت.

٦٨ - **كنز العمّال**: المتَّقي الهندي/ تحقيق: بكري حيّاني/ ١٤٠٩هـ/ مؤسَّسة الرسالة/ بيروت.

٦٩ - **المبسوط**: الشيخ الطوسي/ تحقيق: محمّد تقي الكشفي/ ١٣٨٧هـ/ المكتبة المرتضوية لإحياء آثار الجعفرية/ طهران.

٧٠ - **مجمع البحرين**: الشيخ الطريحي/ ت أحمد الحسيني/ ط ٢/ ١٤٠٨هـ/ مكتب نشر الثقافة الإسلاميَّة.

٧١ - **المحاسن**: البرقي/ تحقيق: جلال الدين الحسيني المحدِّث/ ١٣٧٠هـ/ دار الكُتُب الإسلاميَّة/ طهران.

٧٢ - **مستدرك الوسائل**: الميرزا النوري/ ط ١ المحقَّقة/ ١٤٠٨هـ/ مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام/ بيروت.

٧٣ - **المستطرف في كلِّ فنٍّ مستظرف**: الأبشيهي/ دار ومكتبة الهلال.

٧٤ - **مستند الشيعة**: المحقِّق النراقي/ ط ١/ ١٤١٥هـ/ مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام/ مطبعة ستارة/ قم.

٧٥ - **مسند أحمد**: أحمد بن حنبل/ دار الصادر/ بيروت.

٧٦ - **مسند الرضا عليه السلام**: داود بن سليمان الغازي/ تحقيق: محمّد جواد الحسيني الجلالي/ ط ١/ ١٤١٨هـ/ مكتب الإعلام الإسلامي.

٧٧ - **مشكاة الأنوار**: عليّ الطبرسي/ تحقيق مهدي هوشمند/ ط ١/ ١٤١٨هـ/ دار الحديث.

٧٨ - **مصباح البلاغة**: حسن الميرجهاني الطباطبائي/ ١٣٨٨هـ.

٧٩ - **مصباح الشريعة**: المنسوب للإمام الصادق عليه السلام/ ط ١/ ١٤٠٠هـ/ مؤسَّسة الأعلمي/ بيروت.

٨٠ - **مصباح الفقاهة**: السيِّد الخوئي/ ط ١ المحقَّقة/ مطبعة العلمية/ مكتبة الداوري/ قم.

٨١ - **مصباح المتهجِّد**: الشيخ الطوسي/ ط ١/ ١٤١١هـ/ مؤسَّسة فقه الشيعة/ بيروت.

٨٢ - **معاني الأخبار**: الشيخ الصدوق/ تحقيق: عليّ أكبر الغفّاري/ ١٣٧٩هـ/ مؤسَّسة النشر الإسلامي/ قم.

٨٣ - **المعجم الكبير**: الطبراني/ تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي/ ط ٢ مزيَّدة ومنقَّحة/ دار إحياء التراث العربي.

٨٤ - **معرفة النفس**: الشيخ حسن الصفّار.

٨٥ - **مكارم الأخلاق**: الشيخ الطبرسي/ ط ٦/ ١٣٩٢هـ/ منشورات الشريف الرضي/ قم.

٨٦ - **من لا يحضره الفقيه**: الشيخ الصدوق/ تحقيق: عليّ أكبر الغفّاري/ ط ٢/ مؤسَّسة النشر الإسلامي/ قم.

٨٧ - **منازل الآخرة**: الشيخ عبّاس القمّي/ تحقيق: ياسين الموسوي/ ط ١/ ١٤١٩هـ/ مؤسَّسة النشر الإسلامي/ قم.

٨٨ - **مناقب آل أبي طالب**: ابن شهر آشوب/ تحقيق: لجنة من أساتذة النجف/ ١٣٧٦هـ/ المكتبة الحيدرية/ النجف.

٨٩ - **منهاج الصالحين**: السيِّد الخوئي/ ط ٢٨/ ١٤١٠هـ/ مط مهر/ قم.

٩٠ - **منهاج الصالحين**: السيِّد السيستاني/ طبعة مصحَّحة ومنقَّحة/ ١٤٣٩هـ.

٩١ - **موسوعة أحاديث أهل البيت** عليهم السلام: الشيخ هادي النجفي/ ط ١/ ١٤٢٣هـ/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت.

٩٢ - **موسوعة العقائد الإسلاميَّة**: الشيخ محمّد الريشهري/ ط ١/ ١٤٢٥هـ/ دار الحديث للطباعة والنشر/ بيروت.

٩٣ - **ميزان الحكمة**: محمّد الريشهري/ ط ١/ دار الحديث.

٩٤ - **نهج البلاغة**: الشريف الرضي/ شرح محمّد عبده/ ط١/ ١٤١٢هـ/ مط النهضة/ دار الذخائر/ قم.

٩٥ - **النوادر**: أحمد بن عيسىٰ الأشعري/ ط ١/ ١٤٠٨هـ/ مطبعة أمير/ مدرسة الإمام المهدي عليه السلام/ قم.

٩٦ - **النوادر**: فضل الله الراوندي/ تحقيق: سعيد رضا عليّ عسكري/ ط ١/ مؤسَّسة دار الحديث الثقافية/ قم.

٩٧ - **نور الأنوار في شرح الصحيفة السجّادية**: السيِّد نعمة الله الجزائري/ الناشر: آسيانا/ مطبعة أميران/ ط ١/ ١٤٢٧هـ/ قم.

٩٨ - **الهدىٰ والضلال في القرآن الكريم**: الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي/ تقديم: معهد تراث الأنبياء للدراسات الحوزوية الإلكترونية/ ط ١/ ١٤٣٨هـ.

٩٩ - **وسائل الشيعة**: الحرُّ العاملي/ ط ٢/ ١٤١٤هـ/ مطبعة مهر/ مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام/ قم.

١٠٠ - **وقتك حياتك**: السيِّد محمّد العلوي/ ط ٢/ ١٤٢١هـ/ دار العلوم/ بيروت.

١٠١ - **الومضات**: الشيخ حبيب الكاظمي/ شبكة السراج في الطريق إلىٰ الله/ ط ٣/ ٢٠٠٦م.

* * *

الفهرس

